هورست كلينكل

آثار سورية القديمة

آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية

ترجمة : قاسم طوير

منشورات وزارة الثقافة ١٩٨٥
في الجمهورية العربية السورية

SYRIA ANTIQUA

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

EDITION LEIPZIG

مقدمة المؤلف

تعتبر المنطقة التي تشملها الجمهورية العربية السورية في حدودها السياسية الحالية واحدة من أقدم البلدان الحضارية في العالم ، فقد قدمت التحريات الأثرية والتاريخية في العقود الأخيرة الدليل تلو الدليل على عراقة سورية الحضارية . وفي كل عام تنمو معلوماتنا عن الحضارات التي ازدهرت في منطقة الجمهورية العربية السورية قبل انتصار الاسلام، وعن مصير الناس الذين حملوا لواء تلك الحضارات وأبدعوها . وكما الفسيفساء ترتصف نتائج تنقيبات البعثات الأثرية العربية السورية لرسم صورة ذلك الماضي رسما يزداد تكاملا ويشتد تعبيرا .

أصبح عدد المولعين بكشف تاريخ سورية القديمة يزداد باستمرار ، ونظرا لأهمية التراث الحضاري في الحاضر الراهن تولي حكومة الجمهورية العربية السورية الاهتمام الكبير للبحث الأثري في البلاد، حيث تحقق المديرية العامة للآثار المتاحف إنجازات رائعة في مجالات الكشف عن آثار الماضي وصيانتها وإحيائها . ويساند المديرية العامة للآثار والمتاحف في إنجازاتها تلك علماء من مختلف أنحاء العالم ، جاؤوا أيضاً للبحث عن إجابة لتساؤلاتهم عن أصول حضارة بلد كل منهم . والهدف الاساسي من هذا الكتاب هو كسب الأصدقاء لسورية ولتاريخها العريق .

وجد هذا الكتاب المصور – الذي يرمي إلى تزويد القارىء بفكرة عن أهم المواقع الأثرية في الجمهورية العربية السورية – كل الدعم والترحيب الطيب من جانب المديرية العامة للآثار والمتاحف . ويطيب لي أن أخص بالشكر السيد المدير العام للآثار والمتاحف عبد الحميد دركل ومساعديه عدنان البني وبشير زهدي وقاسم طوير وشوقي شعث وخالد الأسعد ومروان مسلماني . كما أود التعبير عن شكرى وامتناني لكل المواطنين السوريين الذين أحاطوني بكرم الضيافة العربية المعهودة ولكل من ساعدني أثناء حطي وارتحالي في أرجاء هذا البلد الكريم .

هورست كلينكل

مدير معهد تاريخ وآثار الشرق الأدنى القديم

أكاديمية العلوم ببرلين

جمهورية المانيا الديمقراطية

المكان والزمان

فيما يخص التطور الحضاري للبلاد فان المقابلة بين تسمية « الجمهورية العربية السورية» وتسمية « سورية » خاضعة للمد والجزر في وقت واحد. فمن ناحية إن الجمهورية العربية السورية تضم داخل حدودها أجزاء من بلاد مابين النهرين أي الجزيرة السورية ، وهذه الجزيرة لم تكن في الماضي جزءا من « سورية القديمة » ، ومن ناحية أخرى فان الاقتصار على تسمية « الجمهورية العربية السورية » يحرم « سورية القديمة » أجزاء هامة في الشمال وفي الجنوب الغربي ، الشمالية منها في تركيا الآن والجنوبية الغربية أصبح يطلق عليها « الجمهورية اللبنانية » .

تشمل عصور ماقبل الاسلام في مجالنا هذا سلسلة كاملة من الفترات التاريخية المتميزة حضاريا . بيد أن فجر التاريخ مايزال غامضا . لكن الاكتشافات الأثرية في المغاور والكهوف أبانت مؤخرا أن الانسان كان يعيش في سورية على حياة الصيد والتقاط النباتات منذ العصر الحجري القديم . أما بقية التطور الذي يقودنا الى عصر مايسمى « بثورة العصر الحجري الحديث » ، هذا العصر الذي ابتكر فيه الانسان المحراث وعرف الزراعة ومن ثم الالتصاق بالأرض والاستقرار ، فقد أظهرت التنقيبات الأثرية أدلة ملموسة عليه في عدد متزايد من المواقع . لكن

الا دلة التي نتعرف من خلالها على الأحداث التاريخية وشخصياتها – وهي الوثائق المكتوبة – فلم تظهر إلا بعد الألف الثالث قبل الميلاد .

عندما بدأت أولى الأخبار المكتوبة تنطق على ضفاف دجلة والفرات والنيل كانت سورية قد قطعت شوطا طويلا في مسيرة العصر البرونزي وانتقلت في مواقع كثيرة من أرجائها إلى مرحلة المجتمع الطبقي . ونحن نطلق على المراحل الاولى من هذا الانتقال – اصطلاحا – اسم عصر الشرق القديم . ويلي ذلك العصر . الفترة الهلنستية الرومانية ، التي استطاعت تدمر أثناءها أن تحتل مكانة خاصة . غير أن الانتقال إلى الفترة الرومانية الشرقية – البيزنطية لم يتخط حدوداً مميزة ، فقد كانت تلك الفترة مرحلة انتقال من الكلاسيكية إلى الإسلام .

من الصعب أن نحدد أرقاما دقيقة لتاريخ تلك الفترات وذلك لان التحولات التي تقود سورية في كل مرة إلى عصر جديد في تطورها، كانت عملية اجتماعية اقتصادية لايمكن تحديدها بأرقام زمنية . يضاف إلى ذلك أن تلك العملية قد أخذت – في مجراها الزمني وفي طابعها الشخصي – مظهرا مختلفا في كل مجال من المجالات المتعددة في سورية . لكن رغبة منا في تسهيل الفهم سنورد بعض الأرقام الزمنية التي ترشدنا في استعراض الأحداث السياسية والعسكرية :

– فترة الشرق القديم بين حوالي ٢٥٠٠ و ٣٣٣ ق . م (فتوحات الاسكندر) .

– الفترة الهلنستية الرومانية بين ٣٣٣ ق . م و ٣٩٥ بعد الميلاد (انقسام الامبراطورية الرومانية) .

ـ الفترة الرومانية الشرقية / البيزنطية بين ٣٩٥ بعد الميلاد و ٦٣٥ بعد الميلاد (فتح دمشق على يد المسلمين) .

أما ازدهار تدمر كمحطة قوافل في قلب البادية السورية فقد كان بين القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد أي الفترة التي احتلت فيها ، وما مناطق شرقي البحر الأبيض المتوسط .

تكمن أفضل السبل لفهم التطور الحضاري لبلد ما وخصائصه في معرفة الشروط الطبيعية المحيطة به كالمناخ والنبات وخصائص التربة والأرض . وكلما سبرنا غور التاريخ سبرا عميقا كلما ازدادت الضرورة لأخذ عوامل البيئة بعين الاعتبار . فالانسان في تفاعل مستمر مع البيئة من أجل تأمين معاشه اليومي .

إن القسم الأعظم من أراضي الجمهورية العربيّة السورية هو جزء من « الهلال الخصيب » . هذا المجال الذي يطل على شكل نصف دائرة مقعرة نحو الجنوب ويمتد من الخليج العربي وينتهي في فلسطين مروراً بشمالي بلاد مابين النهرين وشمالي سورية . ويمتاز هذا الهلال بأن كميات كافية من الأمطار تهطل في أراضيه كل عام . فالخط الفاصل للأمطار السنوية اللازمةلفلاحالزراعة الثابتة يتأرجح عند نسبة٢٥٠مم. لكن فعالية الانسان وتضاريس الأرض المناسبة غالبا ماكانت عاملا في تحطيم حدود ذلك الخط المطري . غير أن الزراعة المروية التي تعتمد على رفع مياه الأنهر بالوسائل الفنية (الناعور ، الغراف وما شاكل ذلك) أو بجر الأقنية إلى الحقول ، لم تلعب دورا كبيرا في سورية في أي يوم من الأيام . فالاعتماد الأكبر كان على الزراعة المطرية (البعلية).

سرعان ما تتحول منطقة المراعي المحاذية للمناطق الخصيبة في أعقاب أمطار شتوية تقل عن ٢٥٠ مم ولا يجب أن تقل عن ١٠٠ مم سنويا ، إلى سجادة نباتية تؤمن الغذاء الدسم والوفير لقطعان الماشية . لكن سرعان ماتجفف الشمس الصاعدة عموديا في أواخر الربيع ذلك الفراش الأخضر ويجر الرعاة عندئذ قطعان مواشيهم نحو أطراف المناطق المزروعة .

تنتقل تدريجيا نحو البادية الأراضي الواقعة إلى الجنوب من سلاسل الجبال الممتدة من الفرات مرورا بتدمر نحو الجنوب الغربي حتى منطقة دمشق . تلك البادية التي اكتشفها الانسان واتخذها مجالا حياتيا له باستخدام الجمل .

إذا القينا نظرة فاحصة على أهم المناطق الطبيعية في ج ع س من الغرب الى الشرق فاننا نواجه بادىء ذي بدء الساحل وبعض الموانىء الطبيعية . وقد لعبت من بينها دورا في الحركة التجارية كل من رأس الشمرة (أوغاريت) واللاذقية (لاوديسيا) وجبلة (جبالا) وأرواد (أرادوس) . أما سلسلة الجبال المرافقة لساحل شرقي البحر المتوسط التي تفصل الساحل عن الداخل فانها تنخفض ويتلاشى ارتفاعها كلما تقدمت نحو الداخل ، لذلك كان للموانىء الساحلية ظهر عريض من الاراضي الداخلية التي يتوفر فيها الخصب الكثير بفعل المطر الغزير . كما أنه يسهل الوصول إلى تلك الموانىء من تلك الأراضي الفسيحة في الداخل . يضاف الى ذلك أننا نستفيد من النصوص المسمارية أن جبال الساحل كانت تغطيها الغابات والاحراش في العصور القديمة لكن عمليات القطع المتواصلة على مر الزمن وقضم الماعز وغيره

قلصا كثيرا من حجم هذه الثروة الطبيعية . أما منطقة الانهدام الواقعة الى الشرق من جبال الساحل والتي يخترقها نهرا العاصي وعفرين فقد أمكن استغلالها زراعيا بعد تجفيف مستنقعاتها . وكلما اتجهنا شرقا تتلاشى المرتفعات والهضاب في سهلي حمص وحلب الخصيبين ، ولدينا أدلة أثرية وكتابية على زراعة الحبوب في تلك السهول منذ أقدم العصور. كذلك كانت المناطق الجنوبية من الجمهورية العربية السورية – أي حوران – من المناطق الصالحة للزراعة ، كما تمتعت واحة دمشق (الغوطة) بأهمية متصاعدة منذ الألف الثاني قبل الميلاد .

كانت تلك المناطق الصالحة للزراعة تصدر الفائض من الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى لكن غالبا ما تتحول إلى أراض قاحلة وجافة (بادية) كلما امتدت نحو الشرق . ومع توفر الواحات المبعثرة في أرجاء تلك البادية تيسرت وسائل الحياة والاستقرار للانسان . يقطع وادي الفرات العميق امتداد البادية فجأة . وكان بالامكان ري الأراضي في ذلك الحوض بواسطة الأقنية وهذا ماساعد على قيام مدن مثل ماري ودورا اوروبوس . أما على الجانب الآخر من وادي الفرات فتبدأ مراعي الجزيرة التي يخترقها رافدا الفرات، كل من الخابور والبليخ، لكن الأطراف الشمالية لتلك المراعي تدخل في نطاق الزراعة المطرية .

تحكمت هذه الشروط الطبيعية إلى حد كبير في التطور التاريخي لسورية القديمة ، ونذكر على سبيل المثال أن القوافل التجارية القادمة من جنوبي مابين النهرين والمتوجهة نحو الغرب كانت تتجنب الطرق التي تخترق المناطق الجنوبية من تدمر بسبب ندرة الآبار ومواطن الماء وفضلت عليها الطرق المارة بشمالي تدمر . عندما كانت الحمير الدواب

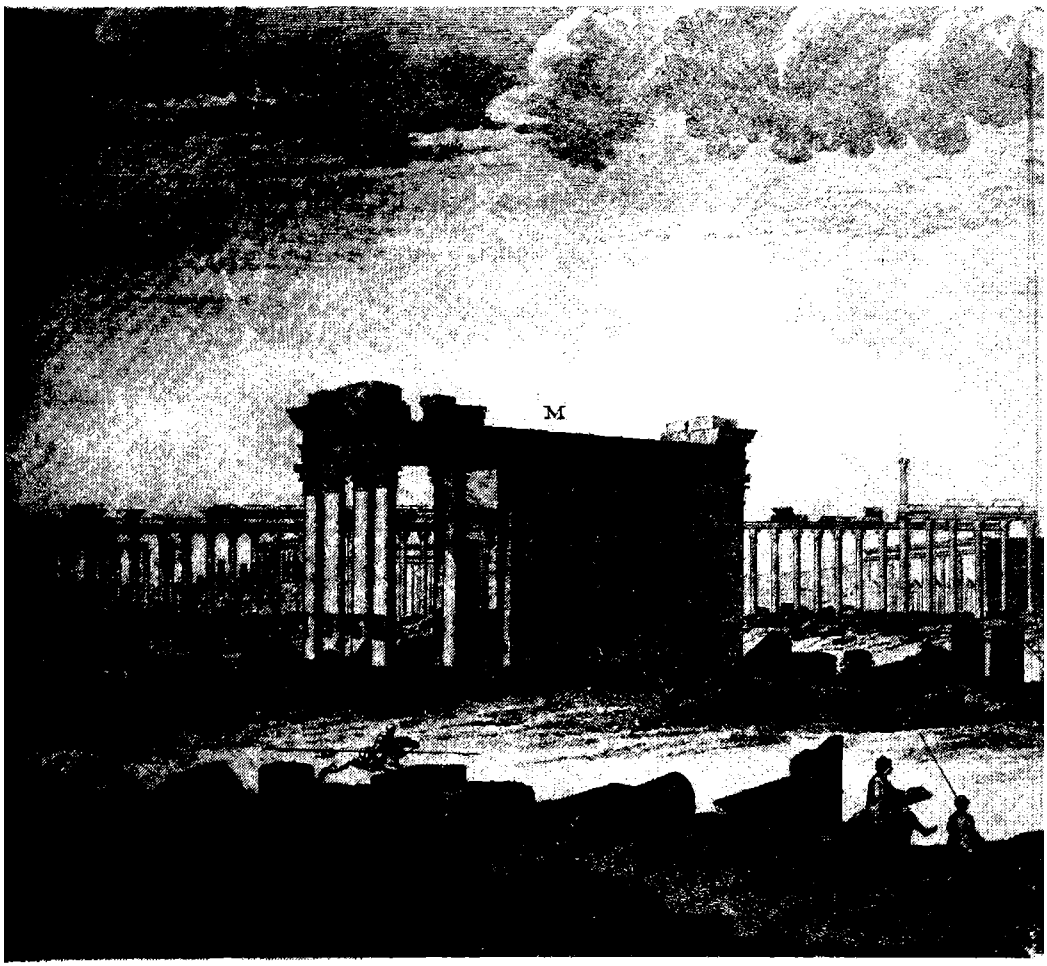

الفعلية لنقل الأحمال اكتسب طريقان أهمية بالغة ، الأول كان الطريق الذي يحاذي الفرات شمالا حتى مسكنة القديمة ثم ينعطف نحو حلب ، ولا بد أن ذلك الطريق كان على مسار نفس الطريق المعبد الحالي الذي يصل بين دير الزور وحلب . والطريق الثاني وهو جنوبي ، ينطلق من ماري (تل الحريري) ودورا اوروبوس (صالحية الفرات) متوجها نحو المناطق الخصيبة من بلاد الشام مرورا بتدمر ، غير أن ظهور الجمل واستخدامه لنقل الأحمال قد فتح آفاقا جديدة في اختراق البوادي والصحراء . وذلك لاحتمال الجمال العطش مدة أطول . وهكذا أصبحت للطريق الواصلة بين بصرى الشام والخليج الفارسي أهمية متزايدة ، بحيث توسعت شبكة المواصلات في الفترة الرومانية .

كانت سورية جزءا من حركة مواصلات العالم القديم ولم تقتصر سورية على دور الوسيط في نقل البضائع بل كانت عنصرا فاعلا ؛ اذ كانت تشارك بمنتجاتها الزراعية أو بمنتجات صناعاتها اليدوية الراقية . فقد أبانت التحريات الأثرية في مواقع ماقبل الإسلام مدى المكاسب التي كانت تحققها أماكن عديدة من وراء التجارة العالمية.

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

التطور السياسي
حتى ظهور الإسلام

كان للموقع الجغرافي لسورية – كجسر بين الشرق والغرب ولتوفر الشروط الطبيعية الملائمة – دوراً في النمو الاقتصادي. وكانت الحضارة في سورية تجد باستمرار محرضا خارجيا تكمن وسيلته الاولى في المواصلات التجارية . وكانت سورية تفتح صدرها للمؤثرات الحضارية الخارجية وتعمل على تطويرها وإذابتها في بوتقة التراث المحلي . أما على الصعيد السياسي فقد كان لتلك الظروف الموضوعية أثرها السلبي . اذ ساعدت على قيام دويلات متعايشة أو متعاكسة ؛ ولا تتحد فيما بينها في دولة واحدة إلا لمواجهة ضغط خارجي كالضغط المصري والحثي والآشوري والفارسي والروماني . وفي الألف الثاني قبل الميلاد كان لدويلات مثل (ماري) تل الحريري وبمحاض (حلب) وقطنة (تل المشرفة قرب حمص) و(أوغاريت) رأس الشمرة قرب اللاذقية شأن خطير ، لكن لم تتمكن من توحيد سورية بأجمعها وجعلها تحت لواء واحد .

كان مركز الثقل السياسي موجودا في الجزيرة السورية في ظل الدولة الميتانية التي ازدهرت في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد .

وكان للإمارات الآرامية في حماه ودمشق خلال الألف الأول قبل الميلاد دور أكبر ،فقد قُدّر لإمارتي حماة ودمشق جمع شمل عدد من الدويلات والكيانات السياسية الأخرى لصد الغزو الآشوري . وفي فترة لاحقة أصبح لعدد من الدويلات العربية الواقعة على أطراف البادية الشامية – وخاصة تدمر – شأن كبير ، بحيث تمكنت – بقفزات سريعة –من فرض سيطرتها على كافة البقاع السورية الواقعة الى الغرب من نهر الفرات الى أن جاءت الضربة الرومانية لتضع حدا نهائيا لتلك المملكة الواسعة الأرجاء .

كان التشتت السياسي في سورية مفتاحا للتدخل الأجنبي .لاسيما وان الموقع الجغرافي والثروات الطبيعية من العوامل التي كانت تجذب الطامعين .

وهكذا كانت سورية باستمرار هدفا للجيوش الأجنبية التي غالبا ماكانت تنقل معاركها على الأرض السورية . ففي الألف الثالث قبل الميلاد كان الأكاديون في بلاد مابين النهرين من أوائل من مدوا أيديهم نحو سورية وجعلوا أجزاء منها تحت سيطرتهم لفترة من الزمن . وما أن مرت فترة ازدهر خلالها عدد من الدويلات السورية ولم يتبد التأثير الأجنبي إلا على الصعيدين الاقتصادي والثقافي . حتى ظهر الحثيون على الساحة السورية ، وذلك قبل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وكان هؤلاء في صراع مع الميتانيين – في شمالي بلاد مابين النهرين من جهة ومع المصريين من جهة أخرى – على امتلاك سورية . ولقد تمكن الحثيون من فرض سيطرتهم في نهاية المطاف على كافة المناطق الواقعة إلى الشمال من حمص . بيد أنه في الوقت نفسه ظهر على الأطراف

الشرقية من سورية قوة ثانية كانت توجه جيوشها نحو الغرب وهي القوة الآشورية .

حدثت في حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد تبدلات جذرية غيرت معالم السمات السياسية والعرقية في سورية وكان ذلك مع مجيء مايسمّى بشعوب البحر . وفي الوقت نفسه تعاظمت قوى الآراميين في الأطراف الشمالية من بادية الشام وتزايد ضغطهم على المناطق الخصيبة من سورية . وفي أثناء ذلك تراجعت كل من السيادة الحثية والسيادة المصرية على مناطق سورية لتحل مكانها إمارات جديدة على رأسها سلالات آرامية أو أناضولية . لكن تلك الامارات أصبحت فيما بعد هدفا للتوسع الآشوري . ويتميز التاريخ السياسي لسورية خلال الألف الاول قبل الميلاد بقيام المنازعات الداخلية بين تلك الإمارات من ناحية وفي تكرار الهجمات الآشورية من ناحية ثانية . وفي نهاية المطاف تحقق للآشوريين ضم سورية إلى دولتهم ومن ثم تقسيمها إلى ولايات متفرقة . ومع هذا كان الآشوريون مضطرين لتنظيم الحملات العسكرية باستمرار كيما يحافظوا على تلك الممتلكات الثمينة .

مع انهيار الدولة الآشورية في نهاية القرن السابع قبل الميلاد . نتيجة للهجمات الموحدة من جانب الميديين في ايران والكلدانيين في بابل ورث سورية نبوخذ نصر ، بعد أن أصبح على رأس الدولة البابلية الجديدة . وعندما حاولت مصر استغلال الفرصة لاستعادة سيطرتها على سورية والوصول الى الفرات استطاع نبوخذ نصر صدها ووقف تقدمها .

خلف الفرس حكام الدولة البابلية الجديدة في السيطرة على سورية . وبالرغم من استمرار وجود السلالات المحلية أصبحت سورية منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد جزءاً من الامبراطورية الفارسية وواحدة من أهم ولاياتها .

وفي عام ٣٣٣ قبل الميلاد وطأ الاراضي السورية الاسكندر المقدوني بعد انتصاره الحاسم في معركة ايفيسوس ولقد عبر سورية مرتين ، الأولى في طريقه إلى مصر والمرة الثانية أثناء زحفه نحو بلاد مابين النهرين ونحو ايران – الوطن الأم لأعدائه الفرس . وما أن لقي الفاتح الكبير حتفه في بابل في ٣٢٣ ق . م حتى بدأ النزاع بين قواده على الإرث ، واستطاع سلوقس تثبيت أقدامه في سورية ، وبذلك بدأت فترة القرنين والنصف من الحكم السلوقي . كانت العاصمة تقع خارج نطاق الجمهورية العربية السورية الحالية – أي في أنطاكية عند مصب العاصي في البحر الأبيض المتوسط . وهكذا أصبحت سورية جزءا ثابتا من العالم الهلنستي حيث التقى الشرق مع الغرب واشتبكا بعضهما مع بعض حضاريا بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، إذ هيمن الطابع اليوناني على المدن السورية الكبرى وخاصة الأحياء الجديدة التي أسسها السلوقيون إلى جانب المدن الأصلية ، لكن الشرق القديم ظل محتفظا بنفسه في الأرياف ولم تنطفىء فيه روح الحياة . وما أن تهاوى ذلك السقف الهلنستي الرقيق حتى استعاد العنصر الشرقي حياته من جديد في كل مكان .

كان الفرتيون (الفرس) قد وضعوا حدا للسيطرة السلوقية على المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الفرات في القرن الثاني قبل الميلاد ثم جاءت

روما في ٦٤ قبل الميلاد لتضع حدا نهائيا للسيطرة السلوقية على بلاد الشام ، إذ ظهر القائد الروماني بومبيوس مع جحافله على مسرح الأحداث وضم سورية إلى أجزاء الامبراطورية الرومانية المتنامية لتبقى مع غيرها في ظل الحكم الروماني عدة قرون متلاحقة .

استطاعت تدمر الاستفادة من موقعها المتوسط بين الرومان من جهة والساسانيين – خلفاء الفرتيين – من جهة أخرى ، اذ استقلت ووسعت نفوذها حتى داخل مصر . لكن تدمر لم تستعد أهميتها منذ انهيارها في سنة ٢٧٣ ميلادية .

عندما انشطرت الامبراطورية الرومانية الى قسمين في عام ٣٩٥ ميلادية كانت سورية في الجانب الشرقي وعاصمته بيزنطة ، أما المناطق الواقعة إلى الشرق من الفرات فقد ظلت بأيدي الساسانيين . لكن الوضع السياسي في القرن السابع الميلادي انقلب رأسا على عقب اذ حرر العرب المسلمون تحت لواء الرسول محمد (صلعم) أراضي بلاد الشام وفرضوا سيادتهم عليها في سياق أعوام معدودة . وبذلك بدأ عصر جديد وقامت خلافة واسعة الارجاء ازدهرت سورية في ظلها من جديد ، واحتلت فيها المركز الرئيسي في بداية الأمر ثم أصبحت جزءا منها فيما بعد – إنه عصر الاسلام .

* * *

مكتبة المهتدين

مكانة سورية القديمة

لانعرف هوية الناس القدماء الذين سكنوا في أراضي الجمهورية العربية السورية الحالية . كما لانعرف مظهرهم ولا أسماءهم ، ومن المؤكد أن هؤلاء السكان لم يكونوا متجانسين في غابر العصور . لكن علماء التاريخ والآثار اصطلحوا على إطلاق اسم « شعوب ماقبل الموجات السامية » على السكان الأوائل في سورية ، وذلك لأن هؤلاء لم يخلفوا وراءهم آثارا كتابية بل مادية بحتة . وسرعان ما حلت مكان هؤلاء شعوب سامية ، ففي الوقت الذي بدأت فيه النصوص المكتوبة تتطرق إلى ذكر سورية في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد كان العنصر السامي قويا في هذه المنطقة وكانت القيادة السياسية بيد الآموريين الساميين الغربيين في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد . وكان الآموريون خلال الفترة نفسها العنصر السيد في بلاد مابين النهرين وفي فلسطين أيضا . ولن نكون مخطئين اذا اعتقدنا بأن موطن الاموريين الأصلية موجودة في أطراف البادية المحاذية لسورية الشمالية . وقد انطلقت من المكان نفسه باتجاه المناطق الخصيبة من سورية قبائل سامية أخرى عرفت في النصوص المسمارية باسم القبائل السوتية والقبائل

الأحلامية (السوتيون والاحلاميون) . أما في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد فقد عرفت مثل تلك القبائل باسم الآراميين . وكانت آخر موجة سامية كبرى . موجة القبائل العربية التي ورد ذكرها في نصوص النصف الأول للالف الأول قبل الميلاد . إذ تغلغل هؤلاء في مختلف أرجاء سورية واستطاعوا تأسيس دولٍ سياسية ذات شأن في حوران وفي تدمر قبل مجيء الاسلام بوقت طويل . ومع مجيء الاسلام أصبح العرب العنصر السائد في سورية .

إلى جانب تلك الشعوب التي تنتمي إلى الأسرة الناطقة باللغات السامية . هناك شعوب قدمت إلى سورية من مناطق أخرى مثل الحوريين الذين انحدروا من الجبال المنتشرة في شمال آسيا الغربية . ثم بدأوا بالظهور في سورية منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد . واستطاع الحوريون تسلم القيادة السياسية في عدد من الحواضر السورية .

اجتاحت شعوب البحر القادمة من مناطق البلقان في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد مناطق آسيا الغربية وتغلغلت في سورية أيضا . وبما أن الجيوش المصرية أوقفت تقدمهم نحو مصر إلا ان جماعات منهم استقرت في بلاد الشام . واكب تقدم تلك الشعوب في بلاد الأناضول هروب جماعات أناضولية من بلادها بحثا عن الأمان في المناطق الجنوبية الشرقية أي في سورية . وعندما استقر هؤلاء القادمون الجدد ـ وهم من أصل هند وجرماني ـ امتزجوا مع بقايا الحوريين ومع السكان الساميين أيضا .

إلى جانب تلك الشعوب والجماعات التي جاءت بفعل الهجرات البشرية استوطن سورية غرباء آخرين وصلوا اليها في البدء بصفة تاجر

أو موظف أو جندي . لذلك لابد أن كان أمثال هؤلاء من أصل مصري أو ايجي أو أناضولي أو انهم جاؤوا من بلاد مابين النهرين أو من بلاد فارس أو من العالم اليوناني الروماني في حوض المتوسط . وفي ضوء ذلك أصبحت سورية بوتقة انصهرت فيها شعوب مختلفة وكان الناتج هو مايمكن تسميته « بالسوريين » : هذا الشعب الذي أبدع في تطوير التيارات الثقافية المختلفة وأصبح يعد من أكثر شعوب العالم القديم تقدما على الصعيدين الاقتصادي والحضاري .

* * *

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

العصور الشرقية القديمة

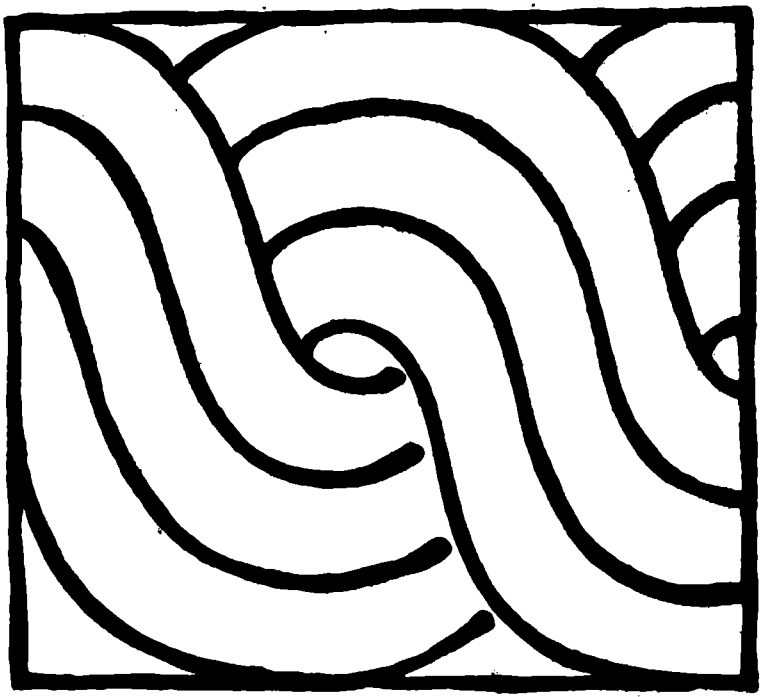

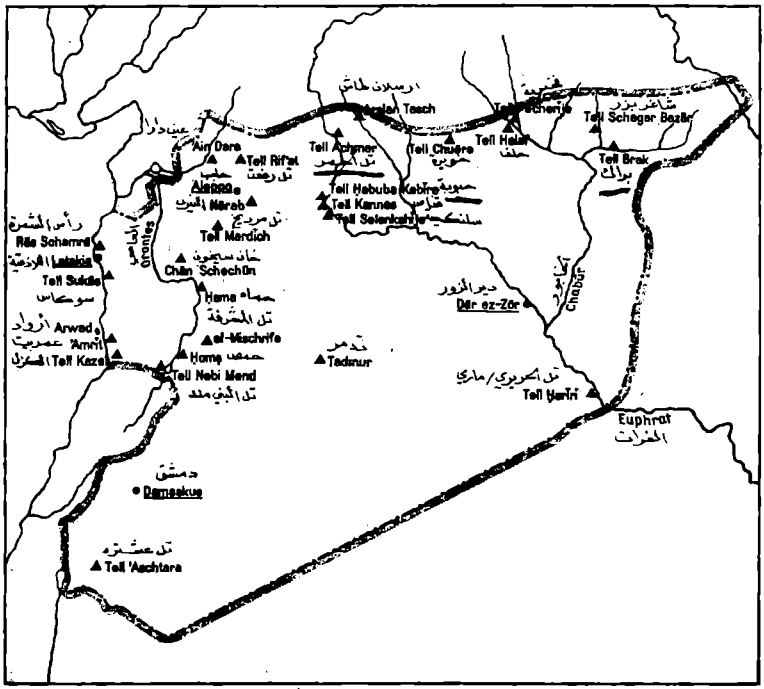
Ain Dara
Tell Rif'at
Aleppo
Tell Achmer
Tell Chuera
Tell Halaf
Tell Scheger Bazar
Tell Brak
Tell Hebuba Kebira
Tell Kannas
Tell Selenkahiye
Tell Mardich
Chan Schechun
Hama
Ras Schamra
Latakia
Tell Sukas
Arwad
Tell Kazel
Tell el-Mischrife
Homs
Tell Nebi Mend
Tadmur
Deir ez-Zor
Chabur
Tell Hariri
Euphrat
Damaskus
Tell 'Aschtara

انتقل الانسان في سورية من حالة الصيد والتقاط البذور والنباتات إلى مرحلة الاستقرار وممارسة الزراعة في وقت أقدم من الألف السابع قبل الميلاد ، فالتنقيبات الأثرية التي جرت في أوغاريت وتل سوكاس (قرب جبلة) وفي حماة وفي تل الرماد (قرب قطنا) وفي تل المريبط ، والجارية في مناطق أخرى مثل تل بقرص على الفرات وتل الكوم في البادية تجعلنا نتابع التطور الحضاري داخل نطاق الجمهورية العربية السورية الحالية منذ العصر الحجري الحديث . لكن استخدام النحاس في جميع الأدوات اتسع مداه في نهاية الألف الخامس قبل الميلاد إلى حد أنه أصبح بامكاننا الحديث عن العصر الحجري النحاسي ، واستمر الأمر على هذه الحال طيلة حوالي ألف عام الى أن حل البرونز مكانه في حوالي ٣٠٠٠ ق . م وقد دلت الشواهد الأثرية المكتشفة حتى الآن أن سورية خلال تلك الحقبة الطويلة من عصور ماقبل التاريخ قد عرفت بوادر النمو العمراني (نشوء المدن) وتقسيم العمل بين أفراد المجتمع والتمايز الطبقي .

ورد ذكر سورية في النصوص المسمارية الرافدية والنقوش الهيروغليفية المصرية لاول مرة في الألف الثالث قبل الميلاد أي خلال عصر البرونز القديم . ونستشف من محتويات تلك الشواهد المكتوبة أن دولا قامت في المناطق المتطورة من سورية وان الحكام كانوا يجهدون في استخدام سلطانهم ضد الطبقات الاخرى من السكان من أجل سلامة ثرواتهم الفردية ، أي كانت هناك دول تتسلط فيها طبقة على بقية الطبقات الاجتماعية . ونحن نطلق على المراحل الاولى من هذا التطور اسم العصور الشرقية القديمة .

تشمل تلك العصور مايقارب الألفي سنة . ورغم الفجوات الزمانية والمكانية الموجودة في تراث هذه المنطقة إلا أنه من الممكن رسم المعالم الرئيسية لتطور سورية خلال هذه الفترة . ويعود الفضل في توفر هذه الإمكانية إلى نتائج التحريات الأثرية الواسعة والى جهود المؤرخين واللغويين في استكشاف الشواهد الكتابية والانكباب على دراستها ونشرها.

لم تبدأ التحريات الأثرية في سورية إلا في وقت متأخر نسبيا إذا ما قورنت بما تم في مناطق أخرى من مناطق الشرق الادنى .

وبما أن المكان لايتسع لتحقيق مصوّر عن كافة مواقع التحريات الأثرية في سورية سنستعرض أهم المواقع التي جرت فيها تنقيبات أثرية أو التي ماتزال قيد التنقيب .

ـ بدأت في عام ١٩١١ بعثة أثرية ألمانية برئاسة البارون ماكس فون اوبنهايم أعمال التنقيب الأثري في تل حلف بالجزيرة السورية (حاليا قرب رأس العين على الحدود السورية التركية) . ثم تابعت البعثة أعمالها في عام ١٩٢٧ ، وقد أسفرت التنقيبات عن كشف آثار تعود الى عصور ماقبل التاريخ وتتمتع بأهمية بالغة . والى جانب هذا الكشف الهام ظهرت آثار قصر لأحد الملوك الآراميين وكانت التماثيل والمنحوتات المكتشفة في هذا القصر دليلا ماديا على المستوى الراقي الذي وصلت اليه الفنون في مطلع الألف الأول قبل الميلاد .

ـ باشرت بعثة أثرية افرنسية برئاسة السيد بيزارد في عام ١٩٢١ التنقيب في تل النبي مند القريب من حمص وأسفرت أعمالها عن كشف أجزاء من مدينة قادش التي ورد ذكرها في نصوص الألف الثاني قبل الميلاد كمسرح للمعركة الفاصلة بين الحثيين وجيوش رمسيس الثاني .

ـ قامت بعثة أثرية افرنسية برئاسة دومينسيل دوبويسون في ١٩٢٤ باجراء تحريات أثرية في تل المشرفة الواقع إلى الشمال الشرقي من حمص . وقد سلطت نتائج تلك التحريات بعض الضوء على مدينة قطنة التي ورد ذكرها في نصوص الألف الثاني قبل الميلاد .

ـ أجرت بعثة أثرية تشيكوسلوفاكية تحريات أثرية في تل رفعت الواقع على بعد ٣٥ كم شمال غرب حلب ، وكانت من نتائج أعمالها الكشف عن آثار مملكة أرباد الآرامية لكن تحريات البعثة الأثرية البريطانية التي استأنفت التحريات في الموقع نفسه خلال الستينات أبانت أن الانسان استقر في تل رفعت منذ العصر النحاسي (الألف الخامس قبل الميلاد) .

ـ عثرت بعثة أثرية افرنسية خلال تحرياتها الأثرية في النيرب قرب حلب بين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ على شواهد كتابية (مسمارية) ترقى إلى القرن السادس قبل الميلاد .

ـ اكتشفت بعثة أثرية افرنسية أثناء التنقيب الأثري بين ١٩٢٧ و ١٩٢٩ في تل ارسلان طاش القريب من عين العرب في الجزيرة السورية ، على منحوتات عاجية كانت متناثرة في أنقاض بناء مجاور لقصر الملك الآشوري تغلات بيلاصر الثالث (٧٤٥ ـ ٢٢٧ قبل الميلاد) ، كما عثرت البعثة نفسها على نصوص كتابية تؤكد أن المدينة الغائبة في باطن هذا التل كانت تحمل اسم (حداتو) .

ـ أزاحت البعثة الأثرية الافرنسية الآنفة الذكر خلال تحرياتها في ١٩٢٩ في موقع تل أحمر (تل برسيب) الواقع على الجانب الشرقي

من الفرات قبالة ارسلان طاش عن رسوم جدارية بديعة كانت تزين قصر الوالي الآشوري في مدينة تل برسيب القديمة .

– بدأت التنقيبات الأثرية المنهجية في رأس الشمرة (أوغاريت) في ١٩٢٩ ويعتبر هذا الموقع – الى جانب ماري – ثاني أهم موقع أثري في مجال الآثار الشرقية القديمة في الجمهورية العربية السورية .

– حقق العالم الأثري الافرنسي دومينسيل دوبويسون في ١٩٣٠ اكتشافا أثريا في تل خان شيخون الواقع على الطريق العام بين حماة ومعرة النعمان . فقد تبين له أن السكن في هذا الموقع تمتد جذوره إلى عصور تاريخية متعددة .

– تجدر الإشارة إلى أن السهول الخصيبة في شمال ووسط سورية تعج بالتلال الأثرية التي تعتبر ذخرا لعلماء الآثار لتحقيق الاكتشافات في المستقبل .

– يقوم في قلب مدينة حماة الشهيرة بنواعيرها ومبانيها التاريخية الجميلة ، تل أثري امتدت اليه معاول التنقيب في الثلاثينات على يد بعثة أثرية دانمركية برئاسة الاستاذ انغولت ، وقد ظهر أن السكن يتعاقب في حماة عبر مختلف العصور القديمة حتى العصر الحجري الحديث (الألف السادس قبل الميلاد) . كما أبانت المكتشفات أن حماة كانت عاصمة لمملكة آرامية لعبت دورا هاما في مطلع الألف الأول قبل الميلاد .

سنأتي فيما يلي على ذكر ثلاثة مواقع أثرية واقعة في الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية العربية السورية ، وهذه المواقع ، مثل بقية

المواقع في تلك المنطقة ، عرفت الاستيطان البشري بفضل ارتفاع نسبة هطول الأمطار السنوية التي ساعدت على قيام زراعة ثابتة . وسنبدأ بذكر تل شاغر بازار الذي حققت فيه بعثة أثرية بريطانية برئاسة ماكسويل مالاوان بين ١٩٣٥ – ١٩٣٦ مكتشفات أثرية هامة يتراوح تاريخها بين عصور ماقبل التاريخ والألف الثاني قبل الميلاد . كما حققت البعثة نفسها في تل براك (جنوبي القامشلي) نتائج باهرة حيث أزاحت الستار عن معبد يرقى في تاريخه الى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد وعن قصر بناه ملوك أكاد بين القرن الرابع والعشرين والقرن الثاني والعشرين قبل الميلاد(*) . وأخيرا نذكر تحريات البعثة الأثرية الأمريكية في تل الفخيرية الواقع في أعالي الخابور خلال عام ١٩٤٠

ثم قامت بعثة أثرية المانية برئاسة انطون مورتغات بمواصلة التحريات في الموقع نفسه بين ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وقد كشفت البعثتان عن آثار مدينة يعود تاريخها الى العهد الحوري – الميتاني (الألف الثاني قبل الميلاد) ، لكن المنقبين لم يعثروا على دليل يؤكد افتراضهم المسبق بأن عاصمة الميتانيين المعروفة باسم (واشوكاني) تقبع في ثنايا تل الفخيرية* .

نلاحظ من خلال السرد المقتضب أعلاه أن التحريات الأثرية في سورية كانت ناشطة حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وكان لعلماء

(*) بعد توقف جاوز الاربعين سنة استأنفت بعثة أثرية من جامعة لندن برئاسة دافيد اوتس التنقيب في هذا الموقع الهام منذ ١٧٧ (المترجم) .

(*) تم العثور في ١٩٨٠ بطريق الصدفة على تمثال حجري كامل لرجل يحمل رداؤه نقوشا مسمارية آشورية وأخرى آرامية غاية في الاهمية . فالتمثال لحاكم آشوري اسمه حدد يسمي وهو الوالي الاشوري على مدينة سيكانو / تل الفخيرية في القرن التاسع قبل الميلاد .

والتمثال موجود في المتحف الوطني بدمشق . (المترجم)

الآثار الفرنسيين قسط وافر في تلك الأعمال . لكن مإن تحررت سورية من السيادة التركية العثمانية حتى أصبحت في ظل الانتداب الافرنسي. وفي ١٩٤١ حصلت سورية على الاستقلال وفي ١٧ نيسان ١٩٤٦ خرج آخر جندي فرنسي من الأراضي السورية ومنذئذ بدأ الجانب السوري يشرف بنفسه على التحريات الأثرية المتزايدة بشكل ملحوظ . ففي عام ١٩٥٦ قامت بعثة أثرية سورية برئاسة السيد فيصل الصيرفي بالتنقيب في موقع عين داره الواقع الى الشمال الغربي من حلب ، وتحقق لها الكشف عن آثار مدينة تعود الى النصف الاول من الألف الأول قبل الميلاد فضلا عن العثور على تماثيل ومنحوتات حجرية ضخمة** .

وفي العام نفسه نفذت بعثة أثرية من المديرية العامة للآثار والمتاحف برئاسة الدكتور عدنان البني تحريات أثرية في تل الكزل القريب من طرطوس ، وبالرغم من أن البعثة لم تعثر على دليل يؤكد الافتراض بأن مدينة سميرا التي تتحدث عنها النصوص المسمارية الاشورية غائبة في باطن هذا التل ، الا أنه تم الكشف عن بقايا سكنية ترقى الى عصور متعاقبة وخاصة عصر البرونز الحديث وأوائل عصر الحديد .

حققت بعثة أثرية دانمركية في ١٩٥٨ اكتشافات هامة على الساحل السوري وبالتحديد في تل سوكاس القريب من جبلة ، اذ كشفت النقاب عن آثار متعاقبة لعصور ماقبل التاريخ وعصر البرونز الحديث ، وتجدر الاشارة إلى أن هناك تشابهاً كبيراً بين اسم سوكاس الحالي واسم مدينة

(**) بعد توقف اكثر من عشرين عاما استانفت بعثة اثرية سورية اخرى برئاسة الدكتور علي ابو عساف أعمال التنقيب في هذا الموقع الهام . (المترجم)

شوسكي التي يرد ذكرها مرارا في النصوص المسمارية المكتشفة في رأس الشمرة / أوغاريت .

تشرف المديرية العامة منذ سنوات على تنقيبات أثرية في موقع عمريت القريب من طرطوس وبالرغم من ان معظم الآثار المكتشفة في هذا المكان ترقى الى الفترة الهلنستية الا أن معبد الينبوع يعود الى أواخر العصور الشرقية القديمة ، أي قبل فتح الاسكندر لبلدان المشرق . ولذلك سنتخذ من هذا المعبد مثالا للفن المعماري الذي انتشر خلال فترة الانتقال الى الهلينستية .

أظهرت تنقيبات البعثة الأثرية الألمانية برئاسة انطون مورتغات الجارية منذ عام ١٩٥٨ في تل خويرة (قرب تل أبيض في الجزيرة السورية) معالم معمارية وتماثيل حجرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد . وفي حوران بجنوبي سورية اكتشفت بعثة أثرية سورية برئاسة علي أبو عساف في تل عشترة آثار مدينة تعود الى عصور البرونز .

أتاح مشروع بناء سد على نهر الفرات في أواخر الستينات المجال لقيام حملة واسعة من التنقيبات الأثرية في التلال والمواقع التي ستغمرها مياه البحيرة ، اذ تهافتت بعثات أثرية من المديرية العامة للآثار والمتاحف ومن معاهد الآثار في المانيا الاتحادية وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان وهولندا ولبنان ، على منطقة غمر السد ، وقد حققت تلك البعثات خلال تنقيباتها بين ١٩٦٩ و ١٩٧٥ نتائج مذهلة في مجال الآثار الشرقية القديمة . ومن أهم الاكتشافات نذكر على سبيل المثال ، موقع حبوبة الكبيرة الذي كان يغيب في ثناياه مدينة معاصرة لاوروك ، وموقع مسكنة / بالس الذي أكدت الرقم

المسمارية المكتشفة فيه أن ميناء ايمار القديم موجود في هذا المكان ، وموقع تل الحديدي الذي أبانت الرقم المسمارية المكتشفة فيه أنه يضم بقايا مدينة آزو التي يرد ذكرها في نصوص الألف الثاني قبل الميلاد .

إن ضيق المكان لايسمح لنا بتناول كافة المواقع التي يجري فيها التنقيب الأثري كذلك فان هناك الكثير من المكتشفات المتفرقة التي تحققت في مواقع لم يجر التنقيب فيها وهناك أماكن هامة مثل دمشق وحلب لامجال للتنقيب الأثري الواسع فيهما بسبب كثافة المباني المتأخرة والحديثة التي تحجب البقايا الدفينة تحتهما .

لاغرابة أن يكون عدد التلال والمواقع الأثرية التي تعود الى العصور الشرقية القديمة ، ضخما في سورية فالشواهد الكتابية تعج بأسماء البلدان ولو أننا نعتقد بأن القسم الأعظم من تلك البلدان لم تكن الا مجرد قرية أو بلدة . ورغم التحريات الجارية بنجاح منذ خمسة عقود من هذا القرن فان علم الآثار السورية مايزال أمام بداية تبشر بالخير الكثير .

إن القطع الأثرية المكتشفة في مواقع تعود الى العصور الشرقية محفوظة الآن في المتاحف ، أما مواقع التنقيب نفسها ــ وخاصة بقايا المباني المكتشفة ــ فان معظمها لايستحق الزيارة ، فالعوامل الجوية من أمطار وسيول ورياح أزالت الكثير من المعالم المعمارية المكتشفة . فمن اعتاد على رؤية آثار بعلبك في لبنان وتدمر في سورية وبومبي في ايطاليا سيخيب ظنه عند زيارة معظم مواقع التنقيب في تلال العصور الشرقية القديمة ــ خاصة التلال المنتشرة في الجزيرة السورية ــ حيث أن جل البقايا المعمارية المكتشفة مبنية بمادة اللبن والطين . أما ما يكتشف من

منحوتات وتماثيل وأنصاب حجرية فانه يتم نقلها الى المتاحف . بيد أن أهميةَ مواقع التنقيب الأثري لاتقاس بما بقي فيها من معالم معمارية أو بالآثار المنقولةِ منها الى المتاحف ، بل بما يستطيع العلم استقاءه من تلك الآثار ، فلوحة من الطين تحمل نقوشا كتابية أو تمثالاً صغيراً أو بقايا متواضعة من بناء ظاهر لاتقل أهمية في نظر عالم الآثار عن المعبد الكلاسيكي الشامخ في بنيانه حتى الآن . عندما تستعرض – أيها القارىء الكريم – صور المواقع الأثرية المنشورة في هذا الكتاب عليك ألا تنسى الإنجازات الحضارية والمادية التي تحققت ذات يوم في تلك الاماكن مثل الخطوط والكتابات التي نقشت في البداية على لوحات من الطين الرطب ثم وصلت الينا محفوظة حتى يومنا هذا بفضل تجفيفها تحت الشمس أو حرقها بالنار آنذاك ، إن مثل هذه الوثائق ذات أهمية بالغة جدا اذ أنها زودتنا بصور عن الحياة اليومية لما تحتويه من معلومات عن الدين والآداب وبوّاكير العلوم الطبيعية وعن مجريات التاريخ السياسي. وليس من قبيل المصادفات أن تكون سورية أول من ابتكر الأبجدية في فن الكتابة ، فسورية كانت نقطة لالتقاء مختلف التيارات الحضارية القادمة من الفرات ومن النيل .

تتصدر ماري واوغاريت وايبلا – بفضل الوثائق الكتابية المكتشفة فيها – كافة المواقع الأثرية المنتشرة في بلدان الشرق الأدنى القديم وذلك لانها أسهمت أكثر من غيرها في إثراء معارفنا عن هذه المنطقة الحضارية.

تل الحريري / ماري

يعود الفضل الى المصادفة وحدها في تحقيق أكبر اكتشاف في مجال الآثار الشرقية القديمة في قرننا هذا . ففي شهر آب من عام ١٩٣٣

توفي أحد الأعراب في منطقة الفرات الأوسط وفيما كان أفراد عائلته يقومون بحفر قبر له على ظهر تل الحريري الواقع على بعد حوالي ١١ كم الى الشمال الغربي من بلدة البوكمال ، فوجئوا بظهور تمثال حجري لرجل ملتح وكان التمثال يزن أكثر من ٣٠٠ كغ .

قامت السلطات الإدارية في البوكمال باستخراج التمثال من باطن الأرض ثم نقلته الى متحف حلب . بعدئذ قامت السلطات الأثرية في ظل الانتداب الافرنسي لسورية بتشكيل بعثة أثرية من متحف اللوفر وبرئاسة الاستاذ أندريه بارو للتنقيب المنهجي في موقع الاكتشاف . وهكذا باشرت البعثة المذكورة أول مواسمها في ١٤ كانون الاول من عام ١٩٣٣ ثم توقفت بعد ١٩٣٩ بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية واستأنفتها بين ١٩٥١ و ١٩٥٥ لتتوقف ثانية بسبب حرب السويس ثم عاودت البعثة أعمالها في ١٩٦١ ومنذ ذلك الحين والتنقيب المنهجي يجرى بمعدل شهرين الى ثلاثة أشهر كل عام .

عثرت البعثة خلال تنقيباتها في عام ١٩٣٤ على عدد من التماثيل الحجرية وكانت نقوش مسمارية تشفع كتف كل منها ولعل أهمها ذلك التمثال الذي تتألف نقوشه المسمارية من الكلمات التالية :

« أنا لمجي – ماري ، ملك ماري ، عالي ربّان الاله الليل ، أهدي تمثالي الى الربة عشتار »

كان العالم الأثري البرايت قد اقترح في عام ١٩٢٦ ان تكون مدينة

ماري ، التي يرد ذكرها في النصوص الرافدية ، غائبة في تل الحريري. وهاهي المكتشفات الأثرية في تل الحريري تؤكد صحة افتراضه .

أتاحت لنا نتائج التنقيبات الجارية في تل الحريري / ماري اقتفاء أثر ماريوتطورها حتى الألف الثالث قبل الميلاد ، أي العصر الذي ظهرت فيه السلالات الأولى في جنوبي بلاد مابين النهرين ، فعدد من المعابد المكتشفة في ماري يعود تأسيسه إلى ذلك العصر ، كما أبانت التنقيبات في منطقة القصر الملكي الكبير أن هذا القصر قد تهدم وتجدد أكثر من مرة منذ عصر السلالات الرافدية الاولى . (انظر الشكل ٤ والشكل ٥) .

كانت القطع الأثرية المكتشفة كثيرة في ماري وبخاصة التماثيل الحجرية لرجال في وضعية تعبد وابتهال لاسيما وانه تم العثور عليها في أرجاء المعبدين المكتشفين (انظر الشكل ١١) .

نستفيد من طبيعة أسماء الأشخاص الوارد ذكرهم في الرقم المسمارية المكتشفة في قصر ماري أن المدينة كانت مقرا لسلالة سامية ، أما النقوش المسمارية التي تشفع التماثيل الحجرية فانها لاتزودنا بمعلومات أخرى غير اسم صاحب التمثال واسم الجهة المهداة له ، لكننا نعلم من الوثائق المكتشفة في مواقع أخرى أن هذه المدينة الزاهرة وذات الموقع الجغرافي الحسن قد جذبت اليها جيوش الطامعين بها من الدول المجاورة ، ولعل الدمار الظاهر آثاره في المراحل الاولى من تعاقب بناء وتجديد القصر الملكي ، تعود أسبابه الى أحداث حربية مرت على القصر خلال فتوحات صارغون الاكادي (٢٣٠٠ ق م)

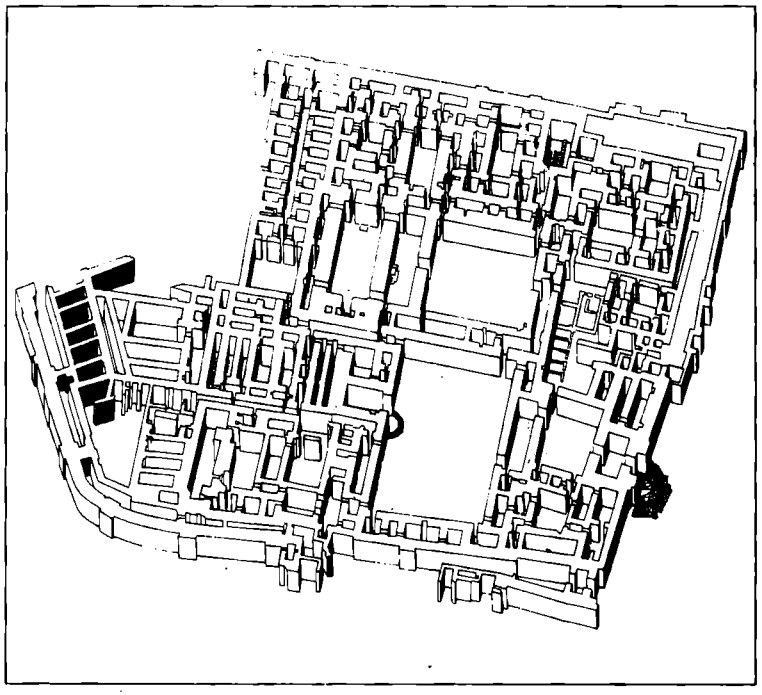

الشكل ٤٩

ماري : قصر زيمريليم في حوالي ١٨٠٠ ق . م

مخطط منظوري نقلا عن بارر

ونستفيد من المصادر نفسها أن ملوك أور في جنوبي الرافدين وسعوا سيطرتهم نحو الفرات الأوسط وعينوا ولاة لهم في ماري . لكن في هذا الوقت بالذات كانت موجة بشرية جديدة تعرف باسم الأموريين تتغلغل في بلاد مابين النهرين، واستطاع هؤلاء أن يؤسسوا تدريجيا دويلات صغيرة على أنقاض الدولة التي أسستها في الماضي سلالة أور الثالثة .

وكانت ماري من بين الدويلات الآمورية التي قامت الى جانب الدولتين الناهضتين في كل من آشور على دجلة وبابل على الفرات الأسفل.

شهدت ماري ازدهارها الكبير الثاني بعد الازدهار الأول الذي شهدته في عصر السلالات الاولى . وقد أظهرت التنقيبات الأثرية في تل الحريري شواهد باهرة على المستوى الحضاري الرفيع الذي وصلت اليه ماري في ظل الآموريين .

ولعل أضخم اكتشاف تحقق في تل الحريري من حيث الأهمية التاريخية ، هو العثور على المحفوظات الملكية المؤلفة من آلاف الرقم المسمارية ، فقد بلغ عدد الرقم المكتشفة حوالي ٢٥,٠٠٠ رقيم مكتوب باللغة البابلية ، وهي نصوص ادارية أو اقتصادية أو دينية أو مراسلات رسمية ، وجميعها تسلط الأضواء على الوضع القائم في ذلك الزمان في منطقتي الجزيرة والفرات .

زيمريليم هو أسم آخر ملك حكم في ماري ، فقد انتهى سلطانه وتهاوت مملكته قبل منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد . كشفت أعمال التنقيب الأثري عن بقايا القصر الذي كان يقيم فيه هذا الملك

ومن سبقه من ملوك على ماري . وتبين أن هذا القصر هو واحد من أضخم القصور التي قامت في بلدان الشرق الأدنى القديم . فهو يشغل مساحة تقارب ثلاثة الهكتارات والنصف ويتألف من أكثر من ثلاثمائة غرفة وباحة تنتظم في وحدات سكنية متجاورة تتألف كل منها من باحة تكتنفها مجموعة من الغرف (انظر الشكل ٤) . وبالرغم من أن القصر مبني بمادة اللبن فقد بقيت جدرانه قائمةحتى ارتفاع حوالي خمسة أمتار حتى يومنا هذا . (الشكل ٤و ٥) .

اذا تجولنا في رحاب القصر الذي كشفت عنه التقيبات الأثرية في موقع تل الحريري / ماري نجد أن كافة جنبات القصر المتشابكة تدور في فلك قاعة العرش . يبلغ طول هذه القاعة المهيبة مقدار ٣٦ م وفيها منصة كان يقوم فوقها كرسي العرش الذي يجلس عليه الملك تحت مظلة . ويضم القصر في جنباته جناح الحريم الملكي وجناح رجال البلاط والمشاغل اليدوية والمستودعات والمطابخ والحمامات المزودة بالأحواض الفخارية . وفي القصر مدرسة خاصة مزودة بالمقاعد الطينية الى جانب الجناح الاداري الخاص بموظفي القصر .

عثر المنقبون الأثريون على الكثير من التحف الفنية مثل تمثال ربة الفرات التي يتدفق الماء من طاسة تحملها بين يديها (انظر الشكل ٩) والرسوم الجدارية الملونة التي كانت تزهو بها مختلف قاعات وغرف القصر وهي ذات مواضيع دينية في غالبيتها . (انظر الشكل ١٠) .

الى جانب القصر الذي كان أعجوبة زمانة . وبعض الأحياء السكنية ، أماطت التنقيبات اللثام عن عدد من المعابد ومن بينها الزيقورة التي كانت تسمو في أجواء ماري منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

ماهو المصير الذي آلت اليه حاضرة الفرات ماري وكيف كانت نهايتها ؟ المصادر الكتابية تصمت لكن هناك وثيقة مسمارية مكتشفة في جنوبي بلاد مابين النهرين تذكر باقتضاب أن حمورابي ملك بابل وجه جيوشه لمحاربة حليفه السابق زيمريليم ثم احتل مدينة ماري . وتؤكد الشواهد والبقايا الأثرية المكتشفة في تل الحريري / ماري أن الدمار والخراب والحريق قد حل بالمدينة . ترى هل حدثت انتفاضة على قوات الاحتلال البابلي ثم قضي عليها وعلى المدينة بأكملها . اذا كان مثل ذلك قد حدث فلا بد أن كان في حوالي ١٧٦٠ قبل الميلاد . ويبدو أن ماري لم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ ، فالأدلة الأثرية تشير الى مجرد وجود عدد من الدور الفقيرة التي قامت بعد عدة قرون بين أطلال المدينة وأن ثكنة عسكرية أنشأها الآشوريون فوق أنقاض مدينة كانت ذات يوم عامرة .

ومرت الأيام والسنون وتراكمت الرمال فوق الأطلال والأنقاض وتحول المكان الى تلة لايتوافد الناس اليها إلا لدفن الأموات . وكانت محاولة الدفن الأخيرة التي قام بها الأعراب في ١٩٣٣ المفتاح الذي ساعد علماء الآثار في الدخول الى باطن ماري بعد أن طواها النسيان قرابة أربعة آلاف عام .

تل موديخ / ايبلا

في الوقت الذي ازدهرت فيه ماري خلال عصر السلالات الرافدية الاولى كانت مدينة أخرى في شمال سورية تتمتع بأهمية كبيرة . وقد اكتشفت المدينة بعثة أثرية ايطالية برئاسة الأستاذ باولو ماتييه . ففي

١٩٦٤ باشرت هذه البعثة أعمال التنقيب المنهجي في موقع تل مرديخ الواقع مسافة ٦٥ كم الى الجنوب الغربي من حلب . ويمر الطريق العام الواصل بين دمشق وحلب بالقرب من هذا الموقع . تبلغ مساحة الموقع ٥٦ هكتار وهو يتألف من تل مركزي (اكروبول بلغة علماء الآثار) .وسهل منبسط محاط بتضاريس تشير الى وجود سور في باطنها . ركزت البعثة المذكورة أعمالها في بادىء الأمر في منطقة الاكروبول وفي منطقة الباب الجنوبي في سور المدينة فكشفت عن معالم ذلك الباب وعن بقايا معبد وعن أجزاء من دور سكنية في السهل الواقع بين الباب الجنوبي والتل المركزي (الاكروبول) أما في منطقة الاكروبول فقد كشفت البعثة عن معالم معبد هام وعن قصر ملكي يرقى تاريخه الى عصر البرونز الوسيط (٢١٠٠ — ١٦٠٠ ق . م .

لكن الاكتشاف الكبير كان يتجلى في العثور على حوض كبير من حجر الكلس زينت وجوهه الأربعة بنحت نافر . وتشير الدلائل أن هذا الحوض الموجود حاليا في متحف دمشق وحوض آخر موجود حاليا في متحف حلب وأجزاء من حوض ثالث أن مثل هذه الأحواض كانت تستخدم للطهارة والاغتسال في معابد ذلك الزمان .

وفي عام ١٩٦٨ عثرت البعثة على جزء من تمثال رجل نقشت على كتفه إشارات مسمارية تعبر عن لغة أكادية وتذكر هذه الكتابة بعد فك رموزها أن صاحب هذا التمثال هو ايبيت ليم ملك ايبلا ، وبذلك تأكدت هوية المدينة الدفينة في باطن تل مرديخ ، علما أن اسم ايبلا كان يتردد أكثر من مرة في نصوص مسمارية مكتشفة في العراق وما

من أحد تكهن بأن ايبلا قد تكون غائبة في باطن هذا التل الى أن جاء الكشف .

في عام ١٩٧٣ بدأت التنقيبات في منطة القصر الملكي (ج) الذي يرقى الى عصر البرونز القديم أي بين ٢٤٠٠ — ٢٢٥٠ ق . م . يتألف القصر من باحة مراسم (٥٠ × ٣٥ م) كانت تحف الأروقة بجانبيها الشرقي والشمالي وكانت هناك أعمدة خشبية تحمل سقف الاروقة . تقوم في الرواق الشمالي مصطبة مشيدة باللبن وكان الملك يتربع على هذه المصطبة وكان يصل الى هذه الباحة عبر درج مهيب يهبط به من جناحه الخاص الواقع خلف الباحة .

كذلك هناك مدخل فخم في ظهر الرواق الشرقي يفضي الى أجنحة القصر المختلفة . وكان الجناح الرسمي الذي يضم مكاتب الادارة، يشكل الجزء الاهم في القصر وفي هذا الجناح عثر المنقبون الاثريون على حوالي ١٧٠٠٠ رقيم مسماري بين محطم وكامل وهذه الرقم مسطرة باشارات مسمارية معروفة من قبل في بلاد مابين النهرين . أما محتوياتها فتعالج أمورا اقتصادية وإدارية كما أنها تسجل حصص المواد الغذائية الموزعة وتجرد حساب الوارد والصادر من الأقمشة والألبسة والذهب والفضة والبعض منها ذو محتوى أدبي ينم عن علاقة فكرية مع التراث السومري في جنوبي مابين النهرين .

تسلط هذه الوثائق الهامة إلى جانب المكتشفات المعمارية والفنية الاخرى الأضواء على الدور الذي كانت تلعبه ايبلا في المواصلات التجارية خلال الربع الثالث للألف الثالث قبل الميلاد . فتجار ايبلا كان لهم باع في تجارة اللازورد المستخرج في أفغانستان والذي كان يصدر إلى إيران والعراق ومصر .

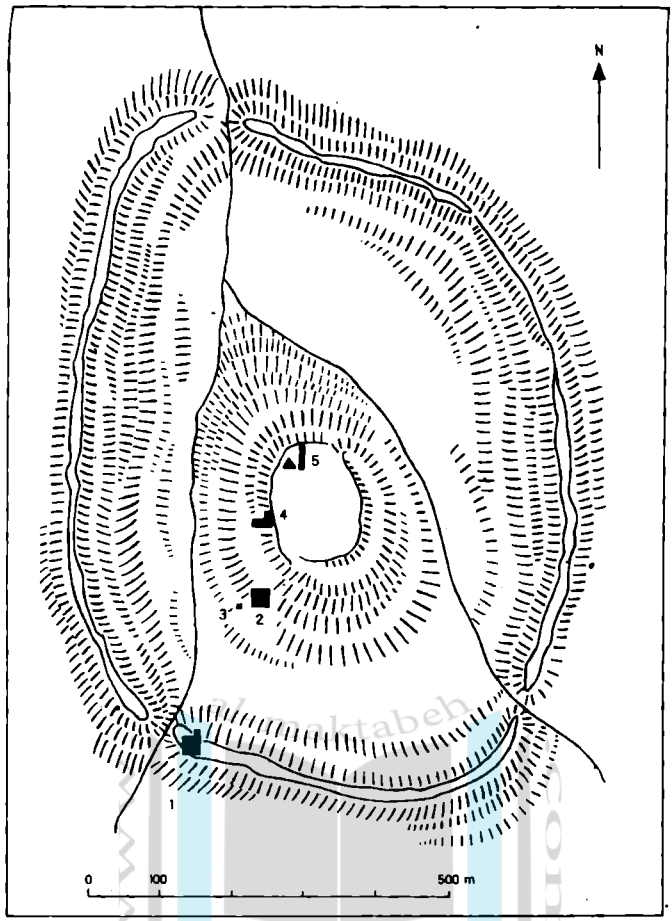

الشكل ٥٠

تل مرديخ / ايبلا : مخطط طبوغرافي للتل المركزي نقلا عن ماتيه

كانت ايبلا في الفترة التي سطرت فيها تلك الوثائق مملكة تسيطر على كامل سورية الوسطى والشمالية .

بالرغم من أن ازدهار ايبلا الأول وسلطانها الواسع قد انتهى في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد على يد ملك آكاد نارام سين الا أن المدينة ظلت مركزا هاما للفعالية الاقتصادية والإشعاع الحضاري .

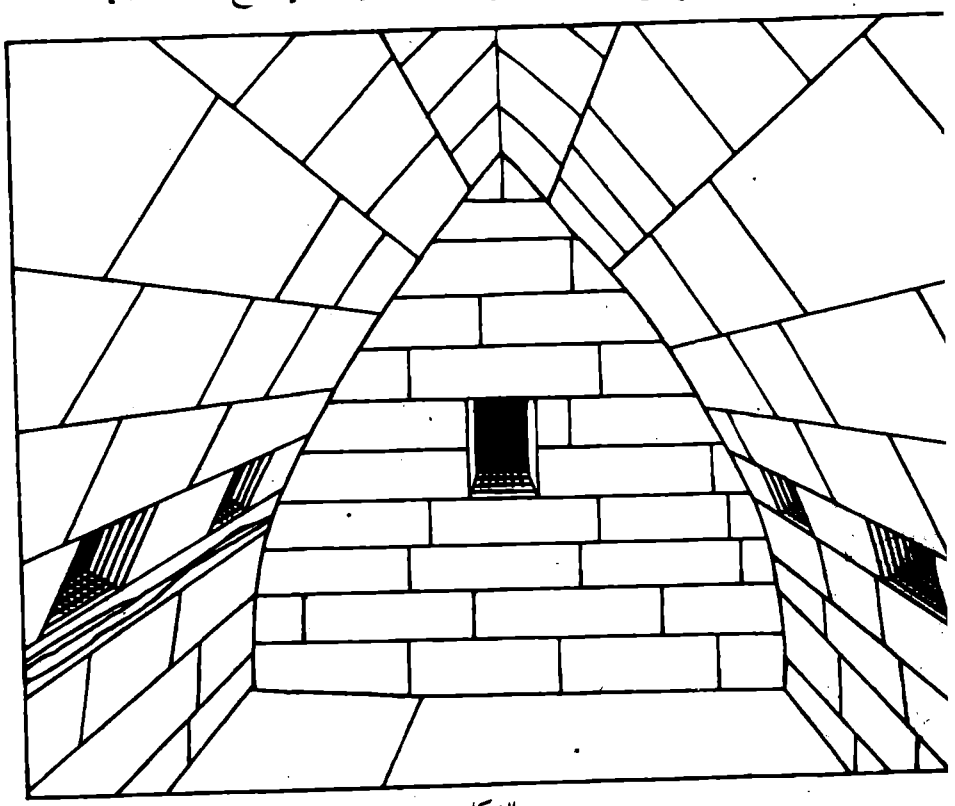

الشكل ٥١

أرخاريت / رأس الشمرة : مخطط منظوري لأحد مدافن أرخاريت ، نقلا عن شيفر

فقد أكدت الاكتشافات الأثرية التي تعود الى عصر البرونز الوسيط وخاصة اكتشاف المقبرة الملكية في باطن القصر الملكي الغربي . ان ايبلا ظلت تنعم بالثراء حتى ذلك الوقت كما كان لها علاقات طيبة

مع ملوك وادي النيل ويتجلى ذلك في العثور على صولجان فرعون من السلالة الثالثة عشر في مصر .

ـ التنقيبات التي يقوم بها الأستاذ باولو ماتييه ورفاقه مستمرة والأمل كبير بأن تظهر اكتشافات أخرى من شأنها أن تسلط الأضواء الكثيرة على تاريخ وحضارة سورية القديمة .

رأس الشمرة / أوغاريت

كانت مواسم التنقيب الأثري في رأس الشمرة / أوغاريت مثمرة بشكل انها لم تزد في معلوماتنا عن تاريخ وحضارة سوريةخلال عصر البرونز الحديث وحسب بل وأحدثت انقلابا في مفاهيمنا ومعارفنا السابقة . وقد لعب عامل المصادفة دوره الاساسي في اكتشاف هذا الموقع الأثري الهام ، ففي يوم من أيام ١٩٢٨ فيما كان أحد الفلاحين يحرث أرضه في موقع مينة البيضا الذي يبعد حوالي ١١ كيلو مترا الى الشمال من مدينة اللاذقية اصطدم محراثه بحجارة كبيرة حسنة

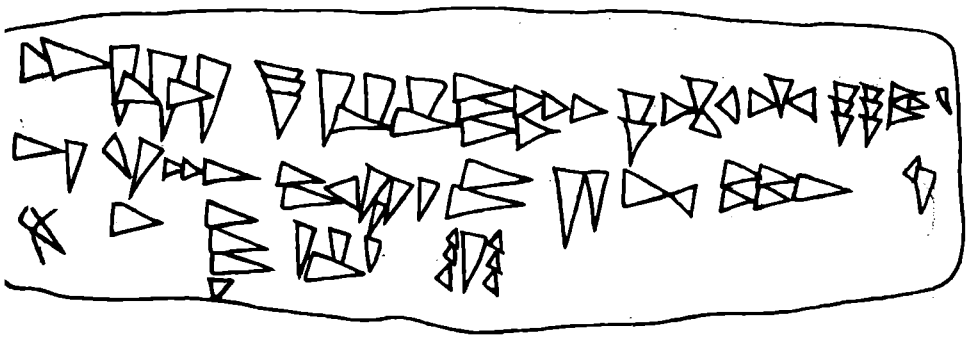

الشكل ٥٢

أوغاريت : الأبجدية على لوحة من الطين عثر عليها المنقبون في الأرشيف الغربي داخل القصر الملكي الكبير ـ هي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتتألف من ٣٠ حرفا من الإشارات المسمارية .

الأصل موجود في المتحف الوطني بدمشق .

النحت ومتظمة الشكل . وما أن تفحصها أصحاب الاختصاص حتى تبين بأنهم يقفون أمام سقف مدفن أرضي . قامت سلطات الانتداب الافرنسي آنذاك بتشكيل بعثة أثرية على رأسها الأستاذ كلود شيفر ، وفي عام ١٩٢٩ باشرت البعثة تحرياتها الأثرية في مكان الاكتشاف فتبين لها أن موقع مينة البيضا اليوم كان ميناء في الأمس البعيد ، ثم انتقلت معاول التنقيب الى التل المجاور لمينة البيضا والمعروف باسم رأس الشمرة .

استمر التنقيب منذئذ حتى يومنا هذا ولم ينقطع الا خلال الحرب العالمية الثانية . وقد أسفرت نتائج السنوات الطويلة أن المدينة الدفينة في هذا المكان هي مدينة أوغاريت التي كانت عامرة في غابر الزمان ، اذ ظهرت أدلة من أعماق التل على أن اللبنات الاولى في قيام هذه المدينة لامست الأرض الطبيعية في الألف السابع قبل الميلاد – أي منذ العصر الحجري الحديث – كانت المدينة الناشئة في ذلك الزمان البعيد مطوقة بسور منيع تبلغ ثخانته خمسة أمتار . لكن الشواهد الأثرية الأخرى تشير الى توقف الحياة في أوغاريت في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ولعل مرد ذلك يعود إلى قدوم هجرة بشرية جديدة وهي هجرة الآموريين. ومثلما حدث في ماري ، سرعان ما غدا الوافدون الجدد أسياد البلاد . وكشفت لنا الرقم المسمارية الكثيرة المكتشفة في اوغاريت أسماء مدن وبلدان كانت عامرة في عصور البرونز كما تؤكد على الهوية السامية الغربية الآمورية لملوك وحكام أوغاريت وغيرها .

أظهرت التنقيبات الأثرية في رأس الشمرة أدلة ساطعة على ازدهار أوغاريت خلال عصري البرونز الوسيط والحديث (حوالي ٢١٠٠ – ١٢٠٠ ق . م) . ثم حدثت الكارثة المميتة التي حولت المدينة العامرة الى أنقاض ورماد .

كان الساحل السوري يتعرض باستمرار للهزات والزلازل ويبدو أن زلزلة عظيمة ضربت أوغاريت حوالي ١٢٠٠ ق . م ولا بد أن رافقت الزلزلة حرائق هائلة، فالرماد وآثار الحريق تنتشر في كل مكان في أوغاريت . لابد يومئذ أن هجر المدينة من بقي على قيد الحياة من الناس فلا أثر لعودة الحياة فوق طبقة الحريق والأنقاض غير ما راكمته الدهور من أتربة ورمال لتسدل الستار على حاضرة كانت ذات يوم محط الأنظار وقبلة الزوار .

كان للموقع الجغرافي دوره الاساسي في ازدهار مدينة أوغاريت وإضفاء الأهمية عليها ، فوجودها على خليج بحري جعل منها ميناء يطل على العالم الخارجي ووجودها على شريط ساحلي خصب عريض نسبيا جعلها قريبة من مصادر الانتاج الزراعي وعلى اتصال سهل مع الداخل .

تقع جزيرة قبرص ، التي تحمل اسم (ألاشيا) في النصوص المسمارية ، قبالة أوغاريت ، وكانت الجزيرة محطة طبيعية في الحركة التجارية البحرية بين ساحل بلاد الشام والجزر الايجية .

ولما كانت الجبال القابعة خلف أوغاريت قليلة الارتفاع فانها لم تشكل حاجزا يفصل أوغاريت عن بقية أرجاء سورية الداخلية وبالتالي مع بلاد مابين النهرين . وهكذا تمكنت أوغاريت من احتلال مكانة مرموقة في الحياة التجارية لعصور البرونز وقد طالعتنا التنقيبات الأثرية بشواهد مادية على ذلك ، اذ عثر المنقبون على مصنوعات مصرية ورافدية وايجية وأناضولية ، لكن تجار أوغاريت لم يجلبوا معهم مصنوعات البلدان الاخرى وحسب بل وجلبوا معهم التيارات

الحضارية لتلك البلدان . فتمازجت تلك التيارات مع التقاليد المحلية وأصبحت جزءا من حضارة أوغاريت . وكان الكنعانيون ، الذين حكموا أوغاريت منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد يفضلون الحضارة المصرية على غيرها ، ويتبدى ذلك بجلاء في الآثار الفنية التي ظهرت في داخل القصر الملكي . ولقد بقي التأثير المصري قويا في هذا الميناء السوري الشمالي حتى أثناء السيطرة الحثية على أوغاريت في منتصف القرن الرابع عشر ق . م . ويتجلى التأثير المصري بشكل خاص في التحف الفنية الملوكية .

أزاحت التنقيبات الأثرية في أوغاريت الستار عن قصرين ملكيين ، الكبير منهما يحتل مساحة ٩٠٠٠ م٢ ويتألف من عدة باحات وحوالي ٦٠ غرفة . (انظر الاشكال ٦، ٢١، ٢٨) . وثمة أدراج ماتزال بقاياها ماثلة . تقود الى طابق علوي كان يحتوي على جناح الملك وحريمه وعلى قاعة للاستقبال (انظر الشكل ٢٦) . صمم القصر على هيئة حصن (انظر الشكل ٢٨) وفي الجانب الغربي منه يوجد نفق أرضي (انظر الشكل ٢١) أو باب السر . وذلك لمغادرة القصر أو الدخول اليه في الخفاء .

كشفت التنقيبات عن أجزاء من أحياء المدينة وظهرت منازل كانت ذات يوم للموظفين وللتجار وللحرفيين وللكهنة . أما حي الميناء فلم يقتصر على المستودعات والمخازن والأرصفة ، بل احتوى منازل التجار الأجانب وعائلاتهم ، ممن كانت تدعوهم الضرورة للبقاء فترة طويلة في أوغاريت .

ظهر العديد من السراديب الأرضية المشيدة بالحجارة النحيتة والمنتظمة في حي الميناء وفي أحياء المدينة ، في داخل البيوت وفي القصر الكبير وفي القصر الصغير وفي باطن المعابد وخاصة في معبد بعل وفي معبد دجن . (انظر الشكل ٣١) ، لكن شكل تلك السراديب يذكرنا بأشكال المقابر الميسينية في بلاد اليونان .

يظهر تأثير فنون شرقي البحر المتوسط في العمارة كما في الآثار المنقولة ،ففي مجال الأواني الفخارية عثر المنقبون الأثريون على العديد من الاواني المصنوعةفي كريت وفي ميسينية(بلاد اليونان)، كما عثروا على بقايا منحوتات من العاج تظهر على احداهن صورة لربة الخصب وهي ترتدي ألبسة كريتية وتقف بين عنزتين (انظر الشكل ٧) . وتظهر آثار الفن الايجي على طاستين ذهبيتين (انظر الشكل ٣٢) مزينتين بمناظر قنص وصيد وبأشكال أخرى . أما الفن المصري فيتجلى في تماثيل الالهة التي عثر عليها المنقبون بأعداد كبيرة (انظر الشكل ٢٠) وفي صفائح عاجية منحوتة كانت تزين سرير الملك ذات يوم .

كانت الشواهد الأثرية للفن الكنعاني الاوغاريتي كثيرة وهي تكشف لنا فنا يمتزج فيه التراث المحلي مع الفنون المستوردة آنفة الذكر .

كما في مجالي العمارة والفنون يظهر الخليط نفسه في الشواهد الكتابية المكتشفة في أوغاريت ، وقد أضفت المكتشفات الكتابية أهمية بالغة على هذا الموقع الأثري ، اذ التقط المنقبون الأثريون في أرجاء القصر الملكي وفي بيوت الأفراد آلاف النصوص التي سلطت الأضواء على المصير السياسي للمدينة وعلى اقتصادها وآدابها ، وأناربت لنا عالم

آلهتها خلال عصر البرونز الحديث (النصف الثاني للألف الثاني قبل الميلاد) ، الكثير من تلك النصوص كان مسطرا باللغة البابلية المسمارية، لغة المراسلات الدبلوماسية في ذلك الزمان. وتعالج تلك النصوص – في غالبيتها – علاقات أوغاريت مع الامارات الاخرى وخاصة مع ملوك الحثيين وولاتهم المحليين في كركميش (جرابلس اليوم) ، وبعض تلك النصوص عبارة عن رسائل أصلية وردت الى ملوك أوغاريت من ملوك الحثيين في عاصمتهم حاتوشا (موقع بوغازكوي الأثري شرقي انقرة) ، ثم صنفها حكام أوغاريت في محفوظاتهم الرسمية داخل القصر . وهناك بعض النصوص المسطرة باللغة الحورية وأخرى باللغة القبرصية– الكريتية . بيد أن الأهم من هذا وذاك تلك النصوص الكثيرة المسطرة بكتابة ولغة جديدتين كل الجدة ، وبعد تفكيك رموزها المسمارية تبين أن النصوص الجديدة مؤلفة بأحرف أبجدية استعانت بالاشارات المسمارية للتعبير عنها . وقد عثر المنقبون بين النصوص الجديدة على لوحة منفردة تحتوي على تلك الأبجدية ، وهي أول أبجدية ظهرت للوجود حتى الآن . تتألف الأبجدية الاوغاريتية من ٣٠ حرفا وقد استخدمت للتعبير عن لغة كنعانية ، والنصوص المسطرة بهذه اللغة لاتقتصر على كونها وثائق اقتصادية (صكوك بيع أو شراء أو مراسيم هبات أو ايصالات تسليم أو توريد وما شاكل ذلك) ، بل وان الكثير منها ذو طابع أدبي مأثور. تتلمس في ثنايا النصوص الأدبية وجود روابط مع الادب الرافدي والأدب الأيجي .

كان الإله بعل – إله المطر والعاصفة – يتصدر أرباب أوغاريت وقد نسجت النصوص حوله شبكةمن الروايات والأساطير ومن بينها تلك التي تتحدث عن بناء قصر له على قمة جبل زافون (جبل الأقرع اليوم) . ان هذا الجبل الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط ويعانق الغيوم بشموخه ، بدا المكان الأمثل لاستراحة « فارس الغيوم » و « سيد العواصف » الاله بعل الذي أزاح خالق الكون الاله « ايل » عن عرشه وحل مكانه في سيادة العالم المسكون .

يختلف عالم الآلهة في أوغاريت عنه في بلاد مابين النهرين وقد سبق أن ظهر مثل هذا التباين في تصورات أهل ماري على الفرات عن الآلهة والارباب . بيد أنه نلمس وجود تشابه واضح بين آلهة أوغاريت وتصورات اليونانيين القدماء عن آلهتهم في جبل أولمبيا .

إن التنوع الحضاري وتشابكه في بلاد الشام يتبدى في آثار أوغاريت بجلاء أكثر من أي مكان آخر في بلاد الشام .

عمريت (ماراثوس)

اذا تركنا أوغاريت وراءنا لنزور عمريت في الجزء الجنوبي من ساحل بلاد الشام التابع للجمهورية العربية السورية نكون قد قفزنا حلقة كاملة من القرون الزمنية . وبالرغم من أن التنقيبات الأثرية قد زودتنا بكمية من الآثار المنقولة ، الا أن مواقع التنقيب نفسها لاتحتوي على أطلال تستحق عرضها صورا في هذا الكتاب . ومن الأمثلة على فنون هذه الفترة التي حمل لواءها الآراميون نذكر التحف الفنية المكتشفة في تل حلف وفي تل برسيب (أو تل أحمر) وفي ارسلان

طاش (انظر الشكل ٣٦ والشكل ٤٠) . لكن في الوقت الذي أسس الآراميون والحثيون الجدد إمارات لهم في أرجاء سورية الداخلية ، وكانت المدن التجارية والفينيقية على الجزء اللبناني من سواحل بلاد الشام تنشر سيطرتها على كامل البحر الأبيض المتوسط ، لابد أن كانت مدينة عامرة تقوم في المكان المعروف اليوم باسم عمريت .

عرفت عمريت في الكتابات اليونانية باسم ماراثوس وهي تقع على بعد بضع كيلو مترات الى الجنوب من طرطوس ، وطرطوس حرفها اليونان الى انترادوس وحرفها الصليبيون الى ترتوزا ، والآن هي الميناء الثاني للجمهورية العربية السورية على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

تقع جزيرة أرواد قبالة طرطوس وعمريت ولا تبعد عنهما أكثر من أربعة كيلومترات ويبدو أن أهالي الجزيرة أسسوا عمريت مثلما أسسوا طرطوس فيما بعد ولعل الهدف كان لتأمين حاجات الجزيرة من المواد الغذائية ومياه الشرب والأخشاب . بيد أن عمريت لم يكن لها أهمية كميناء ولو أنه باستطاعة السفن الصغيرة الرسو عند مصب نهر عمريت في البحر . ونستشف من ثنايا الكتابات القليلة التي وصلت الينا من أيام الاسكندر الكبير المقدوني أن عمريت (ماراثوس) كانت تابعة لمملكة ارواد . بيد أنه لم تصل الينا كتابات أثرية أقدم عهدا من زمن الاسكندر المقدوني ، كما أن الكتابات الأثرية التي تعود الى عهود متأخرة لاتحتوي الا على معلومات غير مترابطة عن التطور التاريخي لعمريت . ولما كانت عمريت في أيام الاسكندر « مدينة كبيرة يعمها

الرخاء » – كما تذكر المصادر الكتابية – فلا بد اذن أن بدأ نموها خلال العصور الشرقية القديمة التي سبقت فتوحات الاسكندر للمشرق . ثمة معلومات متناثرة عن عمريت تتخلل سطور المؤرخين الرومان أو نستقيها من النقود المسكوكة في عمريت خلال أكثر من ثلاثمائة عام ، لكن هذه المصادر لاتزودنا الا بأخبار قليلة عن مصير عمريت ، كما أن أخبار المدينة تتوقف بعد حكم القيصر الروماني هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) .

ازدهرت عمريت خلال العهد السلوقي وأثناء الوجود الفارسي ، فالأطلال التي يواجهها الزائر في عمريت حاليا تعود الى الفترتين آنتفي الذكر ، غير أنه لم يصبح بالامكان حتى الآن تحديد تاريخها بدقة . كان ارنست رينان في ١٨٦٠ أول من أجرى تحريات في عمريت وتبعه موريس دونان في ١٩٢٦ لكن التحريات التي قامت بها المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية وسعت نطاق المعالم المكتشفة وتركزت في مكان المعبد أو معبد الينبوع . ومن الممكن أن يعود تاريخ نشوئه الى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد (انظر الشكل ٤١) .

والمعبد مكون من حوض منقور في الصخر الطبيعي بطول ٤٨ وعرض ٣٨ وعمق ثلاثة أمتار (انظر الشكل ٤٢)، كان يحيط بهذا الحوض رواق محمول على دعامات ضخمة مايزال بعض منها قائما حتى الآن . يستقي الحوض بالمياه من ينبوع يتفجر في داخل كهف في الضلع الجنوبي الشرقي للحوض . ويظهر أن هذا النبع كان له دور في الطقوس الدينية التي كانت تقام في هذا المعبد ، ففي وسط الحوض ينتصب هيكل مربع يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر وهو منحوت من قلب الصخر .

والهيكل مغلق في أضلاعه الثلاثة وضلعه الرابع مفتوح ويتوج أعلى الهيكل شرفات مدرجة ويتربع فوق هذا الاطار بنيان علوي مربع الشكل أيضا ويعلو جبهته شريط من المسننات المدرجة . يتقدم الهيكل في الضلع الشمالي للرواق بنيان منقور في الصخر لكن لم يبق منه الآن الا الجزء السفلي ، وهذا البنيان المتقدم ليس إلا المذبح ، وقد عثر المنقبان موريس دونان ونسيب صليبي بجانبه على عدد من الأنصاب والشواهد الحجرية . يلتصق برواق الضلع الشمالي جدار يحتوي على المدخل الاساسي للمعبد .

كشفت التقيبات الأثرية ، التي جرت في التل الواقع الى الشرق من المعبد ، عن بقايا دور ومنازل يرجع عدد منها الى فترة السيطرة الفارسية على عمريت ، كما التقط المنقبون في أنقاض تلك الدور عددا من الاواني الفخارية المصنوعة في قبرص خلال القرن السادس قبل الميلاد .

ظهرت في المنطقة الشمالية بقايا أدراج ملعب رياضي . ويبدو أن الملعب هذا قد اكتمل خلال الفترة الرومانية لكن لابد أن كانت نشأته في الفترة الهلنستية .

كانت هناك مبان ماثلة ، قسم منها نحت من الصخر ، لكن الأمطار والرياح أكلت منها وشربت على مر الدهر فتشوهت بالأخاديد والكهوف وأصبحت الآن ملجأ تأوي اليه الافاعي . ومع هذا ظلت أوابد معمارية أخرى سليمة يراها الناظر من بعيد وكأنها مَعْلم على ماضي عمريت التليد ، يطلق الأهالي على تلك الاوابد الماثلة اسم المغازل وهي مدافن تأسست في القرن الثاني أو القرن الأول قبل الميلاد . اثنان منهم متجاوران ولا يبتعدان عن بعضهما بعضاً الا بحدود ستة

أمتار ، والثالث ينفرد في الجنوب بمسافة مشوار قصير (انظر الشكل ٤٧ و ٤٨) . هناك ممرات في الخارج تقودنا الى المدافن الكائنة تحت المغازل .

تنتشر آثار عمريت في منطقة واسعة من الأرض ، وقسم من هذه الأرض مستثمر زراعيا . والزائر لايشاهد الا القليل من الآثار الماثلة التي فيها متعة للنظر ، لكن وجود عمريت على شاطىء البحر وقبالة جزيرة ارواد سيسد ذلك النقص وخاصة في فصل الربيع عندما تكتسي الأرض بسجادة بديعة من الحشائش والأزهار .

لقد قادتنا عمريت الى أجواء تخطت حدود العصور الشرقية القديمة وما عرضناه هنا من آثار ليس الا جزءا يسيرا مما كشفت عنه التنقيبات الأثرية أو التقطته يد المصادفة كما أن المستقبل مايزال يبشر بالخير في هذا الموقع الهام .

* * *

الفترة الهلنستية الرومانية

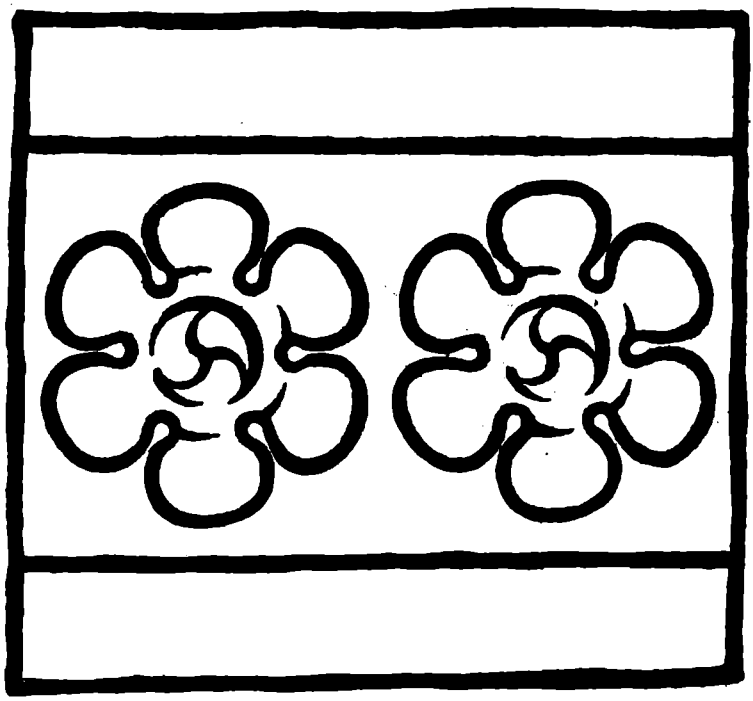

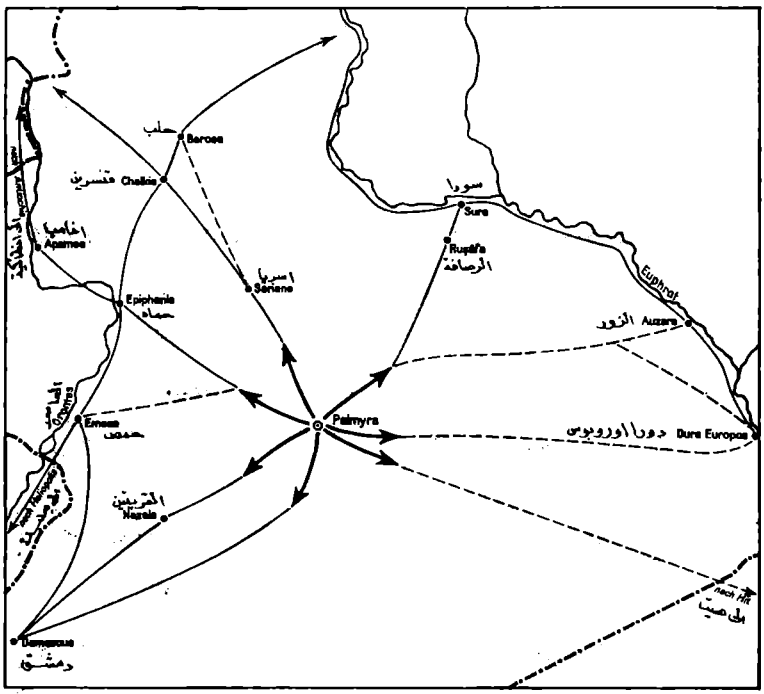
حلب
Beroea
قنسرين
Chalkis
سوريا
Sura
إفاميا
Apamea
الرصافة
Rusafa
إسريا
Seriane
Euphrat
Epiphania
حماه
الزور
Auzara
Palmyra
Emesa
حمص
دورا اوروبوس
Dura Europos
المزيرب
Nerab
Damascus
دمشق

عندما استعرضنا آثار عمريت كنا قد توغلنا بعيداً في فترة من التاريخ السوري التي تعرف بالفترة الهليسينية الرومانية . امتدت هذه الفترة قرابة سبعة القرون من الزمن ، بدأت بفتوحات الاسكندر المقدوني للشرق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وانتهت بتقسيم الامبراطورية الرومانية في نهاية القرن الرابع بعد الميلاد .

كان احتلال الرومان لبلاد الشام في ٦٤ قبل الميلاد نقطة تحول هامة في الحقبة الطويلة . بيد أنه سبق لنا التنويه الى أن هذا التقسيم الزمني يقوم على الاحداث السياسية ولا يصلح في ترتيب مراحل التطور الحضاري لبلاد الشام ترتيبا دقيقا . فالانتقال من مرحلة الى أخرى كان يتم بانسياب يصعب تحديد تاريخه .

بدأ تأثير العالم الإيجي على بلاد الشام قبل وصول الاسكندر المقدوني إليها بزمن طويل . كما أن تاريخ ٣٩٥ بعد الميلاد ، وهو تاريخ انقسام الامبراطورية الرومانية ، ليس الا مرسوما اداريا ولا يعني أن تحولا قد طرأ على بنيان بلاد الشام الاجتماعي والاقتصادي أو على حضارتها . ومع هذا لعبت الاحداث السياسية تلك دورا في خلق تطورات معينة قادت في نهاية مطافها الى قيام تحولات جذرية .

اذا كانت حضارة بلاد الشام خلال العصور الشرقية القديمة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التي أفسحت مجالا رحبا للتأثيرات

الخارجية وللتطورات المحلية الخاصة وبالتالي أثمرت تنوعا كبيرا في الأشكال الفنية ، فان الفترة الهلنستية الرومانية أيقظت انطباعة أكثر انسجاما وتماسكا . ففي المدن – وخاصة تلك التي تأسست فيها أحياء جديدة – قامت في ظل الطبقة المقدونية الحاكمة حركة حضارية نشطة تجلت في التراث المادي وخاصة في مجال العمارة . أما روما التي تخطى نفوذها المدن الكبيرة الى الارياف فقد شجعت على دمج بلاد الشام في بوتقة الحضارة الكلاسيكية لكنها تبنت في الوقت نفسه عددا من التقاليد والأصول الشرقية . وكان للقاء الشرق والغرب على أرض بلاد الشام ثمار مشتركة يصعب في كثير من الحالات تحديد حصة كل جانب منها .

بالرغم من أن الفترة الهلنستية الرومانية أقصر من العصور الشرقية القديمة ، الا أنها خلفت لنا العديد من الأوابد الأثرية . كذلك فقد لجأ الصناع خلال تلك الفترة الى مادة الحجارة في العمارة بصورة لم يسبق لها مثيل ، لاسيما وأن الحجارة تصمد أمام عواتي الدهر أكثر من مادتي الآجر واللبن . وبفضل هذه المادة وبفضل أعمال الترميم التي تقوم بها المديرية العامة للآثار والمتاحف لايزال بامكاننا المشي على طرقات مرصوفة تكتنفها الأعمدة وتتجول في داخل أوابد ماثلة منذ ذلك الزمان حتى يومنا هذا .

عندما فتح الاسكندر المقدوني بلاد الشام في أعقاب انتصاره في معركة إيسوس عام ٣٣٣ قبل الميلاد ترك البلاد موحدة وكما كانت عليه أيام الاحتلال الفارسي السابق ، لكنه استثنى منطقة الفرات لانها كانت طيلة تطورها التاريخي تخط طريقا خاصة بها . لذلك لم تتأثر

بالتيار الهلنستي العارم كما تأثرت به بلاد الشام الواقعة الى الغرب من نهر الفرات .

من بين خلفاء الاسكندر الذين اختلفوا فيما بينهم على الارث ، تمكن انطيخونوس مونوفثالموس من بسط سيطرته الكاملة على بلاد الشام لكنه سرعان ماتخلى عن سلطانه لصالح منافسه سلوقس نيكاتور ، وكان ذلك في سنة ٣٣١ ق . م . وامتدت سلطة السلوقيين حتى منخفض حمص . وأطلق سلوقس وخلفائه على أنفسهم منذئذ اسم « ملوك سورية » . بيد أن البطالمة – خلفاء الاسكندر في مصر – احتفظوا بكافة الأراضي الواقعة الى الجنوب من نهر الكبير الشمالي . وفي عام ٢٠٠ ق . م انتهى الصراع بين السلوقيين والبطالمة وذلك بضم سورية الجنوبية الى سلطان السلوقيين .

توسعت مدن كثيرة في بلاد الشام بفضل الأحياء الجديدة التي أقامها السلوقيون بجوار المدينة القديمة ، وجعل السلوقيون من مدينة أنطاكية عاصمة لدولتهم . ومع هذا اكتسبت أهمية متزايدة مدن أخرى مثل أفاميا واللاذقية ودورا اوربوس ، ففي كل من تلك المدن كانت الفعالية الاقتصادية ناشطة والحياة الفكرية متوقدة . غير أن الريف بقي بعيدا عن مثل هذا النمو .

لم يتمكن السلوقيون من الامساك بزمام الأمور كلية في منطقة سيطرتهم ، كما أن الفوضى السياسية الناجمة عن منازعات الملوك مع منافسيهم ومحاولات الاستقلال في المدن وتمرد الأمراء المحليين وتغلغل البارثيين الفرس حتى الفرات زعزعت أركان الدولة السلوقية في بلاد الشام وضعضعت بنيانها حتى أصبحت البلاد غنيمة بيد تيغران

الثاني ملك ارمينيا في ٨٣ قبل الميلاد ثم غدت لقمة سائغة ابتلعها الرومان في عام ٦٤ ق . م .

جعل بومبي الروماني من سورية ولاية رومانية في سنة ٦٣ ق . م ، لكن المناطق الجنوبية الشرقية ومنطقة تدمر ظلت بعيدة عن متناول السلطة الرومانية ، فالعرب الانباط ، الذين امتد سلطانهم من عاصمتهم البتراء حتّى حوران ، وصل نفوذهم الى دمشق لفترة محددة من الزمن . غير أن الرومان استطاعوا القضاء على تلك الأسر المحلية تدريجيا وجردوا مناطقهم من السلاح وجعلوا القبائل البدوية حراسا عليها .

ففي عام ١٠٦ ميلادية حول الوالي القيصري على سورية كورنيليوس بالما ، المناطق الشمالية للانباط الى ولاية عربية خاضعة لسلطة روما ، وجعل من بصرى الشام في جنوبي حوران عاصمة للولاية الجديدة . أما الأراضي التّي كان الرومان يسلبونها من البارثيين الى الشرق من نهر الفرات فكانت تضم الى ولاية مابين النهرين .

لم يطرأ تعديل جديد على نظام الولايات الشرقية الا في عهد القيصر سبيتيموس سيفيروس (١٩٥ ميلادية) . أراد هذا القيصر تقليص الصلاحيات الواسعة التّي منحها أسلافه من القياصرة الى حكام الولاية السورية الغنية ، فقسم تلك الولاية الى ولايتين ، سمّى الاولى ولاية سورية الداخلية (سورية السهلية) وتمتد من جبال لبنان الى تدمر التّي قضي على استقلالها ، وسمّى الثانية ولاية سورية الفينيقية ، ثم قام بتوسيع الولاية العربية بأن ضم اليها كل فلسطين وأقاصي جنوب بلاد الشام .

نشأ خلال فترة الوجود الروماني في بلاد الشام عدد من المدن الجديدة كما توسعت المدن القديمة توسعا ملحوظا ، وفي بلاد الشام كما في غيرها من البلدان ترسخت الصورة المتكاملة لهيئة المدينة الرومانية ونحن نواجه مثل هذه المدن في أماكن كثيرة لكن المجال لايتسع لاستعراض كافة تلك المدن ، لذلك سنقتصر على أهم الامثلة مع عرض صور لأهم أوابدها وآثارها .

البعض من تلك المدن ظل ماثلا فوق سطح الأرض متحديا بذلك عواتي الدهر كما استحوذ على إعجاب الرحالة في القرون الوسطى ، والبعض الآخر نفض علماء الآثار عنه غبار الدهر وأخرجوه من ظلمات باطن الأرض إلى النور .

تتصف المدينة ذات التخطيط الهلينستي بشكل قريب من المربع ولها بوابة في منتصف كل ضلع ، ويخترقها شارع رئيسي على جانبيه أروقة ظليلة ويتقاطع مع هذا الشارع شارع رئيسي آخر وينتصب عند نقطة التقاطع صرح معماري مؤلف من أربعة أعمدة ويعرف باسم التترابيل . تتعامد شوارع فرعية مع الشارعين الرئيسيين وتحصر فيما بينها مساحات مربعة أو مستطيلة من الاراضي التي تقوم عليها الدور والمنازل والمباني الرسمية . ومن بين المباني العامة التي تبرز معماريا نذكر المعبد الرئيسي والمعابد الصغيرة مثل معبد ربة المياه (نيمفايون) والحمامات العامة والمسرح وقصر الحكم .

كانت الزراعة هي الأساس الأقتصادي في انتعاش تلك المدن . وكانت بلاد الشام صومعة حبوب الامبراطورية الرومانية . وما من شك أن بلدانيي القرن الرابع الميلادي لم يبالغوا عندما ذكروا في

مؤلفاتهم أن « بلاد الشام بأكملها تسبح بفائض من القمح والشعير والزيت والنبيذ » .

الى جانب المنتجات الزراعية كانت هناك الأقمشة وأنواع الزجاج كما جنى أهالي بلاد الشام في ذلك الزمان أرباحا طائلة من وراء التعامل التجاري والوساطة في عقد الصفقات الدولية . فالتاجر السوري كان يجلب الحرير من بلده الأصلي في الصين . حاول الرومان حماية هذه الولاية الهامة باقامة الحصون على امتداد باديّي الشام والجزيرة . وما تزال بعض الحصون التي قامت في أيام القيصر ديوقليسيان – وهو صاحب هذه الفكرة – ماثلة للعيان حتى اليوم . أما بناء الطرق وتوسيع شبكتها فكان لخدمة التجارة العالمية ولأهداف عسكرية وستراتيجية أيضا . كذلك قام الرومان بتجديد وتحسين الطرقات التي كانت موجود منذ العصور الشرقية القديمة والهلنستية وطبقوا فيها أعلى مستويات الهندسة المدنية ، فجاءت طرقهم مرصوفة بالحجارة المنتظمة ومزودة بأميال حجرية للمسافات . (انظر الشكل ٩٨ ، ٩٩) . كانت هناك طريق ممتازة تنطلق من أنطاكية وتمر باللاذقية وطرطوس وأفاميا وحمص وبعلبك وبطليموس (جنوبي صور) ، كما كانت هناك طرق تجارية تحاذي الفرات من أعلاه الى أوسطه ، وكانت أفاميا عقدة الطرق المتجهة نحو الشمال (الى قنسرين / كاليسيس) والمتجهة نحو تدمر ونحو طرطوس على الساحل . أما مدينة سيرهوس (النبي هوري حاليا) وهي أقصى مدينة في شمالي سورية ، فكانت تصلها الطرق الجيدة من الفرات ومن وسط سورية ، وهناك طريق يحاذي الفرات يربط بين سميساط (حاليا في تركيا) وسورا (قرية الحمام بين مدينة الثورة

والرقة) ، ويتفرع من الحمام / سورا طريق آخر يصل الى الرصافة ومنها الى تدمر والقريتين (نزالا) وينتهي في دمشق . ولقد استخدم ديوقليسيان هذا الطريق وجعل منه فرعا يصل دمشق بمنطقة حوران وأصبح هذا الخط يعرف باسم طريق ديوقليسيان .

أفاميا) قلعة المضيق

تقع أفاميا القديمة على بعد حوالي ٢٠ كم الى الغرب من خان شيخون – أي ليست بعيدة عن الطريق العام الواصل بين دمشق وحلب . أطلال المدينة تنتشر على مساحة شاسعة لكن لم يكشف التنقيب الأثري الا عن جزء ضئيل منها .

تجثم المدينة على أطراف وادي العاصي (حاليا سهل الغاب) وفي مواجهتها سلسلة جبال اللاذقية (انظر الشكل ٥٥) . أما تل أفاميا الذي يطل على الغاب فقامت فوقه قلعة المضيق التي تعود أسوارها الى القرن الثالث عشر الميلادي . تشير الدلائل أن التل الجاثم تحت أسوار القلعة كان مدينة عامرة في العصور الشرقية القديمة ، فالموقع على وادي الغاب وعلى الطريق القديم الذي يربط بين الاجزاء الشمالية والجنوبية لسورية الداخلية يعزز مثل هذا الاعتقاد . ونستفيد من النصوص المسمارية المسطرة في الالف الثاني قبل الميلاد أن مدينة (نيّا) كانت عامرة على أطراف وادي الغاب في عصور البرونز ، بيد أنه ليس بالامكان التأكيد على أن (نيّا) غائبة في باطن تل أفاميا . لكن تحوتموس الأول وتحوتموس الثالث كانا يصطادان الفيلة في منطقة (نيّا) في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . الفيلة انقرضت في سورية ولا يمكنها أن تعيش الا في منطقة تسودها الحرارة والرطوبة وهما لايتوفران الا في مستنقعات وادي الغاب .

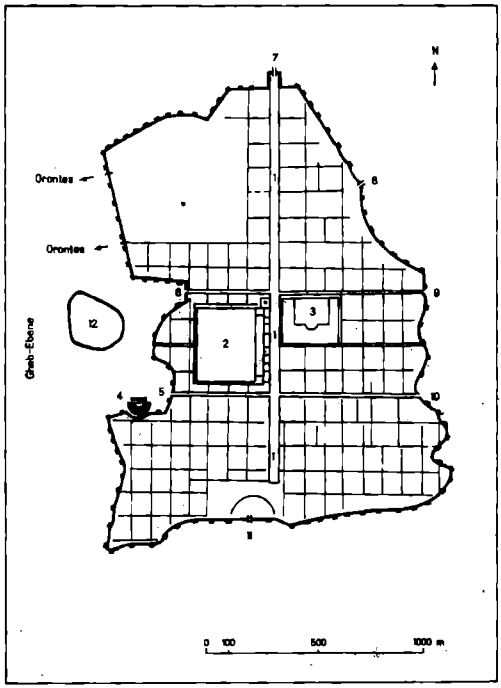

الشكل ١٠٤

– أفاميا : مخطط عام للمدينة نقلا عن لاكومت

١ – الشارع الأعظم
٢ – الاغورا
٣ – الحمامات
٤ – المسرح
٥ – باب لاريسا
٦ – باب اللاذقية
٧ – باب انطاكيه
٨ – باب قنسرين
٩ – باب أسريا
١٠ – باب تدمر
١١ – باب حماة
١٢ – القلعة

شهدت أفاميا ذروة مجدها في الفترة الهلنستّية الرومانية . فعندما وصل الاسكندر المقدوني الى هذه البقعة كانت هناك بلدة اسمها فارناكه وقد بدّله باسم (بيلا) تيمنا باسم منبت رأس والده في مقدونية . وعندما أصبح سلوقس الأول سيدا على سورية في عام ٣٠١ ق . م قام بتحصين وتوسيع تلك المدينة لكنه بدل اسم بيلا باسم أفاميا تيمناً باسم الأميرة الفارسية التي أصبحت زوجته في سوزا (بلاد عيلام) منذ أن كان قائدا من قواد الاسكندر المقدوني أثناء فتوحاته . وقد حافظ هذا الأسم على نفسه طيلة الفترة الرومانية وبعد التحرير العربي الاسلامي وأثناء الوجود الصليبي . لكن اسم أفاميا تراجع أمام اسم قلعة المضيق منذ القرن السابع عشر .

جعل السلوقيون من أفاميا مربطا للقسم الأعظم من خيول وفيلة جيوشهم ، وفي عام ٦٤ ق . م احتل القائد الروماني بومبي مدينة أفاميا بعد أن هدم قلعتها التي كانت في مكان قلعة المضيق الحالية، لكن سرعان مااستعادت المدينة ازدهارها وتكاثر عدد سكانها الى حد تستحق فيه اسم الحاضرة الكبرى . وبالرغم من أنها كانت مقرا لبطريكية خلال الفترة البيزنطية الا أن أهميتها بدأت تتضاءل تدريجيا كما أن ابتعاد طرق التجارة الدولية عنها عجّل في انحطاطها ، وكانت النهاية في احتلال الفرس لها عام ٥٤٠ م . ثم جاءت الزلازل وتهاوت مبانيها واتخذ الناس من آثارها مقلعا لحجارة لاتحتاج الى نحت أو تهذيب فأصبحت بقايا المدينة تتضاءل على مر الزمن .

اهتمت بعثة أثرية بلجيكية في الثلاثينات من هذا القرن بالكشف عن آثار أفاميا وترميمها ، وبعد توقف طويل استأنفت منذ الستينات

بعثة بلجيكية جديدة برئاسة جان شارل بالتي أعمال الكشف الأثري في الموقع لكن المديرية العامة للآثار والمتاحف تولت مهمة ترميم واعادة بناء الأوابد المكتشفة أو التي تساقطت أجزاؤها من شدة رجفة الزلازل في قديم الزمان . واذا ماقدر للسلطات الأثرية السورية الكشف عن معالم هذه المدينة الواسعة الأرجاء وإعادة بناء ما تهدم على يد الانسان والزلازل فان موقع أفاميا سيكون بدون أي شك في مقدمة المواقع الأثرية الهامة في الجمهورية العربية السورية .

ترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوى وادي الغاب ، ويطوقها سور يبلغ طوله ٦,٣ كم . وهناك سبع بوابات فخمة لتأمين الدخول إلى المدينة والخروج منها . وكل بوابة تتصل بطريق عام يتجه الى أنطاكية واللاذقية ولاريسا (سيجار) وحماة (ايبيفانيا) وتدمر وأسريا (سيريانا) وقنسرين (كالسيس) . أما داخل المدينة فيتألف من مساحات عقارية مستطيلة (جزر) ناتجة عن تقاطع ١٦ شارعا تتجه من الشمال إلى الجنوب مع ١٦ شارعا تتجه من الشرق الى الغرب . يمتد الشارع المستقيم الرئيسي مسافة ١٧٧٤ م وهو يصل بين باب أنطاكية الكبير في الشمال وباب حماة في الجنوب . وهذا الباب ينخفض في مستواه حوالي عشرة أمتار عن سوية الباب الشمالي لأن الأرض التي تقوم عليها المدينة تنحدر من الشمال الى الجنوب . يبلغ عرض هذا الشارع ٣٧ متراً بما في ذلك الاروقة الظليلة التي كانت تحف بجانبيه . تلتصق بالاعمدة ذات الطراز الكورنثي قواعد بارزة كانت تحمل تماثيل وجهاء المدينة والشخصيات التي تفانت في خدمتها . (انظر الأشكال ٥٣ ٥٦ ٦٠ ٦١) .

يقطع هذا الشارع المستقيم شارعان رئيسيان يصل كل منهما بين بابين من أبواب المدينة ، وكان الجنوبي منهما بطول ١١٥٠ م وتلتصق بأعمدة أروقته الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء . وكان العرض الوسطي للشوارع الثانوية يبلغ حوالي ستة أمتار . بالقرب من الشارع الأعظم وفي مركز المدينة كانت تتربع الاغورا وهي الساحة الكبرى التي تكتظ بالناس من مختلف الطبقات والأجناس ، وبجوارها تقوم الحمامات التي كانت في نفس الوقت مجالس للخاصة والعامة من الناس . أما المسرح الضخم الذي يجرى الكشف عن تفاصيله على قدم وساق ، فكان يقع خارج أسوار المدينة حيث كان لانحدار الأرض نحو وادي الغاب ميزة خاصة في تأمين الميل اللازم للمسرح المدرج . يبلغ عرض خشبة المسرح وكواليسه ١٤٥ م وهو بذلك أكبر مسرح نشأ في عهد الرومان على الأطلاق .

يستمتع المتربع على الدرجات العليا للمسرح بمنظر خلاب لوادي الغاب ولقلعة المضيق المرابضة على ارتفاع .

دورا اوروبوس (صالحية الفرات)

أبرق ضابط انكليزي الى رؤسائه في يوم من أيام ١٩٢١ يفيدهم بأنه احتل تل الصالحية على الفرات لكنه اكتشف في أحد أركان هذا التل « رسوما جدارية مدهشة الألوان وحالتها على أتم مايرام » .عندما حفرت بعثة أثرية برئاسة ج . بريستد الأمريكي لم يكن أمام البعثة الا يوما واحد لإجراء التحريات على مكان الأكتشاف ، اذ وصلت الأوامر الى الضابط الأنكليزي وفرقته باخلاء التل . بيد أن الدراسة السريعة للرسوم الجدارية ومكان الأكتشاف على يد العالم بريستد أثارت اهتمام الباحثين في العالم ، وسرعان ما أن وفدت بعثة أثرية افرنسية

الى هذا الموقع الذي أصبح بعد اخلاء الانكليز منطقة الفرات جزءا من نطاق الانتداب الأفرنسي على سورية . أجرت البعثة الجديدة تنقيبات منهجية بين ١٩٢٢ و ١٩٢٣ ثم توقف العمل لتستأنفه في ١٩٢٨ بعثة أثرية افرنسية – أمريكية مشتركة وظلت هذه البعثة تواصل التنقيب حتى ١٩٣٦ وكان حصاد ذلك العمل الطويل والدؤوب مجديا للغاية فالى جانب الرسوم الجدارية الكثيرة عثر المنقبون على العديد من النقوش الكتابية اليونانية واللاتينية والتدمرية .

ومع هذا ماتزال هناك مساحات كبيرة من هذا الموقع تنتظر معاول التنقيب ، فالمدينة الدفينة في هذا المكان تبلغ مساحتها ٧٣ هكتار .

تدين مدينة دورا اوروبوس بنشوئها وازدهارها لملاءمة موقعها الجغرافي فهي تتربع على حافة البادية التي تنحدر بانكسار شديد نحو وادي الفرات ،وكانت تتحكم بالتجارة النهرية على الفرات الذي يخترق البلاد الواقعة بين الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط . وتعتبر دورا اورويوس بوقوعها على طريق المواصلات هذه وريثة لمدينة ماري الواقعة الى الجنوب منها بمسافة عشرين كيلومترا ، وماري ازدهرت بفضل التجارة العالمية على الفرات لمدة أكثر من ألف عام ، ثم دمرها حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ولم تقم لها قائمة منذ ذلك الزمان .

تنحدر الأرض التي تقوم عليها دورا اورويوس بانكسار شديد نحو وادي الفرات من جهاتها الشرقية والشمالية والجنوبية مما أكسب المدينة مناعة طبيعية ضد الغزاة ولم يتطلب الأمر الا بناء جدار عال على طول تلك الجهات . أما الجهة الغربية التي تطل على البادية الواسعة الارجاء فقد تحصنت بالاسوار والأبراج والخنادق .

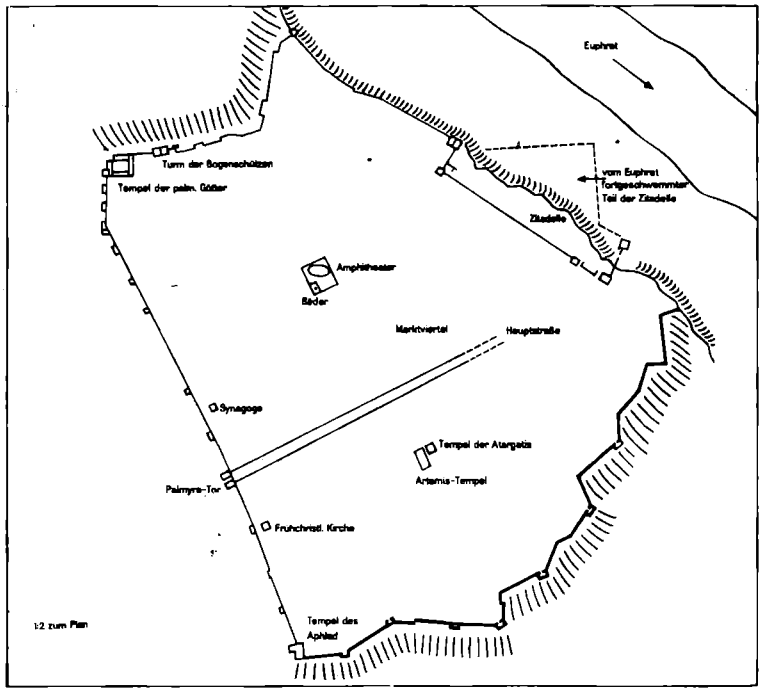

الشكل ١٠٥

دورا أوروبوس : مخطط عام للمدينة نقلا عن روستوفيف

كانت الكتلة الصخرية الرابضة على شاطىء الفرات مكانا مناسبا لاقامة قلعة مهيبة ترهب الاعداء . لقد تمت تلك الأعمال على يد سلوقس الأول . وفي نهاية القرن الرابع ق . م قام أحد قواده المدعو نيكاتور ببناء حصن في هذا المكان وأطلق عليه اسم اوروبوس تيمنا باسم منبت رأس مليكه سلوقس في مقدونيا،وقد سبقت اسم اورويوس كلمة دورا أو دور التي تعني باللغة السامية القديمة « الحصن » . ويبدو أن مدينة دورا اوروبوس كانت تعرف باسم دورا نيكاتور أي حصن نيكاتور وذلك كما ورد في النقوش الكتابية المكتشفة في هذا الموقع .

رغم توفر العديد من الكتابات المكتشفة في دورا اوروبوس وورود ذكر المدينة في مصادر أخرى ، مايزال التاريخ السياسي لهذه المدينة مليئاً بالثغرات .

كان مصير دورا اوروبوس متقلبا . فهي تقع في نطاق الحدود الفاصلة بين السلوقيين والبارثيين ثم بين الرومان والبارثيين وأخيرا بين الرومان والساسانيين وكانت علاقات القوى تتبدل في كثير من الأحيان . ففي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد استولى البارثيون على القلعة السلوقية ، وكانت ماتزال بأيديهم عندما احتل الرومان بلاد الشام وجعلوها جزءا من الامبراطورية الرومانية ، ولم يصبح للرومان موطىء قدم على الفرات الا في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد ، ومع هذا لم تكن أقدام الرومان ثابتة على طول الفرات فقد كانوا يتعرضون باستمرار لهجمات البارثيين . وفي منتصف القرن الثالث بعد الميلاد سقطت دورا اوروبوس بيد الساسانيين وسرعان ماتراجع الساسانيون أمام التدمريون . وهاهم التدمريون ينسحبون من دورا اوروبوس للذود عن مدينتهم

التي كان مصيرها في مهب الريح ، وكانت النتيجة أن سقطت تدمر بأيدي الرومان في ٢٧٣ ميلادية وعاد الساسانيون إثرئذ الى دورا. لكن المدينة بدأت تتضاءل في أهميتها تدريجيا ويبدو أنها خلت من سكانها تماما ، فبعد حوالي مائة عام أي في ٣٦٣ بعد الميلاد مر بها أحد القادة الرومان ولم يجد بها أنيساً فقال « هذه أطلال مدينة كانت ذات شأن في يوم من الأيام » .

كان الطريق العام الواصل بين دير الزور والبوكمال حتى وقت قريب يخترق أطلال دورا اوروبوس أما الآن فانه يمر الى الغرب منها. اذا اتجهنا نحو الاطلال فسيقع نظرنا قبل كل شيء على سور طويل ومعزز بأبراج ، وهو السور الغربي الذي كان يصد المهاجمين القادمين من بادية الشام ، (انظر الشكل ٦٣) ، يخترق منتصف ذلك السور باب ضخم وهو المدخل الوحيد الى المدينة من هذا الجانب . ولما كان هذا الباب في قبالة تدمر فقد أطلق المنقبون الأثريون عليه اسم باب تدمر (انظر الشكل ٦٢) .

يبدأ الشارع الأعظم في دورا اوروبوس من باب تدمر بعرض ١٤,٣ م ويمر بأسواق ظليلة وينتهي عند حافة وادي الفرات . أزاح المنقبون الستار عن بقايا معبد يقع في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة وتبين أنه معبد خاص بالجالية التدمرية التي كان لها شأن في هذا المكان .

كان المعبد مخصصا لآلهة تدمر الثلاثة ، ولا غرابة في ذلك فعبادة هؤلاء الآلهة كانت منتشرة في منطقة الفرات وخاصة الاله التدمري (بل) . وتجدر الاشارة الى أن الرسوم الجدارية التي اكتشف الضابط الانكليزي وجودها في دورا اوروبوس عام ١٩٢١ ، هي الرسوم

الشكل ١٠٦

دورا اوروبوس : منظر الرسوم الجدارية في المعبد التدمري

التي تزين المعبد التدمري الآنف الذكر . يتصل هذا المعبد بسور المدينة بوساطة أحد الأبراج ، وهو يتألف من باحة كبيرة مستطيلة الشكل تكتنفها عدة غرف (انظر الشكل ٦٤) . يقع المعبد في الغرب ويتقدمه رواق لم يبق من أعمدته الا أربعة (انظر الشكل ٦٥ ، ٦٦) ، أما الهيكل (قدس الأقداس) فيتمتع في ظهره بحنية نصف مستديرة تطل نحو المدخل وفي هذه الحنية كانت تنتصب تماثيل الالهة المعبودة . كانت جدران الهيكل مزينة في الداخل برسوم ملونة وأشهرها رسوم

الجدار الجنوبي . تمثل تلك الرسوم منظرا لتقديم الاضاحي حيث نشاهد المدعو كونون ين نيكوستراتوس يقوم مع اثنين من الكهنة بتقديم ذبيحة بحضور كافة أفراد عائلته . يمسك كونون بشريط زهري اللون وله نهايات زرقاء وبرباط آخر لعلهما كانا يزينان قرني الذبيحة . بتقدم كونون بخطوة ، كاهن يعتمر قبعة عالية بيضاء اللون ويرتدي ثوبا طويلا أبيض اللون أيضا وأمامه مزهرية زرقاء من الخزف ويظهر منها غصن نباتي . يحمل الكاهن بيده اليسرى طاسة وجرة من الخزف الأزرق . نلاحظ وجود خنجرين في باطن الطاسة ولا بد أن كانا مخصصين لذبح الضحية . هناك كاهن ثان بجانب الأول وهو يقف أمام مذبح للبخور . أما بقية أرجاء المنظر فيملأه أفراد عائلة كونون .

أظهرت التنقيبات معالم العديد من المباني الهامة مثل الاغورا والسوق التجارية والمسرح والحمامات وبرج الرماة ثم عددا من المعابد الدينية المختلفة مثل معبد ارتيميس ومعبد اتارغاتيس والكنيسة المسيحية فضلا عن الدور السكنية وشوارع المدينة الرئيسية .

تطل القلعة الشامخة فوق كتلة صخرية محاذية لشاطىء الفرات على المدينة بسور طويل تخترقه ثلاثة أبواب معززة بأبراج (انظر الشكل ٥٨) أما الجانب الشرقي الذي يطل على الفرات فقد تآكل بفعل هجمات الغزاة عليه عبر القرون (انظر الشكل ٥٩) .

كانت المكتشفات الاثرية كثيرة في دورا اوروبوس نذكر منها التماثيل والمنحوتات البارزة والمباخر واللمى الطينية والأواني الزجاجية والفخارية والخزفية وهناك دروع من الجلد وبقايا أقمشة وسرج حصان من البرونز ، كل تلك المكتشفات شواهد مادية على الحياة اليومية والممارسات الدينية وفنون الحرب ، وهي الى جانب الشواهد المعمارية

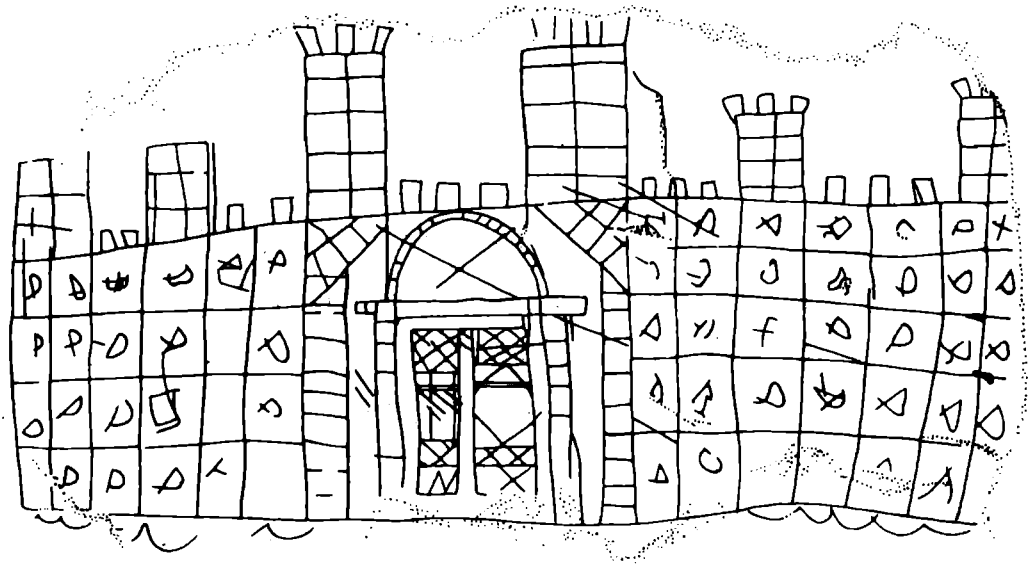

الشكل ١٠٧

دورا اوروبوس : خطوط بالأسود على الجدار تمثل باب تدمر

والعمرانية تقدم الدليل الساطع على أن المدينة ظلت شرقية الطابع رغم هيمنة الأساليب الأغريقية والرومانية .

كانت أفاميا ودورا اوروبوس من المدن التي أسسها السلوقيون وحافظت على ازدهارها في ظل الرومان أيضا لكن هناك مدن أخرى لم تعرف الازدهار الا بعد الفتح الروماني ، وتقع تلك المدن في منطقة حوران وجبل العرب في جنوبي الجمهورية العربية السورية . وما أكثر الأوابد الأثرية في هذه المنطقة الآن . وتجدر الاشارة أن خصوبة الأرض البركانية مكنت الناس من جني محاصيل هائلة من القمح والحبوب الى حد أنها جعلت من منطقتي حوران والجبل صومعة رئيسية لتموين كافة أرجاء الامبراطورية الرومانية بالحبوب .

قبل وصول الرومان الى بلاد الشام وضمهم منطقة حوران الى الولاية العربية منذ ١٠٦ بعد الميلاد ، كانت حوران والجبل جزءا من مملكة العرب الانباط . لكن آثار الانباط قليلة الآن وربما غاب معظمها تحت المباني والمنشآت التي قامت بعدئذ في زمن الرومان ، وآثار هؤلاء منتشرة في كل بقعة من بقاع جبل العرب وحوران ، ففي بلدة الصنمين (ايره القديمة) ما تزال هناك أطلال معبد تأسس في ١٩١ بعد الميلاد ، وفي بلدة انخل الواقعة الى الجنوب من الصنمين توجد بقايا فيلا تعود الى ١٧١ ميلادية أيضا ، وفي السويداء (سوادا أو ديونيسوس القديمة) نشاهد هنا وهناك بقايا مبان هامة . وفي هذه المدينة تم اكتشاف عدد من الآثار الثمينة (انظر الشكل ١٠٠) ، وفي سيع القريبة من قنوات توجد بقايا معابد وثنية الى جانب أطلال معبد نبطي كان مخصصا لعبادة رب السموات الاله بعل شمين . تعود أطلال المعبد الماثلة في بلدة عتيل قرب السويداء الى أيام حكم القيصر انطونينوس بيوس (١٥١ ميلادية) ، لكن معبد المشنف (نيلا القديمة) تأسس بعد ذلك التاريخ بفترة وجيزة . وفي بلدة شقا (ساقيا أو ماكسيميا نوبوليس القديمة) نشاهد بقايا دار هامة من ذلك الزمان ، الى جانب العديد من الأطلال البيزنطية . أما قلعة صلخد (سلخا القديمة) فتعود أصولها الى العرب الانباط ثم تجدد بناؤها في عهد الاسلام .

ان هذه الامثلة كافية لنتصور مدى ثراء حوران والجبل بآثار العرب الانباط وآثار أحفادهم في ظل حكم الرومان . ونظرا لضيق المكان سنسلط الأضواء ونفسح المجال للحديث عن ثلاث من أهم المدن التي كانت عامرة وذات شأن في ذلك الزمان ، وهي قنوات وشهبا وبصرى الشام .

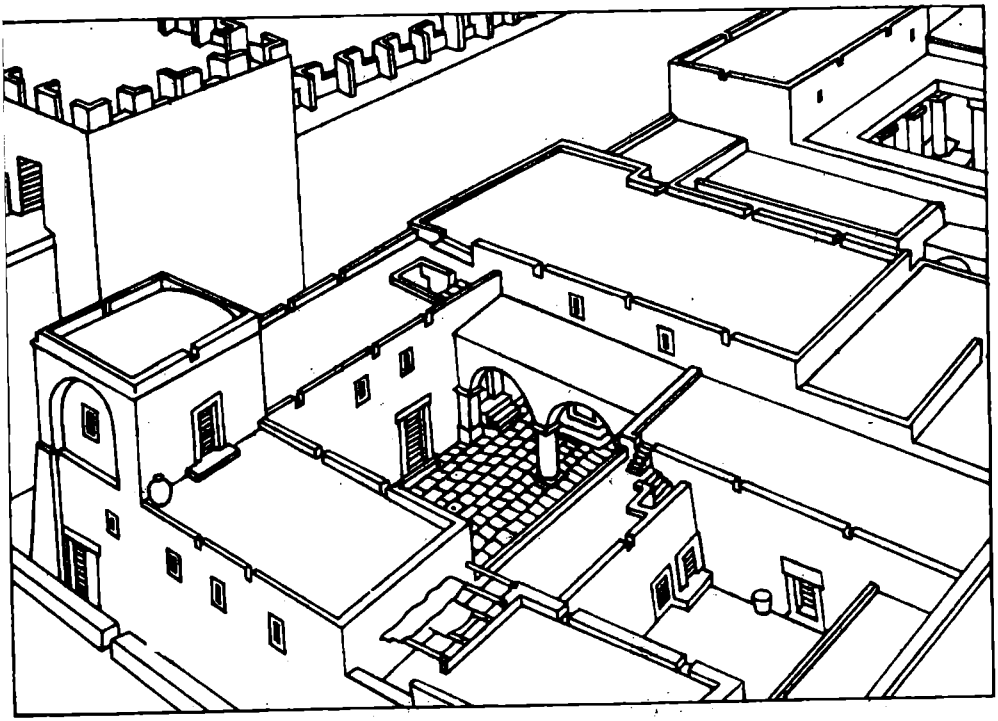

الشكل ١٠٨
دورا أوروبوس : رسم خيالي لدور ومنازل في المدينة

بصرى الشام

تقع بصرى في سهل خصيب هو امتداد للمنحدرات الجنوبية الغربية لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠ م عن سطح البحر (انظر الشكل ٦٨) . يتردد اسم بصرى في النصوص المسمارية التي تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد وكانت تعرف باسم بوصرونا كما كانت عاصمة لامارة . لكن أخبار بصرى تختفي من المصادر المكتوبة طيلة أكثر من ألف عام ثم تعود للظهور بعد فتح الاسكندر المقدوني لبلاد الشام . وعندما اشتد ضعف دولة السلوقيين في أواخر الألف الاول قبل الميلاد قام العرب الانباط بتوسيع سلطان دولتهم نحو الشمال واستطاع أحد

ملوكهم بسط نفوذه على دمشق وفي هذه الاثناء تحولت بصرى الى مدينة محصنة صعبة المنال ، فموقعها الجغرافي ستراتيجي وهام واقتصادها يتصف بالغنى والثراء بفضل السهل الخصيب الذي يطوقها من كل مكان .

عندما احتل الرومان بلاد الشام ظلت بصرى ومنطقة حوران بيد الانباط وكانت حدودها الشمالية محاذية لولاية سورية التي شكلها الرومان . وبقي الأمر على هذه الحال الى أن أصدر القيصر تراجان في عام ١٠٦ بعد الميلاد أوامره بالقضاء نهائيا على دولة الأنباط ، وعندما تحقق له هذا المنال اقتطع الأطراف الشمالية من دولتهم ومنها منطقة حوران ، وشكل منها الولاية العربية التي غدت واحدة من أهم ولايات بلاد الشام ، وكانت بصرى عاصمة الولاية الجديدة وأصبحت تحمل اسم بصرى نوفا تراجانا .

اكتسبت بصرى أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها على طريق التجارة العالمية ، ففيها تتوقف القوافل التي تتردد بين الجنوب والشمال – بين دمشق والبحر الأحمر – وبين الشرق والغرب – بين الخليج العربي وسواحل جنوبي بلاد الشام ، وكانت المياه متوفرة بكثرة في المدينة ففيها أكثر من نبع تتفجر منه المياه بفضل ثلوج جبل العرب التي تذوب في ربيع كل عام فضلا عن تجميع أمطار الشتاء في برك كبيرة شيدها الانسان .

كان لانحطاط شأن البتراء عاصمة الانباط في جنوبي البحر الميت أثره الايجابي في تعاظم دور بصرى ، اذ أصبح القسم الأعظم من تجارة البتراء بيد بصرى الآن . والدليل على صعود نجم بصرى

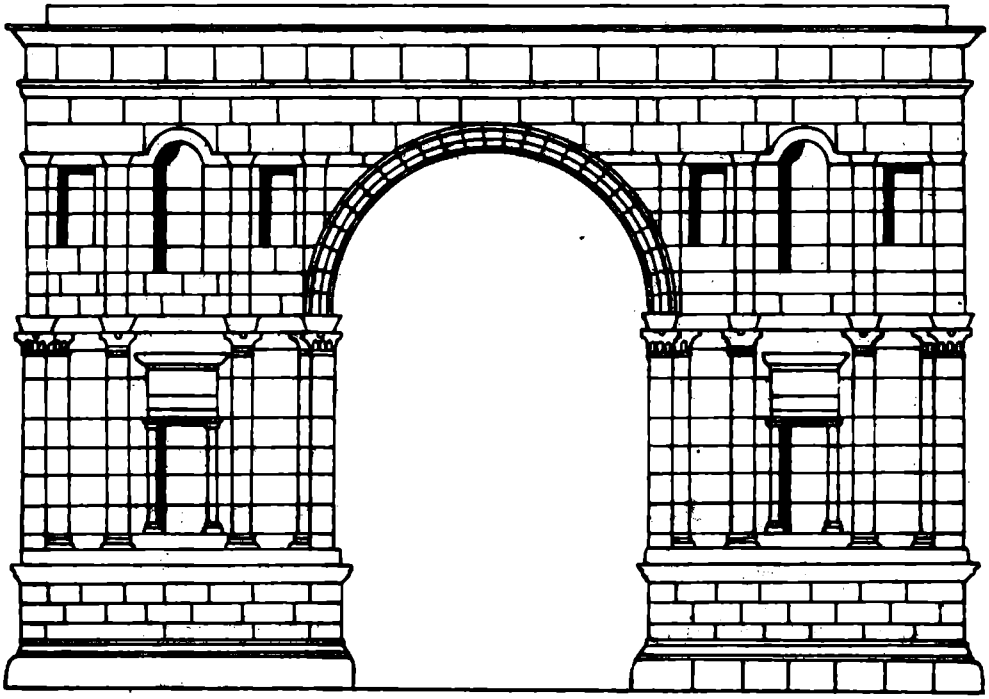

الشكل ١٠٩
بصرى : رسم خيالي لقوس النصر

أفق الامبراطورية الرومانية المترامية الأطراف أنها حصلت على أكثر من تكريم . اسكندر سيفيروس فيليب العربي – الذي ينحدر أصلا من جبل حوران – رفعها الى مرتبة حاضرة (ميتروبول) . وقد وصلت أهمية بصرى الى حد أنها اعتمدت تقويما مستقلا عن التقويم السلوقي المعتاد اذ بدأ تقويمها مع سنة ١٠٦ بعد الميلاد وهي السنة التي ولدت فيها الولاية العربية وعاصمتها بصرى ، كما كانت تسك النقود باسمها وهذا مازاد في شأنها .

استمر نجم بصرى في الصعود فيما كان نجم روما قد أخذ بالافول وبعد أن أصبحت بيزنطة عاصمة الشرق الروماني وآمنت الدولة والبلاد بما كان يبشر به يسوع المسيح ، غدت بصرى مقرا لاسقفية ثم سرعان ما قفزت الى مرتبة رئاسة أسقفية . وقد تجلت تلك المكانة المرموقة في أن قامت في قلب بصرى أعظم كاتدرائية عمّرها الانسان في أي بلد من بلدان المشرق في القرن السادس بعد الميلاد . وتجدر الاشارة أن الرسول العربي محمد (صلعم) كان يتردد على بصرى الشام خلال هذه الفترة ، كما تعتبر المساجد القديمة والقلعة الصامدة منذ القرن الثالث عشر أدلة ساطعة على مدى أهمية بصرى في العهود العربية الاسلامية . كانت قوافل الحجاج تحط رحالها في بصرى في الذهاب والاياب . ولكن عندما وهنت هيبة الدولة في العهود المتأخرة انعدم الأمان على طريق بصرى وأصبح الحجاج يسلكون طريقا يبعد الى الغرب من المدينة . وهكذا فقدت بصرى كل اتصال بقوافل الحجاج والتجار . ومنذ ذلك الحين بدأ الانحطاط يحل بالمدينة شيئاً فشيئاً ، ثم أصيبت بالاهمال والنسيان وتحولت من مدينة مكتظة بالسكان الى قرية فقيرة الحال واتخذ من فيها من الناس أطلال المباني الأثرية مكانا للسكن والاستقرار . لكن الحياة انبعثت في بصرى الآن وبدأت تستعيد نهضتها التي فقدتها طيلة قرون من الزمن .

آثار الفترة الرومانية في بصرى كثيرة وتشد الأبصار ، كما تتباين الوان الحجارة البازلتية السوداء التي كانت المادة الرئيسية في البناء مع اللونين الأخضر والأصفر اللذين يطبعان الأرض التي تحتضن المدينة . لكن بقايا الاوابد الماثلة في بصرى تشهد على مدى الازدهار الذي وصلت

اليه هذه المدينة التي كانت واحدة من أكبر المدن العامرة في نطاق الامبراطورية الرومانية . كذلك يشهد المسرح الضخم على مدى ثراء أهل المدينة والبلدان المحيطة بها ، علما أن تاريخ المسرح يعود الى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد أي . تأسس مع نشوء الولاية العربية . وفي القرن الثالث عشر حقق العرب انتصاراتهم الكبيرة على الغزاة من الصليبيين وقاموا بتحويل المسرح الى قلعة منيعة لكن دون أن يلحقوا الأذى بجسم المسرح أو بنيانه . ومنذ ١٩٤٧ تعمل المديرية العامة للآثار والمتاحف في الكشف عن هذه الآبدة وتفريغها من الاتربة والانقاض ، وقد أصبح بامكان الزائر أن يمتع النظر بأضخم مسرح مايزال بأكمله ماثلا للعيان كما أنه لانظير لكماله في أي بلد من بلدان المشرق أو المغرب ، مدرجه نصف المستدير يبلغ أكثر من ١٠٠ م ، وهو مطوق بعدد من الممرات في أكثر من طابق . وله مداخل واسعة في الأسفل وهي تتيح إفراغ المسرح من الناس خلال وقت قصير للغاية . تتحلى واجهة الخشبة بصياغة معمارية جميلة اذ تتألف من محاريب وثلاثة طوابق من الأعمدة الكورنثية والدورية . يحف بخشبة المسرح من الجانبين مقصورات كانت مخصصة لكبار الشخصيات . ذروة الكمال تتجلى في ضبط هندسة الصوت داخل هذا المدرج الفسيح ، فالمتكلم على خشبة المسرح يمكن أن يسمعه الجالس في أعلى الدرج بكل وضوح ونقاء .

كما هو الحال في أفاميا كذلك يقع مسرح بصرى خارج نطاق سور المدينة . يأخذ سور المدينة شكل المستطيل وتبلغ ثخانته حوالي أربعة أمتار وتعززه دعامات تشبه الأبراج . وهناك أربعة أبواب رئيسية تخترق كل ضلع من أضلاع المستطيل . يعتبر الباب الغربي في حالة سليمة

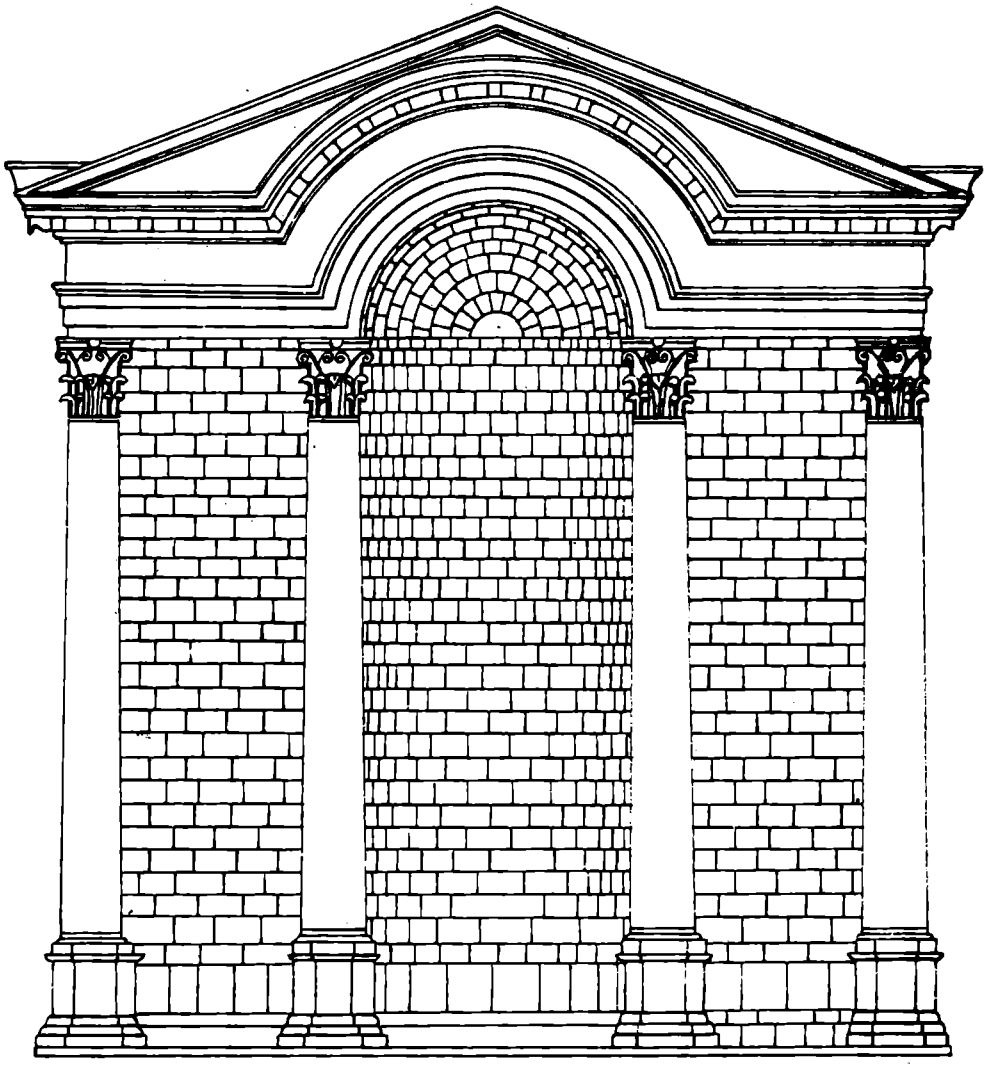

الشكل ١١٠

- بصرى : رسم خيالي لمعبد الهة المياه

(انظر الشكل ٧١ ، ٧٢) ويعود تاريخ نشوئه الى القرن الثاني بعد الميلاد وهو يقودنا الى الشارع الرئيسي الذي يخترق المدينة باستقامة من الغرب الى الشرق،وينتصب في وسط هذا الشارع قوس النصر المؤلف من ثلاثة أقواس (انظر الشكل ٨٥ . ٨٦) . وعند نقطة تقاطع شوارع هامة مع هذا الشارع الرئيسي تقوم أربعة أعمدة كورنثية هي ماتبقى من معبد آلهة المياه في هذا المكان (انظر الشكل ٧١،٧٢) . لكن رحالة القرن التاسع عشر شاهدوا أجزاء هامة كانت ماتزال ماثلة آنذاك وهذا ماساعد على رسم صورة شبه كاملة عن هيئة هذا المعبد (انظر الشكل ١١٠) . يقوم قبالة هذا المعبد بقايا معبد آخر – وهي مكونة من عمودين كورنثيين يعلوهما طنف مزخرف – (انظر الشكل ٧٤) . ينتهي الشارع المستقيم ، الذي كانت تحف به الاروقة من الجانبين ، في أقصى الشرق بقوس جميل مؤلف من ثلاث فتحات .

اضافة الى تلك الاوابد الهامة تجدر الاشارة الى السوق القديمة وإلى أطلال القصر الذي كان يقيم فيه والي المدينة قبل حوالي ألفي عام . بيد أن آثار بصرى لاتنحصر في تلك الاوابد ، فالمتجول في أرجاء المدينة يواجه الأطلال ومخلفات الماضي وغابر الأيام أينما سار . ولا يوازي بصرى في ثراء الآثار في منطقة جبل العرب وحوران الا شهبا وقنوات .

شهبا / فيليبوبوليس

تقع شهبا على أطراف جبل العرب ، وترتفع حوالي ١٠٥٠ م عن سطح البحر ، وهي على الجانب الشرقي من طريق دمشق – السويداء . أسس هذه المدينة الامبراطور فيليب العربي في منتصف القرن الثالث

بعد الميلاد وكانت تعرف باسم « مدينة فيليب او فيليبوبوليس » . وهي تحمل كل صفات المدينة الرومانية .

يأخذ السور شكلا مربعا غير منتظم وهناك باب يخترق كل ضلع من أضلاع السور الأربعة ، لكن هناك باب ثانوي في كل من الضلع الشمالي والضلع الجنوبي . ويعتبر الباب الرئيسي في الجنوب في حالة سليمة ، فهو مايزال يستخدم مدخلا الى قلب المدينة من ناحية الجنوب في وقتنا الحاضر كما كان قبل حوالي ألفي عام.(انظر الصورة الشكل٧٦) - كانت الاروقة الظليلة تحف بجانبي الشارع الرئيسي الذي يتجه باستقامة من الباب الجنوبي الى الباب الشمالي . وما تزال بقايا البلاط الحجري ظاهرة للعيان حتى يومنا هذا (انظر الشكل ٧٧ ، ٨٨) ، والبلاط نفسه مايزال على حاله في أكثر من شارع في شهبا .

تقوم في وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة للنصب المعماري المؤلف من أربعة أعمدة (التترابيل) . وعلى مسافة قريبة تطل على الشارع الرئيسي بقايا الحمامات الكبرى في المدينة . كانت المياه تصل الى الحمامات بوساطة أقنية مرفوعة على قناطر عالية تأتي بالماء من ينابيع جبلية بعيدة وقد قاوم عدد من تلك القناطير عواتي الدهر وظل باقيا الى الآن (انظر الشكل ٧٥) . تتألف الحمامات الكبرى من صالة لتغيير الثياب (المشلح) ومن الغرف الدافئة والغرف الساخنة (للتعرّق) ولا بد أن كان هناك جناح خاص بالنساء .

كشف المنقبون الأثريون بالقرب من الحمامات الكبرى عن بقايا دار كبيرة احتفظت أرضياتها بروائع الفسيفساء (انظر الأشكال ٨٧ ، ٨٨)

ثمة أطلال لمعبد هام ماتزال ماثلة في الشارع الواقع الى الغرب من الشارع الرئيسي . تتألف تلك البقايا من بضعة أعمدة وشرفة وعدد من الجدران . وفي نهاية هذا الشارع تتربع أجزاء مبنى شبيهة ببناء القصور له حنية نصف مستديرة تجذب الاهتمام ويطلق الأهالي على هذا الأثر اسم « الكلية » . يقوم الى اليسار من الكلية ضريح آل فيليب العربي وهو بناء صغير حسن الحال يشبه المعبد في هيئته ولعل أسباب بنائه تكمن في رغبة الامبراطور العربي تقديس ذكرى والده الذي وصل حينذاك الى مرتبة الاله . ويتجلى هذا الاعتقاد بكل وضوح في الكتابة التذكارية التي تزين الباب (انظر الشكل ٧٨) اذ تذكر أن والد الامبراطور المدعو جوليوس مارينوس كان سيد البلاد في منطقة شهبا آنذاك .

يتربع بجوار الضريح آنف الذكر مسرح صغير قامت السلطات الاثرية باظهار معالمه وترميمه . وهذا المسرح لايقاس بمسرح بصرى أو مسرح أفاميا من ناحيتي الحجم والثراء المعماريين ، لكنه يستحق الاهتمام فهو يزودنا بفكرة واضحة عن حال المسارح التي نشأت في بلاد الشام أثناء حكم الرومان .

لايتجاوز قطر المسرح الأربعين متراً ويتراوح عدد صفوف المقاعد بين ١٥ و ٢٠صفاً . من الممكن الآن عرض المسرحيات في هذا المكان فالخشبة والكواليس والداهليز الخلفية والأبواب ماتزال على أفضل حال .

قنوات (قنانا القديمة)

اذا كانت كل من بصرى وشهبا تقع في منحدرات جبل العرب فان قنوات تتوغل في أعماقه . وبالرغم من أن جبل العرب يرتفع

حوالي ١٨٠٠م عن سطح البحر الا أن قنوات لاتسمو على محيطها الجبلي ولا تظهر في أفق القادم اليها من بعيد ، وذلك لأن سهل حوران نفسه يرتفع ٥٠٠ الى ١٠٠٠ م فوق سطح البحر كما أن جبل العرب لايصعد بارتفاع مفاجيء قبيل قنوات . تبعد قنوات حوالي سبعة كيلو مترات عن السويداء ، وترتفع حوالي ١٢٠٠ م عن سطح البحر . تكتسي مرتفعاتها بأشجار دائمة الاخضرار ويخترق موقعها واد عميق حفره نهر جبلي غزير السيلان .

لاتتوفر لدينا معلومات كافية عن حال قنوات قبل عصر الآثار الماثلة فيها الآن لكننا نعرف أن العرب القاطنين في موقع قنوات تغلبت على جيش بعث به الملك هيرودوس أغريبا وطاردت فلوله في كل مكان . بيد أن قنوات لم يصبح لها شأن كبير الا بعد أيام القيصر تراجان (٩٨ – ١١٧) الذي أسس الولاية العربية في جنوبي بلاد الشام . ظلت قنوات تابعة لولاية سورية طيلة قرن من الزمان ثم أصبحت جزءا من الولاية العربية في أواخر القرن الثالث بعد الميلاد . تعود معظم الأطلال الشاخصة في قنوات الآن الى فترة مابعد تراجان ويمتد تاريخ البقية من الآثار الى عهود البيزنطيين الذين خلفوا حكم الاباطرة الرومان ، حيث غدت قنوات مقرا لاسقفية مسيحية ، لكن ما أن جاء عام ٦٣٧ بعد الميلاد حتى أصبحت مدينة قنوات وكافة بلاد الشام وغيرها من البلدان في ظل الإسلام . بيد أن موقعها البعيد عن طريق المواصلات الرئيسية أفقدها الأهمية مع الأيام .

يرقى تاريخ الاطلال ذات الطابع الروماني الطراز الى القرن الثاني بعد الميلاد أما تاريخ البقية فيتراوح بين القرنين الرابع والخامس . لكن

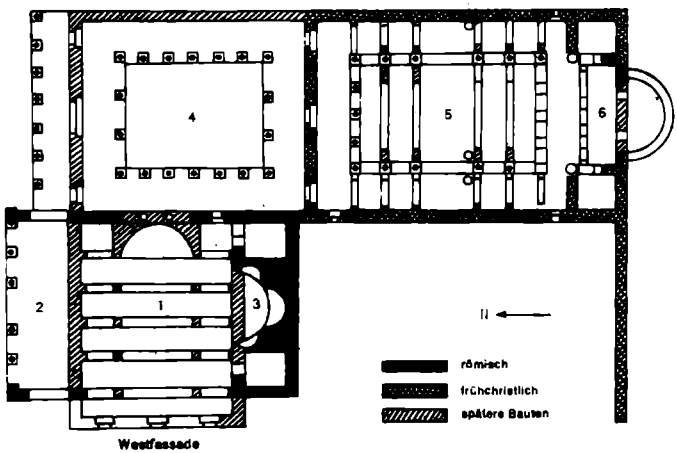

الشكل ١١١

– قنوات : مخطط منطقة السراي

١ – الكنيسة

٢ – المعبد

٣ – حنية المعبد

٤ – الباحة الظليلة

٥ – البازيليكا

٦ – الهيكل

أفق قنوات وما تحتويه من شواهد وآثار يتوسع باستمرار وذلك بفضل التقنيبات وأعمال الترميم والاصلاح الجارية على قدم وساق من قبل المديرية العامة للمتاحف والآثار .

ينتصب خارج نطاق سور المدينة معبد لم يبق منه الا الاجزاء السفلية من جدرانه وبعض الأعمدة الكورنثية الواقفة على قواعد عالية . كان هيكل هذا المعبد المحاط بالاروقة الظليلة مخصصا لعبادة هيليوس اله الشمس (انظر الشكل ٨٩ ، ٩٠) . أما في قلب المدينة فهناك معبد

الاله زفس ومجموعة من المباني يطلق عليها السكان اسم « السراي » وهي تجتذب الأبصار اذ أنها تتربع على بقعة من المدينة بالغة الارتفاع . تتألف السراي من معبد تأسس في القرن الثاني بعد الميلاد (انظر الأشكال ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠) تحول فيما بعد الى كنيسة مسيحية مختلفة الاتجاه . وبجوارها توجد بقايا بازيليكا مؤلفة من باحة ذات أروقة ومن ردهة رحبة (انظر الأشكال ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣) . وقد كشفت التنقيبات الأثرية في محيط السراي عن بقايا دور سكنية وعن سرداب لدفن الأموات مايزال بداخله توابيت حجرية تكثر على سطوحها زخارف مختلفة الأشكال (انظر الشكل ٩٢) .

تنتشر خارج نطاق قنوات القديمة وعلى الجانب الآخر من نهر قنوات ، بقايا أثرية تتمثل في مسرح صغير يستند ظهره على منحدر الوادي وفي بناء مستطيل الشكل وبداخله نبع ولعل هذا البناء هو المعبد المخصص لعبادة آلهة المياه . (انظر الشكل ٩٦ ، ٩٧) .

احتفظت المدن القديمة في جنوبي بلاد الشام بهذا العدد الضخم من الأطلال والآثار الماثلة للعيان منذ القرون الاولى بعد الميلاد حتى هذه الأيام لأن تلك المدن لم تشهد توسعا كبيرا على مر الزمان كما أن الناس عندما أصبحوا فقراء الحال سكنوا في قلب الأطلال فبقي الكثير قائما والقليل منها زال . لكن الأمر يختلف في المدن التي حافظت على أهميتها دون انقطاع وشهدت التوسع باستمرار بحيث كان الجديد ينمو فوق أنقاض القديم ويحجب الطريق أمام عالم الآثار الذي لايستطيع إزالة الأحدث عهدا كي يظهر الاقدم ، فكلاهما جزء لايتجزأ من التاريخ . ومع هذا تمردت بعض أطلال الأقدمين على حجاب المحدثين وظلت

تطل علينا بين ثنايا البيوت والدكاكين ، وكمثال على ذلك ستتعرض لثلاث من البلدان هي دمشق واللاذقية وجبلة .

دمشق

يظهر اسم مدينة دمشق دون تغيير في النصوص المسمارية المسطرة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد كما نستفيد من كتابات أخرى أن دمشق كانت في مطلع الألف الأول قبل الميلاد عاصمة لمملكة آرامية شملت أنذاك أجزاء كبيرة من أراضي الجمهورية العربية السورية . لكن كيف كان حال دمشق في ظل الاغريق والرومان ؟

لقد أسلفنا أن معظم آثارها تختبىء تحت أوابد القرون المتأخرة ومباني ومنشآت القرون الحديثة . غير أن حفر الاساسات لإقامة بناء جديد هنا وهناك يفسح المجال أمام علماء الآثار لسبر أغوار الباطن .

تقع بقايا مدينة دمشق التي تعود الى فترة حكم الرومان في نطاق المدنة القديمة التي مايزال معظمها مطوقاً بالاسوار . ويمكننا تتبع مراحل بناء السور وأصوله حتى العهد الروماني . كذلك فان الشارع المستقيم (السوق الطويل) الذي يخترق المدينة القديمة من شرقها الى غربها هو بذاته الوارد وصفه في الأنجيل (كتاب الرسل ٩ — ١١) . كانت الاروقة الظليلة تكتنف جانبي هذا الشارع لكن لايوجد منها الآن أي أثر الا ماتظهره المصادفة أثناء حفر الأساس لبناء حديث . ففي عام ١٩٤٧ وصلت الحفريات في بقعة من بقاع الشارع المستقيم الى عمق ٤,٥ م فظهر قوس كامل في مكانه الأصلي . ولما كان وتره أقل من ١٣ مترا ، وهو عرض الشارع المستقيم في أيام الرومان ، فلابد

ان كان هذا القوس يخترق الرواق الشمالي الذي يكتنف الشارع . قامت مديرية المتاحف والآثار برفع هذا القوس من باطن الأرض ثم أعادت إنشاءه في مستوى الاسفلت الحالي وجعلته في منتصف الشارع ليكون معلما من معالم دمشق .

ينتهي الشارع المستقيم في الشرق ليصب في الباب الشرقي للمدينة القديمة (انظر الشكل ٩٦ ، ٩٧) . احتفظ هذا الباب بمعظم أجزائه القديمة وقد قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بترميمه واصلاحه . يتألف الباب من ثلاث فتحات تعلوها الأقواس ، الفتحة المتوسطة بعرض الشارع والفتحتان الجانبيتان بعرض الرواقين .

لعل أفخم الآثار التي تعود الى زمن الرومان موجودة في محيط جامع بني أمية ، هذا المسجد الجامع الذي يعتبر آبدة بالغة الأهمية في تاريخ الفن والآثار يتربع في وسط المدينة القديمة وله مكانة مقدسة في قلوب الناس . كان للمكان الذي يقوم فوقه جامع بني أمية الآن صفة قدسية منذ قديم الزمان ، اذ نستفيد من الكتابات الآرامية المكتشفة أن معبد الاله حدد الذي كان يهب المطر للناس — كان ينتصب في نفس المكان . ولما احتل الرومان بلاد الشام قدروا ماهذه البقعة من بقاع دمشق من هيبة واجلال في نفوس الناس فجددوا أسلوب العمارة وتوسعوا في البناء . وبالرغم من تبديلهم اسم حدد باسم جوبيتر الا أن الاله الروماني الطارف تجسد كل صفات حدد التليدة . ومن هذا المعبد الكبير لم يبق الا جبهة مهيبة تستند على ستة أعمدة بالغة الارتفاع (١٦ م) تفصل بين حوانيت المسكية وسوق الحميدية . كانت هذه البقايا المعمارية الرائعة في الجمال جزءا من الرواق الغربي للحرم الذي كان يطوق المعبد . من المعتقد أن الجدران الخارجية لجامع بني أمية هي نفسها

التي كانت تطوق حرم الهيكل الوثني . وتبلغ أبعاد ذلك الحرم حوالي ١٥٥ × ١٠٠ م ، وكان المدخل الرئيسي يقع في الضلع الشرقي (حيث النوفرة الآن) وكان يتقدم ذلك المدخل بوابة فخمة ترتفع على درج مهيب وتتخللها أعمدة سامقة . لم يبق من الهيكل الوثني الذي كان يتوسط الحرم الكبير أي أثر ملموس فقد قام القيصر ثيودوسيوس في نهاية القرن الرابع بهدم أجزائه وحول بنيانه الى كنيسة شامخة تكريما منه ليوحنا المعمدان بعد أن أصبحت المسيحية دين الدولة وعامة الناس . وعندما أصبحت بلاد الشام تستظل بظلال الاسلام لم يفقد المكان القدسية والجلال فجعل الوليد بن عبد الملك منه أعظم مسجد في تاريخ الاسلام . فهو الذي قال أريد مسجدا لم يبن أحد مثله من قبل ولن يبني أحد مثله من بعد .

اللاذقيـــة

حافظت مدينة اللاذقية على أهميتها بعد احتلال الرومان لبلاد الشام ، هذه المدينة التي أسسها سلوقس الاول في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد بجوار بلدة أقدم عهدا . وقد أطلق سلوقس اسم والدته على المدينة الجديدة وظل الأسم تليدا حتى الآن . مرت على المدينة قرون من الأهمال والنسيان بعد أن طغت على شهرتها موانىء أخرى على سواحل بلاد الشام . وهاهي تسترجع الآن ماكان لها من شأن بعد أن عاد اليها الاهتمام ، لتصبح أول ميناء حديث في الجمهورية العربية السورية ، لكن المحدث والجديد من مبان ومنشآت هذا القرن والقرون الماضية غطت كافة المعالم التي كانت قائمة أيام حكم الأغريق والرومان . فمن المسرح الكبير لاتظهر الا أطراف متناثرة هنا وهناك ، وثمة أساطين تبرز

في منعطفات الأزقة أو تختبىء في قلب الحيطان تعرف باسم أروقة باخوس ، لكنها يحتمل أن تكون جزءا من معبد طواه النسيان . لعل أضخم آبدة ظلت بأكملها ماثلة للعيان هو الترابيل الذي يتقاطع عنده الشارعان الرئيسيان (انظر الشكل ٩٨ ، ٩٩) . من المعتقد أن يرقى تاريخ هذا الصرح العمراني الهام الى أيام الأمبراطور سبتيموس سيفيروس (حوالي ٢٠٠ بعد الميلاد) .

جبلـــة

وهي أيضا على ساحل بلاد الشام . احتفظت جبلة باسمها الحالي منذ حوالي أربعة آلاف عام فقد وردا سمها في النصوص المسمارية المكتشفة في اوغاريت . ونستفيد من النصوص نفسها أنها كانت جزءا من مملكة أوغاريت في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وبالرغم من أن الأغريق والرومان بدلوا أسماء المدن والبلدان في أعقاب احتلالهم لبلاد الشام الا أن اسم جبلة ظل على ماهو في كتابات المؤرخين والجغرافيين الأغريق والرومان .لم يبق من آثار جبلة السابقة للاسلام الا مسرح كبير يستند ظهره على منحدر مائل ، وهو يرقى في تاريخه الى الفترة الرومانية (انظر الشكل ١٠٢ ، ١٠٣) . ونظراً لأهمية هذه الآبدة الأثرية تقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ سنوات بأعمال الكشف والترميم والاصلاح في هذا المكان .

* * *

www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

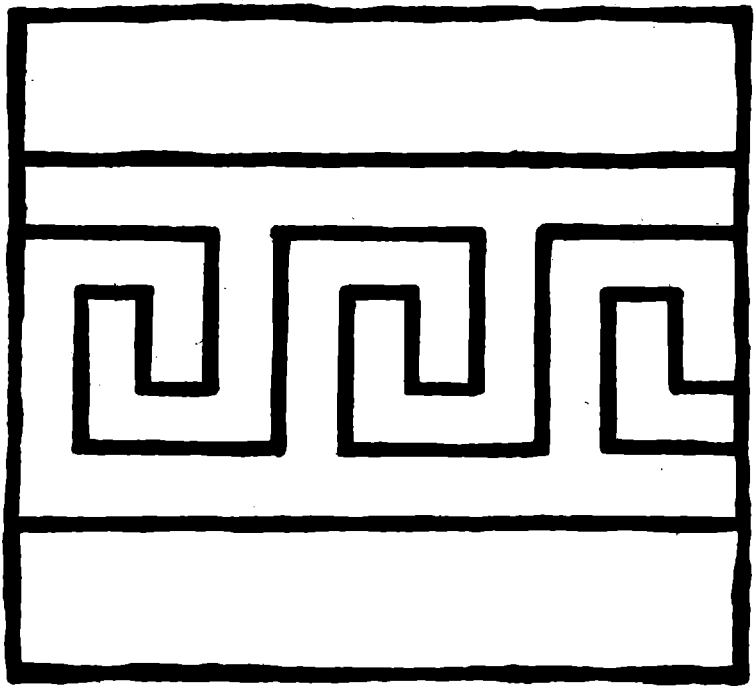

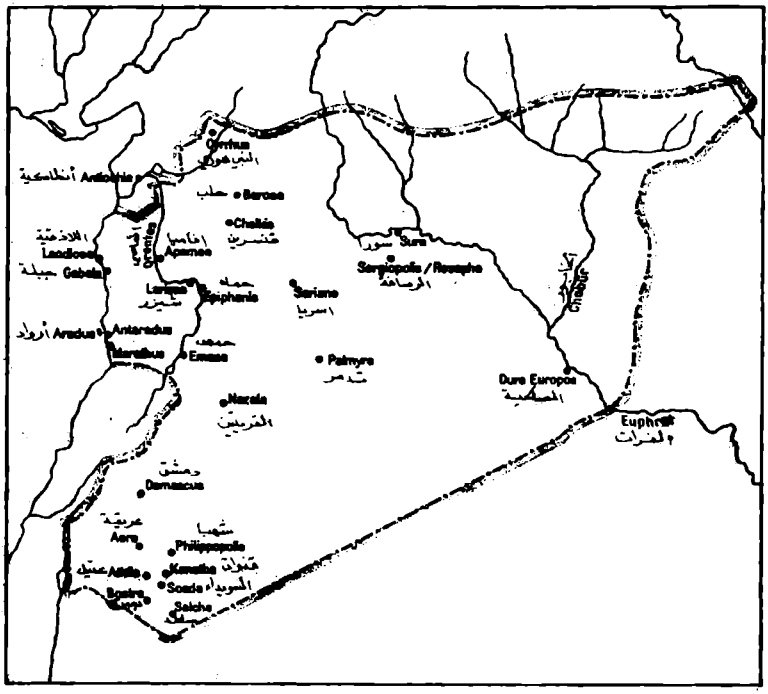
Antakya أنطاكية
Beroea حلب
Chalkis خلسترين
Apamea أفاميا
Laodicea اللاذقية
Gabala جبلة
Larisa شيزر
Epiphania حماه
Seriane اسريا
Sura سورا
Sergiopolis / Resapha الرصافة
Arados أرواد
Antaradus
Marathus
Emesa حمص
Palmyra تدمر
Dura Europos السلحية
Euphrat الفرات
Nezala القريتين
Damascus دمشق
Philippopolis شهبا
Adra عدرا
Soada السويداء
Salcha

اذا أخذت الطريق من دمشق أو من حمص قاطعا بادية الشام للوصول الى تدمر سيتوقف نظرك أمام واحة تغص بروائع الأطلال في وسط بيئة يسودها الخلاء . عندئذ ستتساءل هل هذا حلم أم مجرد سراب .

تقع أطلال تدمر ، التي لامثيل في أثرها على النفس في أي بقعة من بقاع المشرق . على ارتفاع حوالي ٤٠٠ فوق سطح البحر وبجوار منحدرات سلسلة من جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشارف الشام . تسمو فوق أحد مرتفعات هذه الجبال قلعة ابن معن التي تجعل النظر من عليائها يسرح في براري البادية وفي أفقها البعيد أراض مالحة الوانها بيضاء ناصعة (انظر الشكل ١١٥) .

تشغل الأطلال المبعثرة في أسفل القلعة مساحة حوالي ستة كيلومترات مربعة (انظر الشكل ١١٣ ، ١١٤) ، يطوق الأطلال من ناحية الجنوب حزام من أشجار النخيل تتباين خضرته مع المسحة البنية الضاربة للصفرة للاراضي المحيطة . أما في شرقي الأطلال فيسطع ضياء الدور والمنازل في تدمر الحاضر فقد بدأت المدينة تستعيد مكانتها المركزية كحاضرة رئيسية في قلب البادية .

تدمر : مكانها وتاريخها

تتوسط تدمر الطريق الواصل بين الفرات – الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية – وسواحل بلاد الشام التي تكثر على شواطئها الموانىء والبلدان . كان التجار منذ العصور الشرقية القديمة يسلكون الطريق القادم من الفرات على ظهور الدواب ، ولا بد من المرور من تدمر اذا كانت وجهتهم موانىء بلاد الشام ، ومنها يمخرون البحار

الى بلاد مصر أو يأتونها برا عبر فلسطين وسيناء * وفي أغلب الأحوال كانت جيوش ملوك العراق القديم تستخدم الطريق الذي يسلكه التجار . وكانت جحافل الجيوش أو قوافل التجار تستقي أثناء طريقها الطويل عبر الصحراء من العيون المتفجرة في عدد من الواحات التي تنتشر على طول منحدرات السلسلة الجبلية في قلب بادية الشام * ومع ازدياد المتاجرة والمبادلات بين بلاد الشام والبلدان القاصية في الشرق مثل الهند وأفغانستان، ازداد عدد الطرق التي تمر بتدمر في الذهاب والاياب ، وفي آخر المطاف أصبحت تدمر خلال الفترة الرومانية حاضرة كبيرة وعقدة لشبكة واسعة من طرق المواصلات التي كانت تمتد الى الشمال من صحراء جزيرة العرب وبادية الشام * وبالرغم من أن العديد من تلك الطرق لم يكن معبدا ويصعب سلوكه في فصل الشتاء الا أن طرقا معبدة نشأت خلال الفترة الرومانية ويمكن رؤية آثارها من الطائرة .

كان لاستخدام الجمل أثره الهام في ازدهار تدمر ، فهو يقاوم العطش عدة أيام ويرفع المزيد من الأحمال ويسبق بقية الدواب في الجريان . وبفضل الجمل انتعشت طرق كانت تتعقبها الجيوش وقوافل التجار لأن منابع الماء تبتعد بعضها عن بعض مسيرة أيام وان كان لامناص من سلوكها فلا بد عندئذ من اصطحاب كميات كبيرة من الماء .

* جلبت المواصلات التجارية لتدمر الخير والثراء لكن الزراعة التي وفرتها الواحة شاركت أيضا في توطيد الرفاه * فتدمر خلال حكم الرومان لبلاد الشام لم تكن معزولة بل كانت على اتصال بالقرى المنتشرة في البادية والتي تعيش على الزراعة أو الرعي ، اذ أن البادية تنقلب بين ليلة وضحاها الى فراش من الحشائش والأزهار طيلة فصل الربيع بعد كل

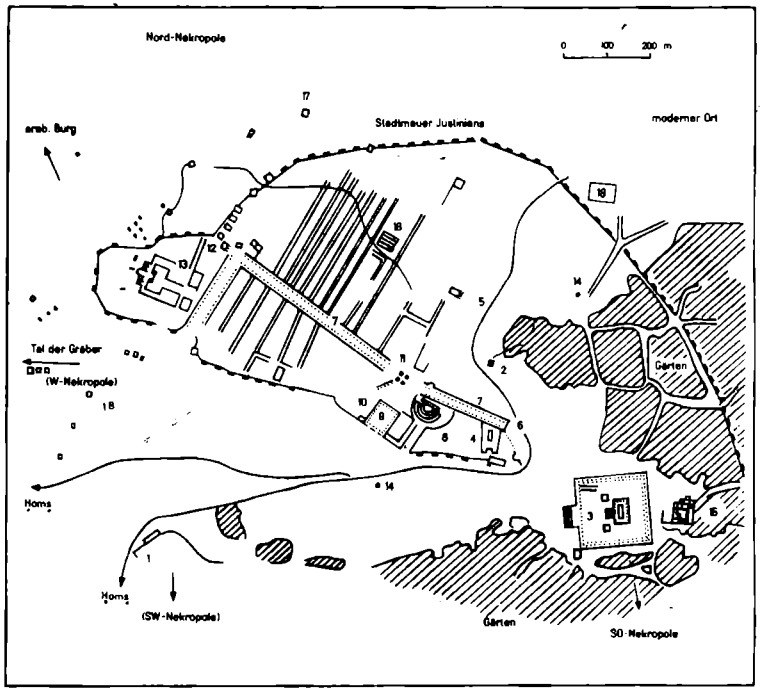

الشكل ١٧٨

– تدمر : مخطط عام لموقع تدمر من وضع ميخالوفسكي .

– نبع افقا ٢ – نبع السراي ٣ – معبد بل ٤ – معبد نبو ٥ – معبد بعلشمين ٦ – قوس النصر ٧ – شارع الاعمدة ٨ – المسرح ٩ – الآغورا ١٠ – دار وليمة الاضاحي ١١ – الترابيل ١٢ – دار الموتى ١٣ – معسكر ديوقليسيان ١٤ – عمود تذكاري ١٥ – دور سكنية من القرن الثالث الميلاد ١٦ – البازيليكا ١٧ – دار دفن مارونا ١٨ – مدفن جمليكو ١٩ – متحف تدمر .

شتاء غزير الأمطار وبالتالي يتأمن الغذاء الوافر للقطعان . كذلك كان البداة يبذرون الأرض في الشتاء ثم يرحلون عنها بعد موسم الحصاد . وثمة دلائل تشير أن المناطق الواقعة الى الشمال من تدمر كانت تكتسي بالأحراش وفيها بقية من الأشجار ومنها البطم على سبيل المثال . ولما كان الناس قد تعلموا حفر الآبار منذ الالف الأول قبل الميلاد فقد استطاعت تلك القرى تأمين مياه الشرب ، واذا شحت الأرض بالمياه عمدوا إلى بناء البرك والأحواض لجمع مياه الأمطار التي تهطل بكثرة في فصل الشتاء .

* كانت المناطق الواقعة الى الغرب من تدمر مأهولة بالسكان وكانت تنتشر فيها القرى أكثر من الآن . وبفضل الأمان والسلم اللذين سادا في ظل الرومان امتدت الزراعة وتوغلت بعيدا في مناطق بادية الشام * ففي القرن الثامن كانت تقوم واحة زاهرة في المنطقة التي يقع فيها قصر الحير الغربي الآن.وكان الماء يصل الى تلك الواحةمن مسافة عشرات الكيلومترات ولا يزال سد حريقة الواقع بين تدمر وقصر الحير الغربي أكبر شاهد على عمران ذلك المكان . اذ لم تكن تدمر في معزل عن الجوار ووحيدة في قلب البادية مثلما هي عليه الآن .

برهنت الظروف الطبيعية أن موقع تدمر صالح تماما للاستقرار الثابت للانسان . فنفق نبع افقا البالغ طوله أكثر من مائة متر يقذف حوالي ١٥٠ ليتر من الماء الكبريتي في الثانية الواحدة (انظر الأشكال ١١٢ ١١٣ ، ١١٤) . وكانت المياه تتدفق في أقنية متشعبة في أرجاء الواحة وتغذي بساتين النخيل والرمان والزيتون (انظر ١١٣) . أما مياه الشرب الحلوة فتأتي الى المدينة بأقنية من مسافة عشر كيلو مترات حيث يتفجر

نبع السراي في قلب أحد الوديان الواقعة الى الغرب من تدمر . كذلك كان للسبخات المالحة الواقعة الى الشرق والى الجنوب دور في اقتصاد تدمر . فمياه الأمطار التي تتجمع في تلك البقاع تحلل الأملاح الموجودة في الأرض وسرعان مايتحول الى بلورات مالحة بعد جفاف الماء .

اذا أخذنا تلك المعطيات بعين الاعتبار لانستغرب عندئذ اذا استقر الانسان في موقع تدمر منذ القديم ولا نستغرب أيضا اذا تبوأت تدمر مكانة مرموقة في عهد الرومان .

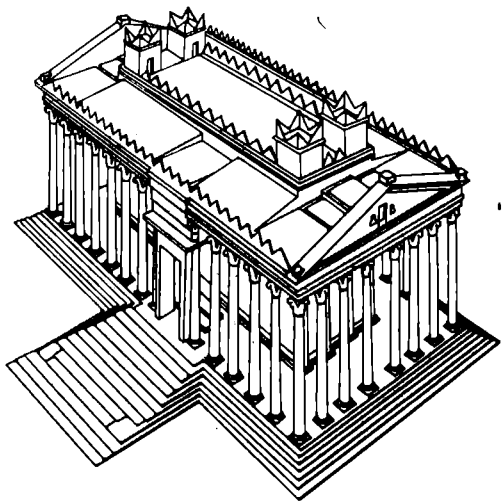

الشكل ١٧٩

— تدمر : معبد بل كما تخيله امي .

أبانت الأسبار العميقة التي أجراها علماء الآثار في رحاب معبد بل أن الانسان توطد في تدمر منذ العصر الحجري الحديث (الألف السادس قبل الميلاد) . كما ظهرت أدلة أثرية في نفس المكان على أن تدمر كانت عامرة دون انقطاع طيلة عصري البرونز القديم (حوالي ٢٠٠٠ ق . م) والبرونز الحديث (١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق . م) . ولا بد أن كان السكان

من جماعات الآموريين الذين انطلقوا في ذلك الزمان من شمالي بادية الشام وتوغلوا في قلب العراق وفي أرجاء غربي بلاد الشام .

احتفظت تدمر باسمها الحالي منذ القديم ، فالاسم نفسه يتردد في النصوص المسمارية المسطرة في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد . ونستفيد من تلك النصوص أيضا أن تدمر كانت فاعلة في المواصلات التجارية آنذاك . ويذكر أن الملك الآشوري تيغلات بيلاصر الأول (١١١٢ – ١٠٧٤ ق . م) لاحق جماعات آرامية حتى تدمر .

تتوقف النصوص الكتابية عن ذكر تدمر قرابة ألف عام ولا نعرف عن أحوالها البتة طيلة تلك الأعوام . لكن عندما استأنفت المصادر المكتوبة ذكر المدينة في القرن الأول قبل الميلاد كانت تدمر قد أصبحت ذات شأن وفي أحسن حال . ولا بد أن كان بدء ازدهارها في مطلع احتلال الأغريق لبلاد الشام ، إذ نستفيد من سطور نقش مؤرخ في سنة ٤٤ قبل الميلاد أن في تدمر معبد مكرس للاله بل (وهو الاله بعل نفسه) . وعندما شكل الرومان ولاية سورية من جملة الولايات في عام ٦٣ قبل الميلاد لم تكن تدمر جزءا من تلك الولاية بل تمكن أهلها من الاحتفاظ بالاستقلال إزاء الفرس وإزاء الرومان . لكن ما أن بدأت السنين الاولى بعد الميلاد حتى تمكن الرومان من فرض احتلالهم لتدمر . لكن المدينة بحكم موقعها على حدود الامبراطورية الرومانية لعبت دورا خطيرا باستمرار . وكان لرماة السهام من التدامرة صيت ذائع في صفوف جيش الرومان ، وفي عام ١٢٩ بعد الميلاد جعل القيصر هارديان من تدمر مدينة حرة وكان أهلها من الاحرار .

اعتمد السلطان في تدمر على نظام مجلس الشيوخ وكانت هناك كتيبة من الجيش الروماني لتجسيد الوجود الأجنبي في المدينة وكان الامبراطور ممثلا بوجود موظف رفيع المستوى (منلوب سامي) ، وكان هذا الموظف يقوم بجباية الضرائب .

رفع الامبراطور سيبتيموس سيفيروس (١٩٣ – ٢١١) تدمر الى مستوى مستعمرة وجعلها تابعة لولاية فينيقيا التي كانت عاصمتها حمص. جلبت المرتبة الجديدة لتدمر فوائد كثيرة ، فهيبتها زادت وغدت تتمتع بالحق الايتالي الذي أعتقها من دفع الخراج لخزينة الامبراطورة الرومانية .

الشكل ١٨٠

– تدمر : ثلاثي الهة تدمر ، بعلشمين في الوسط وعلى جانبيه عجليبول وملكبيل .

ان دلت هذه المنة الامبراطورية على شيء فانما تدل على مدى الأهمية التي كانت لتدمر في معترك الصراع الفارسي الروماني آنذاك، لاسيما وان عددا من الاباطرة الرومان قاموا بزيارات شخصية الى تدمر . ولقد تبدت أهمية تدمر بشكل خاص بعد وفاة الامبراطور سيفيروس ، حيث حل الاضطراب في أرجاء الامبراطورية الرومانية واستغل الساسانيون – خلفاء البارثيين – تردي هذه الأوضاع في النيل من ممتلكات الرومان الواقعة الى الغرب من نهر الفرات . بيد أن سوء الأحوال بين الساسانيين والرومان كان عاملا هاما في صعود نجم أذينة في تدمر ، كانت تدمر مزدهرة الاقتصاد حينذاك ومع مجيء أذنية بدأ نفوذ تدمر السياسي بالتوسع والانتشار . انه عصر الملوك التدامرة الذي استمر بين حوالي ٢٣٥ و ٢٧٣ بعد الميلاد .

استطاع أذينة ، الذي بدأ مسيرته السياسية عضوا في مجلس الشيوخ ثم ارتفع الى مرتبة قنصل ، أن يحقق انتصارا عسكريا باهرا على جيوش الساسانيين التي توغلت في البلاد . وبذلك انتزع أذينة من القيصر جالينوس لقب « مصلح الشرق بكامله » ، ثم تعززت مكانته أكثر في نفس القيصر عندما قضى على جيش أحد المنافسين للقيصر على نهر العاصي . أدرك أذينة سمو مكانته اذ كان يحيط نفسه بمظاهر الاباطرة حتى أنه أطلق على نفسه لقب « ملك الملوك » في نقش على تمثال ، وهذا اللقب تليد الاستعمال في بلاد المشرق منذ قديم الزمان . واذا كان قد صرف النظر عن استخدام القاب الرومان فلعله كان – يرمي من وراء لقب ملك الملوك التعبير عن حرصه على شيء من الاستقلال والاعتزاز بالذات ، لاسيما وانه استطاع دحر الساسانيين أكثر من مرة

وفي احدى المرات طاردهم في عقر دارهم واحتل عاصمتهم طيسفون (آثار المدائن قرب بغداد) .

في ظروف مانزال غامضة اغتيل أذينة في حمص في سنة ٢٦٧ للميلاد ، وبما أن ولده الأكبر قتل معه في نفس المكان فقد اعتلى العرش أخوه الأصغر وهب اللات ، وورث بذلك لقب أبيه ملك الملوك . لكن وهب اللات كان صغير السن فأخذت أمه زنوبيا تدير عنه دفة الحكم وتسيّر أمور البلاد . وفي ظل زنوبيا وصلت تدمر الى أوج عزها وفي الوقت نفسه شهدت مملكة تدمر النهاية والدمار (انظر الصورة في الصفحة ١٢٧) .

كان البيت الحاكم في تدمر من أصل عربي كما هو واضح من الأسماء ، فالعرب الناطقون باللسان الارامي استقروا في تدمر منذ وقت طويل .وامتزجوا مع السكان الأصليين الذين ينحدرون من أصل سامي أيضا . ولقد نشأ عن الخط الارامي القديم شكل جديد وصلت الينا نماذج منه منذ القرن الأول قبل الميلاد . لكن عهد الملوك التدامرة خلف لنا أعدادا كبيرة من النقوش والكتابات بالخط التدمري الجديد . ولغة هذا الخط هي الآرامية لكنها متأثرة بالعربية في اللفظ . كانت اللغة اليونانية دارجة نطقا وكتابة في تدمر أيضا . ويتجلى ذلك في التعرفة الجمركية التي نقشت بنودها باليونانية على حجر عرضه ٥ أمتار . محفوظ الآن في متحف لينغراد . ويعود تاريخ هذه الوثيقة الهامة الى سنة ١٣٧ بعد الميلاد .يتألف النقش من أكثر من ٤٠٠ سطر وهو عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحدد الضرائب والمكوس كما يحدد مقدار الرسوم لمن يريد الانتفاع من مياه نبع أفقا ونبع السراي

وقد عثر المنقبون على هذا الأثر بالقرب من الاغورا أو السوق العامة .

تعتبر هذه الوثيقة أسطع دليل على الدور الهام الذي كانت تلعبه تدمر في الحركة التجارية في عالم ذلك الزمان . اذ انتعشت التجارة العالمية بشكل خاص عندما ضم القيصر هارديان دولة الأنباط وعاصمتهم البتراء الى الامبراطورية الرومانية المترامية الاطراف . وخلالها تولت تدمر جزءا من التجارة التي كانت بيد الأنباط . فتدمر لم تكن مجرد محطة تستريح فيها قوافل التجار بل مارس التدامرة التجارة بأنفسهم وكانوا يعقدون الصفقات مع أقاصي البلدان . اذ كانوا يجلبون الحرير من الصين والتوابل من الهند والدليل على أنهم يمخرون عباب البحار واضح في نحت بارز يمثل تاجر تدمري يقف باعتزاز الى جانب سفينته ذات الشراع . ويظهر أن سفينة التاجر كانت تبحر في مياه الخليج العربي، فقد ظهرت أدلة أثرية وتاريخية على أن للتدامرة جاليات ومكاتب ووكلاء في البصرة (كاراكس القديمة) وفي فولوجيسياس (قرب بغداد) على الدجلة وفي دورا اوروبوس على الفرات وفي قوبطوس في مصر العليا .

استطاع وهب اللات ومن ورائه الام الحاكمة زنوبيا (الأسم الآرامي هو بات – زبّاي) استغلال الشأن الخطير للدور الوسيط الذي تتمتع به تدمر ، بان وسعا نفوذ تدمر على الصعيدين السياسي والأقتصادي . ففي نهاية عام ٢٧١ أرسلت بات– زبّاى حملة عسكرية بقيادة اللواء زباداي وكان النصر حليفه هناك . ثم اتبعتها بحملة ثانية الى بلاد الاناضول ، وهكذا أصبح القسم الشرقي من الامبراطورية الرومانية تحت سلطان تدمر وبات – زبّاى . ومن الشواهد على ذلك أن

الاسكندرية صكّت نقودا باسم وهب اللات أو باسم أمه بات – زبّاى .
وفي ضوء هذه الأخطار سارع قيصر الرومان – اورليان–بجيش جرار توغل في البدء في الاناضول ثم في بلاد الشام . فانتصر على بات – زبّاي في أنطاكية ثم في حمص وظل يطاردها حتى أبواب تدمر . اعتصمت بات – زبّاي وراء الاسوار بانتظار وصول النجدات الموعودة من الساسانيين ومن قبائل الاعراب . وعندما رفضت الاستسلام أعاق أورليان وصول قوات بني ساسان واستطاع شل حركة القبائل القريبة من المكان . ولما فقدت بات – زباي الرجاء بحثت عن الخلاص بالوصول الى نهر الفرات على ظهر أحد الجمال حيث يمكنها الأتصال شخصيا بملوك ساسان وتدبير النجدة اللازمة لابعاد اورليان عن أسوار تدمر . لكن خيالة الرومان استدركوها عند نهر الفرات واقتادوها مكبلة بالقيود الى اورليان . عندئذ فتحت أبواب تدمر أمام القيصر ودخل المدينة ظافرا في خريف ٢٧٢ بعد الميلاد . وصادر أموالها وأفرغ خزائنها وأودعها مدينة حمص . أما بات – زباى وأعيان البلد والوجهاء فقد ساقهم الرومان . تتضارب الروايات حول مصير بات – زباي ويبدو أنها توفيت بالقرب من روما في وقت متأخر .

انتفضت المدينة بعد انسحاب جيش الرومان وقضى السكان على أفراد الكتيبة البالغ عددها ٦٠٠ رجل . لكن اورليان عاد بسرعة الى تدمر ودون أن يترك للرحمة أي مجال فاستباح المدينة وأضرم فيها النيران . لم تستعد تدمر أنفاسها منذ ذلك الأوان ولم يعد أحد يحمي قوافل التجار . عاد آل ساسان الى الفرات ووطدوا أقدامهم هناك .

أما الرومان فقد أقاموا في أيام القيصر ديوقليسيان (٢٨٤ – ٣٠٥ بعد الميلاد) حدودا من الثغور والحصون عبر بادية الشام وكان هذا الخط

يمر بتدمر أيضا . لكن طرق القوافل ابتعدت عن تدمر وهذا ماترك أثره السيء على السكان . ومنذ ذلك الحين دب فيها الوهن وأصابها الاهمال . لكن تدمر استعادت بعض الاعتبار في أيام امبراطور بيزنطة جوستينيان (٥٢٧ – ٥٦٥ بعد الميلاد) . حيث جدد أسوارها وزودها

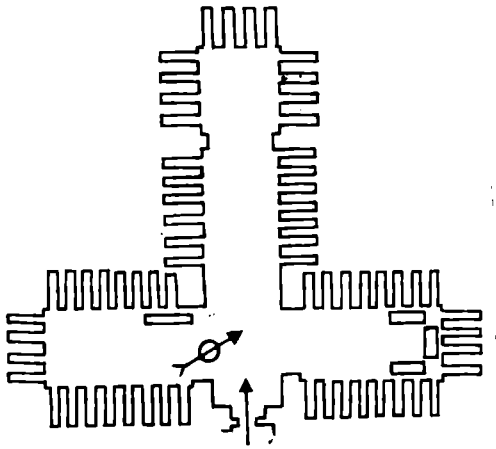

الشكل ١٨١

تدمر : مخطط مدفن الاخوة الثلاثة .

بمياه الشرب وجعلها قاعدة عسكرية . لكن المدينة لم تسترجع الأهمية التي كانت عليها في الماضي .

في عام ٦٣٤ بعد الميلاد دخلت تدمر جيوش المسلمين مظفرة بقيادةخالد بن الوليد وتحولت المدينة في البدء الى حصن هام أصبح بعدها معبداً بل قلعة وسوقا للتجار . وبقيت تدمر على هذا المستوى الى أن طواها النسيان وتهاوى فيها الكثير من البنيان في عهد الأتراك آل عثمان . لكن اوربا عرفت أخبار تدمر لأول مرة من خلال ماكتبه عنها الرحالة الاندلسي بنيامين الطليطلي الذي زارها في ١١٧٢ بعد الميلاد .

اكتشاف تدمر

بدأت أخبار تدمر تتوارد لاول مرة في القرن السابع عشر فقد زارها الرحالة الاسباني بيترو ديلافالي في ١٦١٦ ثم في ١٦٢٥ ، بعد ذلك زارها الرحالة الافرنسي جان بابتيست تافرنيير في ١٦٣٠ . وفي عام ١٦٧٨ وصلها فريق من التجار الانكليز القادمين من حلب . ورغم المتاعب التي شهدوها في تدمر فقد عادوا اليها مرة أخرى وكان يرافقهم الاب البلجيكي هاليفاكس . وهو أول من جلب نسخا عن الكتابات التدمرية الى أوربا . وفي ١٧٥١ زار تدمر اثنان من الانكليز أيضا وهما داوكنز ووود، فقاما برسم مناظر عامة وتفصيلية للاطلال ونسخوا نقوشا كتابية وفي ١٧٥٣ صدرت نتائج دراساتهم في مجلد يحمل اسم « أطلال تدمر » . وكان هذا المجلد الأساس الأول الذي اعتمد عليه أصحاب الاختصاص لفك رموز الكتابة التدموية كما أثار اهتمام العلماء بهذا الموقع الأثري الهام . وتزايد الزوار من العلماء في سياق القرن التاسع عشر وانكب نشاطهم على نسخ الكتابات الحجرية وفي عام ١٨٨١ اكتشف أحدهم النص الطويل الذي أتينا على ذكره وهو التعرفة الجمركية .

أما أعمال التنقيب والترميم في تدمر فقد شاركت فيها بعثات علمية من بلدان مختلفة وكان للمديرية العامة للآثار والمتاحف نصيب متزايد في تلك الأعمال .

قامت بعثة أثرية المانية برئاسة تيودور ويغاند بين ١٩٠٢ و ١٩١٧ باعداد دراسة هندسية لأهم الأطلال ، وفي عهد الانتداب الأفرنسي لسورية اهتم المرحوم هنري سيريغ مدير الآثار العام آنذاك باجلاء

سكان تدمر عن معبد بل وأسكنهم في بلدة جديدة بنيت خصيصا الى الشمال الشرقي من الأطلال وكانت نواة لتدمر الحديثة . وقد نفذت ترميمات كثيرة في منطقة الأطلال . وحتى الحرب العالمية الثانية قامت بعثات أثرية افرنسية والمانية ودانمركية بالتنقيب المنهجي في أرجاء تدمر . أما في فترة مابعد الحرب فقد ركزت المديرية العامة للآثار والمتاحف أعمالها في منطقة المسرح وفي وادي القبور . كما قامت بعثة أثرية سويسرية برئاسة الأستاذ كولار خلال ١٩٥٤ – ١٩٥٦ بالتحري عن أصول معبد بعلشمين وقامت بعثة أثرية بولونية برئاسة الاستاذ ميخالوفسكي بالكشف عن مايسمى بمعسكر ديوقليسيان . تابعت المديرية العامة للآثار والمتاحف أعمال الترميم فأعادت تقويم صرح الشارع المستقيم (الترابيل) واستأنفت بين ١٩٦٣ ، و ١٩٦٥ ما كان بدأه الألماني ويغاند في الكشف عن بقايا بناء هام تبين فيما بعد أنه معبد الاله نبو . وهكذا تظافرت وما تزال تتظافر جهود الآثاريين واللغويين والمهندسين من الجمهورية العربية السورية وغيرها من البلدان في الكشف عن شواهد الماضي وفي صيانتها والحفاظ عليها وإضافة المزيد من الشواهد والأدلة من خلال التنقيبات في كل مكان .

جولة في ثنايا الأطلال وفي باطنها

لنبدأ بمعابد تدمر التي كانت مكرسة لعبادة بل وبعلشمين ونبو . يتجلى في أديان تدمر نماذج الأفكار الدينية القادمة من أماكن مختلفة . لكن في كثير من الحالات يصعب علينا تحديد مصدر وهوية تلك الاتجاهات والأفكار ، فعدد أرباب تدمر يربو على الستين ، فالى جانب الآلهة الساميّة مثل بعل وبعلشمين هناك أرباب أصلها معروف في شبه

الجزيرة العربية مثل اللات . فضلا عن وجود بعض آلهة اليونان . كما أن تأليه القيصر الروماني كان له مكان في تدمر أيضا .

يتصدر مجمع الأرباب في تدمر الثالوث بل ويرحبول (اله الشمس) عجليبول (اله القمر) ، ومعبد التدامرة في دورا اوروبوس على الفرات كان مكرسا لعبادة هذا الثالوث . أما سيد السماء بعلشمين فكان يجسد ظاهرة من ظواهر بل الذي يتحكم في المطر الذي يهب الخصب للأرض. وبذلك يمكن مقارنة بعلشمين مع اله الطقس الذي كانت تبتهل اليه الشعوب السامية القديمة كما أن عبادته كانت منتشرة انتشارا واسعا في بلاد الشام . هناك اله آخر يدعى ملكبل وهو يعبد في أغلب الأحيان كاله للشمس مثل يرحبول . لكن ملكبل كان يلقب بشمش في بعض الأحيان ، وشمش هو اله بابل في قديم الزمان . ومن جملة الآلهة الأخرى في تدمر نذكر الربة السورية اتارجاتيس التي كان لها معبد في دورا اوروبوس . ثم الاله نبو الذي كشفت التنقيبات السورية برئاسة الأستاذ عدنان البني عن معالمه في تدمر خلال الستينات . بيد أنه تجدر الاشارة الى اله مغفل الأسم يحمل لقب « الرب الرحمن الرحيم » وقد كرمته نقوش وكتابات في نفق نبع أفقا الذي كان يؤمه الناس للعبادة قبل قيام المعابد الضخمة .

مامن شك أن معبد بل أهم مافي تدمر من معابد ففيه كان يعبد الثالوث التدمري ، والمعبد يحاذي بساتين النخيل المنتشرة في القطاع الجنوبي من المدينة . . (انظر الشكل ١٢٤) . يتربع المعبد فوق تلة مرتفعة تطوي في ثناياها آثار عصور البرونز ومخلفات الفترة الهلنستية. يزين الجدران الخارجية للمعبد عضادات كورنثية تلتصق بالجدار ،

ويخترق الجدران الأربعة بانتظام نوافذ مستطيلة الشكل ومثلثة الجبهات أما مدخله الرئيسي الذي يقع في الجدار الغربي فيحجبه برج – نشأ عندما حول الايوبيون أطلال المعبد الى قلعة في القرن الثالث عشر بعد الميلاد (انظر الشكل ١١٦) . تطوق الباحة المفروشة بالبلاط أروقة ظليلة تحملها أعمدة كورنثية جميلة (انظر الأشكال ١١٨ . ١١٩ . ١٢٠ . ١٢١) . الى اليسار من المدخل هناك نفق مفتوح يصعد الى مستوى باحة المعبد وينتهي عند مذبح للتقدمات والأضاحي . والى الجنوب قليلا من هذا المذبح تقوم بقايا دار كانت مخصصة للولائم والإطعام . والى الجنوب أيضا توجد بركة كبيرة كانت مخصصة للطهارة والاغتسال أما الهيكل أو قدس الأقداس . الذي يقابل مدخله الغني بالنقوش والزخارف مدخل المعبد . فهو جسم مستطيل محاط بأروقة ذات أساطين لم يبق منها قائما الا العدد القليل . كان يعلو تلك الأساطين تيجان محلاة بالبرونز . أما الافريز الذي كان يعلو تيجان الأساطين فقد تناثرت أجزاؤه حول المكان . وثمة قطع منه تزهو بالزخارف والمنحوتات تقف قرب مدخل الهيكل الآن وهي تشهد على عظمة الفن في ذلك الزمان (انظر الأشكال ١٢٠ . ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧) .

اذا ولجنا الباب وأصبحنا داخل قدس الأقداس (الهيكل) سنشاهد في ضلعي الجنوب والشمال محاريب كانت تنتصب في داخلها تماثيل الارباب ؛ محاريب الشمال كانت مخصصة لتماثيل بل ويرحبول وعجلبول ، بينما ينفرد بل وحده في محاريب الجنوب (انظر الأشكال ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٢٨ . كذلك فان سقف كل محراب يعج بالزينة والزخارف التي تستهوي النظر وتثير الأعجاب ، فزخارف

هذه المحاريب وزخارف المعبد بوجه الاجمال تنم عن ذوق محلي تليد رغم الطابع الهلنستي الروماني في اطاره العام .

تحول المعبد في أيام جوستنيان الى كنيسة مسيحية كانت مزينة برسوم المسيح والرسل والعذراء ، وفي عهود الاسلام تحول المكان الى مسجد ظلت الصلاة تقام فيه حتى عام ١٩٢٩ بعد الميلاد وذلك عندما أخلت السلطات المكان من السكان .

نستفيد من النقوش والكتابات أن هذا المعبد قد قام في النصف الأول من القرن الثاني بعد الميلاد ، لكن نقوشاً أخرى تذكر أن معبدا أقدم عهداً كان يقوم في نفس المكان .

ليس بعيدا عن فندق زنوبيا يقوم معبد آخر في أكمل حال وهو معبد بعلشمين (انظر الأشكال ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠). وتذكر الكتابة التذكارية المنحوتة على الجدار أن هذا المعبد تأسس في ١٣٠ بعد الميلاد (انظر الأشكال ١٣٧ ، ١٣٨) بيد أنه من المؤكد أن معبدا أقدم عهدا تغيب بقاياه تحت معبد بعلشمين نفسه ، فالجدران ذات الاروقة التي كانت تطوق المعبد من كل الجهات والتي ماتزال بقايا منها ماثلة للعيان يعود قسم كبير منها الى القرن الأول بعد الميلاد (انظر الشكل ١٣٥) . لكن نقشاً آخر مؤرخ في ١٤٩ بعد الميلاد يذكر أن رواقا قد أقيم في هذا التاريخ في الجزء الجنوبي من المعبد . بقيت عبادة اله الشمس مزدهرة في هذا المعبد حتى منتصف القرن القرن الثاني بعد الميلاد . وفي القرن الخامس تحول هذا المعبد أيضا الى كنيسة مسيحية . يوجد أمام المعبد الآن مذبح تشفعه كتابة مؤرخة في ١١٥ للميلاد (انظر الشكل ١٣٧ ، ١٣٨) . تتألف ردهة المعبد من

ستة أعمدة كورنثية على أربعة منها قواعد بارزة كان كل منها يحمل تمثالا لاحد كبار الشخصيات أو من الأعيان .

يقع المعبد الثالث في تدمر قرب مدخل الشارع المستقيم أو مايسمى بقوس النصر (انظر الشكل ١٣٦) . وبفضل أعمال التنقيب التي قامت بها بعثة المديرية العامة للآثار والمتاحف أصبحنا نعرف أن الاله نبو كان يعبد في هذا المكان . كان هذا الاله معبودا في بلاد بابل فهو ابن الاله مردوخ كما أنه رسول الكتابة ورب الحكمة وأمين سر الارباب (انظر الشكل ١٥٩ ، ١٦٠) . كان الاله نبو في نظر الأغريق والرومان نظيرا للاله أبولو .

يظهر اسم نبو الى جانب اسم بل على بطاقات الدخول الى ولائم الارباب (بطاقة الدخول هذه قطعة رقيقة من الحجر أو الفخار مختومة باسم الاله وبدونها لايحق لاحد المشاركة في الولائم المكرسة لذلك الاله). أما الربة عشتار فنواجهها على نحت صغير تمّ العثور عليه في منطقة المعبد (انظر الشكل ١٦١) .

ثمة قوس ضخم يقودنا الى باحة كبرى مطوقة بالأروقة الظليلة وهناك مذبح يتقدم الهيكل أو قدس الأقداس. يقوم الهيكل فوق مصطبة مدرجة ويطوف بالهيكل أروقة ظليلة تحملها تيجان كورنثية الطراز . لكن الطابع الشرقي يتجلى في هذا المعبد بكل وضوح وجلاء وهو يعود بالتأكيد الى النصف الأول للقرن الاول بعد الميلاد وفي المعبد كتابتان تؤكد عبادة الاله نبو في هذا المكان .

تؤكد صفوف الأعمدة التي كانت تشكل أروقة الشارع المستقيم ، والبوابة الفخمة أو قوس النصر ، على العظمة التي شهدتها تدمر طيلة

قرون من الزمان (انظر الصورة في الأشكال ١٤١ ، ١٥٣) . يزخر قوس النصر الذي يحتمل أن يرقى تاريخه الى القرن الثاني بعد الميلاد . بأنواع الزخارف والمنحوتات (انظر الشكل ١٤٢) يعلو القوس جبهة مثلثة جميلة وكانت المديرية العامة للآثار والمتاحف قد رممت أجزاء هذا القوس وقومته في ١٩٣١ وخلال ١٩٥٧ و ١٩٥٨ يبلغ طول الشارع الذي تحف به الأعمدة من الجانبين أكثر من الكيلو متر ،ولا بد أن كان الشارع الرئيسي يحتوي على مخازن التجار كما كان يغص بالناس أثناء البيع والشراء . لاسيما وان الاروقة التي تتقدم مخازن التجار يتجاوز عرض كل منها ستة امتار . أما الشارع نفسه فيصل عرضه الى أكثر من عشرة أمتار . يلتصق بمنتصف جذع الكثير من الأعمدة في هذا الشارع قواعد بارزة كانت مخصصة لحمل تماثيل كبار الشخصيات التي قدمت خدمات جليلة للبلاد (انظر الشكل ١٤٧)

كانت تنتظم على جانبي هذا الشارع العظيم مبان فخمة ومنشآت ضخمة مثل المسرح والاغورا (السوق العامة) ومجلس الشيوخ وسبيل الماء ومعسكر ديوقليسيان . يتربع المسرح ، الذي كانت تملأه الرمال وطبقات الرماد ثم أزاحت مديرية المتاحف والآثار مؤخرا عن كاهله ذلك الستار ، في مكان متوسط وهام فهو يتوسط السوق العامة ويحتل مركز المدينة ، انه ليس من المعتاد أن يقوم مسرح في كمثل هذا المكان لكن صغر حجم المسرح هو الذي أتاح هذا المجال . فالخشبة يبلغ طولها ٤٨ مترا وقطر الاوركسترا المستديرة بين الخشبة والمدرج لايتجاوز العشرين مترا . أما المدرج فقد ظل منه ثلاثة عشر صفا وهو مقسم الى أحد عشر قسما بوساطة درجات لاتسمح الا بالصعود أو النزول الأفرادي

(انظر الشكل ١٥٦) . يتمتع جدار الخشبة بواجهة بديعة قوامها المحاريب والاعمدة ذات التيجان (انظر الشكل ١٥٥ ، ١٥٧) .

تقع الاغورا الى الغرب من المسرح ، وهي المكان الذي كان يتجمع فيه سكان تلسر والوافدون اليها من التجار . والمنشأة تتألف من مستطيل طوله ٧١ م وعرضه ٤٨ م ومطوق في داخله بأروقة ظليلة ،على أعمدتها قواعد لحمل التماثيل وفي جدرها محاريب لاحتواء الأنصاب ، وكانت التماثيل والأنصاب لكبار قواد الجيوش والقوافل وللوجهاء في الدولة ومجلس الأعيان. وفي الجزء الشمالي كانت نافورتان تقومان بتأمين الرطوبة المنعشة للمكان . وكانت هناك مصطبة عالية كان يعتليها الخطباء وأهل الكلام .

يجاور الآغورا مبنى عام كان يقام فيه حفلات الولائم الدينية ولا يشترك في مثل هذه الولائم من لايحمل بطاقة دعوة في هيئة قطعة مختومة . وبالقرب من الآغورا ينتصب مبنى مجلس الشيوخ الذي يتوسط باحة محفوفة بالاروقة .

اذا تابعنا المسير نحو الشمال الغربي في داخل الشارع المستقيم سنواجه صرحا قوامه مصطبة وأربعة أساطين عملاقة ويطلق عليه اسم التترابيل وهو معلم كبير على تقاطع الشارعين الرئيسيين في المدينة (انظر الشكل ١٦٤ ، ١٦٥) . انتهت المديرية العامة للمتاحف والآثار في ١٩٦٣ من تقويم أجزائه المتساقطة حول المكان .

بعد ذلك يتجه الشارع العظيم قليلا نحو الشمال وينتهي في آخر المطاف ببناء تُعرف باسم دار الأموات (انظر الشكل ١٦٨ ، ١٦٩) وهي مقبرة في هيئة دار لكن لم يبق منها قائما الا أعمدة ردهتها وجزء

من جبهة واجهتها . هناك شارع يتفرع عن الشارع العظيم في اتجاه الجنوب الغربي ، وهو أيضا محاط بالاروقة المحمولة على أعمدة . وفي هذا الشارع الفرعي كان يقوم مايسمى بمعسكر ديوقليسيان ، وقد سمّي كذلك لأن تصميمه المعماري يشبه تصميم قصر ديوقليسيان الباقية آثاره في سبوليتو بيوغوسلافيا الآن . يمكن الولوج الى داخل هذا البناء من باب الحراس . يلي هذا الباب نصب يشبه التترابيل ثم تأتي باحة كبيرة تحتوي مايسمى بمعبد الاعلام ومعبد آخر كان مكرسا لعبادة اللات . يحيط سور المدينة بمعسكر ديوقليسيان من جهاته الثلاثة. وهذا السور بناه الامبراطور البيزنطي جوستنيان في القرن السادس بعد الميلاد على أنقاض جزء من سور زنوبيا الذي هدمه الرومان . يبلغ طول سور المدينة ١٢ كم وهو معزز بأبراج مربعة ، وقد شمل سور جوستنيان بعضا من دور تدمر التي كانت خارج الأسوار ، لكن التنقيب لم يكشف الا عن عدد قليل منها . غير أن الجدير بالاهتمام الدور التدمرية التي نشأت خلال فترة الازدهار في القرن الثالث بعد الميلاد . تقع تلك الدور الى الشرق من معبد بل (انظر الشكل ١٦١ ، ١٦٢) وبداخلها كشف الآثاريون عن غرف بالفسيفساء . وأخيرا تذكر الأعمدة التذكارية التي كانت تنصب بأمر من مجلس الشيوخ تكريما للافراد الذين قدموا خدمات جليلة للمدينة (انظر الشكل ١٦٦ ، ١٦٧) .

كان يتم دفن الأموات في خارج المدينة والأسوار ، وتنتشر المقابر في الشمال وفي الشمال الغربي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي للمدينة . ولما كان عدد الناس في تدمر في ازدياد وعدد الأموات يرتفع أيضا باضطراد ، ورغبة في دفن الأموات في مقابر لائقة وتتصف بالهيبة

والجلال أكثر الناس باستمرار من تهيئة المقابر الجماعية الى جانب المقابر الفردية والعائلية . وقد أخذت تلك المقابر أشكالا مختلفة منها في هيئة سرداب ومنها في هيئة برج متعدد الطوابق وبالغ الأرتفاع . لكن التحريات الأثرية لم تكشف الا عن جزء بسيط من تلك المقابر ، عاما أن عددا منها ظل قائما وهو في أفضل حال. ومن بين المقابر التي ترقى في تاريخها الى القرن الثاني بعد الميلاد نذكر على سبيل المثال مايسمى بدار الموتى وقبر مارونا (انظر الشكل ١٦٨ ، ١٦٩) . وكلاهما لأفراد أثرياء كانوا قد جمعوا الثروات أثناء فترة الازدهار التي شهدتها تدمر آنذاك . أما مقابر القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد فقد ظهر عدد منها بطريق المصادفة وبالذات أثناء تمديد أنابيب النفط القادمة من العراق . ومن بينها مدفن الأخوة الثلاثة الواقع الى الجنوب الغربي من المدينة . ولقد ذاع صيت هذا المدفن لما يحتويه من رسوم ملونة على الجدران . هناك نفق مفتوح ينحدر نحو باب حجري منحوت وعلى ساكف الباب نقش بالخط التدمري يذكر ثلاثة أسماء هي مالي وسعداي ونعماي ، كما تذكر أن هؤلاء الثلاثة أمروا ببناء هذا المدفن في ١٤٤ بعد الميلاد .

لقد صمم مخطط هذا المدفن السرداب في هيئة حرف تي باللاتينية . وفي الممرات الثلاثة هذه توجد ست حفر مستطيلة غائرة في قلب الصخر تتكرر بعد كل متر تقريبا . وهذه الحفر مخصصة لاحتواء رفاة الأموات ويبلغ عدد تلك الحفر أو المعازب ٣٩٠ معزبة . يضاف الى ذلك وجود توابيت حجرية تكثر المنحوتات الفنية على سطوحها الخارجية . يدلل ذلك العدد الكبير من الراقدين في هذا المكان أن الاخوة الثلاث قد أسسوا هذه المقبرة لدفن أنفسهم وأفراد عائلتهم وورثتهم بعد الممات واستثمارها

تجاريا آثناء وجودهم على قيد الحياة وذلك لدفن العامة من الناس نقاء مبلغ معين من المال . كان يجري سد كل معزبة بلوحة حجرية تحمل نحتا بارزا للنصف العلوي للراقد في المعزبة (انظر الشكل ١٧٠ . ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧) . وهناك المئات من هذه المنحوتات معروضة في متاحف العالم . وفي عدد من مقابر تدمر كانت توجد منحوتة كبيرة تمثل الراحل الى عالم الأموات مستلقيا على سرير ويستند على وسادات في لحظة يتناول فيها وليمة الأموات مع أفراد أسرته الأحياء . اشتهر مدفن الاخوة الثلاثة برسومه الملونة المنفذة على الجدران في نهاية الممرات الثلاثة (انظر الشكل ١٧٦ . ١٧٧) . بالرغم من الأسلوب الهلنستي العام للرسوم إلا أن الذوق المحلي والتقاليد الفنية الشرقية التليدة يتجليان بوضوح تام وخاصة في الميل الى رسم الأشخاص في وضع أمامي ، وعلى هذا النهج نفذت الرسوم الملونة في دورا اوروبوس على الفرات .

تعتبر المقابر التي شيدت في هيئة أبراج من ابتكارات شعوب بلاد الشام وذلك لان مثيلاتها موجودة في منطقة الفرات وفي حوران . لكن أهم المقابر البرجية موجود في الجانب الغربي من تدمر أي مايسمى بوادي القبور . تتصف هذه المقابر بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق وكل طابق يحتوي على العديد من المعازب وهناك درج يصعد من طابق الى طابق ، وأكثر هذه المقابر مزين بالزخارف والصور المنفذة بواسطة النحت أو بالألوان (انظر الشكل ١٧٢ ، ١٧٣) . يعود أقدم المقابر البرجية في تدمر الى القرن الأول بعد الميلاد والقديم منها مرتبط مع سرداب (مدفن تحت الأرض) ، ومن أشهر تلك القبور نذكر مدفن يمليخو المؤرخ بسنة ٨٣ للميلاد (انظر الشكل ١٧٢ ، ١٧٣)

ومدفن ايلاخيل المؤرخ بسنة ١٠٣ للميلاد (انظر الشكل ١٧٤ ، ١٧٥ ومدفن كيتوت المؤرخ بسنة ٤٠ للميلاد .

لقيت مقابر تدمر الأثرية العناية الكبيرة في مجال الكشف عنها أو صيانتها وترميمها من جانب المديرية العامة للآثار والمتاحف ومن جانب البعثات الأثرية الأجنبية ، كما عثر المنقبون الأثريون على الكثير من التحف الفنية والادوات المختلفة التي كانت تستعمل في الحياة اليومية فضلا عن تماثيل ولوحات فسيفساء تمثل مشاهد دينية أو شخصيات رسمية هامة ، ومعظم تلك الشواهد المادية معروضة في متحفي دمشق وتدمر لكن متاحف العالم لاتخلو أيضا من آثار تدمر . ومع هذا ماتزال أرض تدمر تحتفظ في باطنها وفي ثنايا رمالها وأنقاضها بالكثير من الكنوز الفنية والشواهد العلمية التي تنتظر معاول علماء الآثار .

* * *

الفترة الرومانية الشرقية - البيزنطية

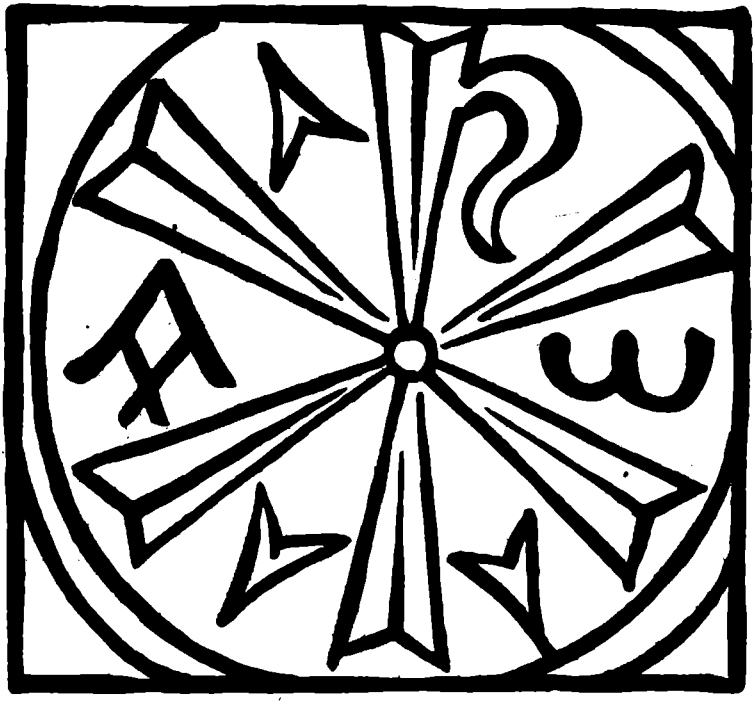

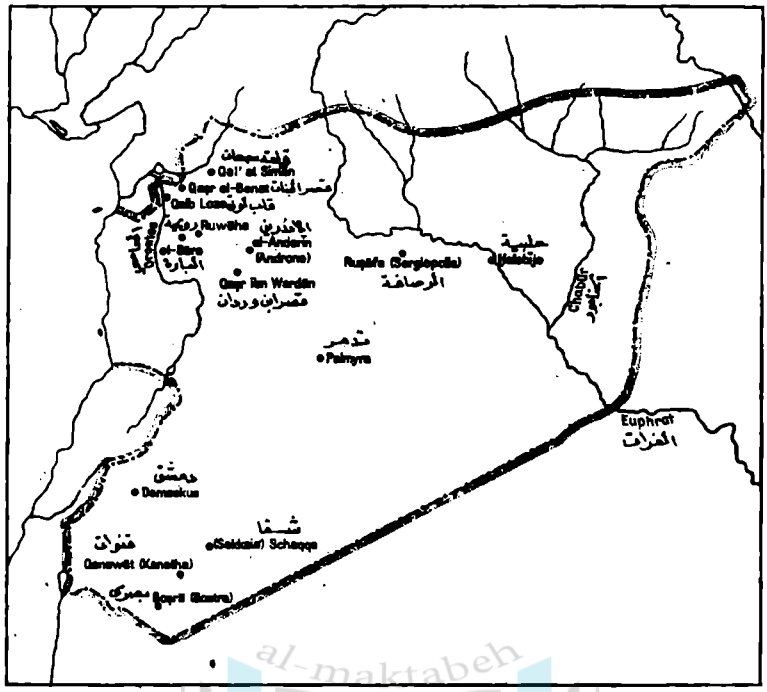

al-maktabeh
مكتبة
المهتدين

عندما انشطرت الامبراطورية الرومانية العالمية في ٣٩٥ للميلاد إلى نصف شرقي وآخر غربي كانت بلاد الشام من نصيب الامبراطورية الرومانية الشرقية التي أصبحت بيزنطة (القسطنطينة) عاصمتها . ظلت سورية جزءا من ولاية الشرق التي شكلها الامبراطور ديوقليسيان في القرن الثالث للميلاد . لكنها تقسمت الى مناطق ادارية ولعبت بلاد الشام أو المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الفرات دورا هاما في اطار الدولة البيزنطية التي كانت قوانينها رومانية وديانتها مسيحية ولغتها الرسمية يونانية .

ظلت بلاد الشام بعيدة الى حد ما عن الهجمات التي كانت تتعرض لها الدولة البيزنطية في القرن الخامس للميلاد ، وبما أن الدين المسيحي قد رسخ جذوره في المدن والارياف منذ القرون الاولى للميلاد ، غدت بلاد الشام مركزا رئيسيا للحضارة المسيحية . ومع استمرار الخلاف مع الدولة الرومانية الغربية في القرن السادس للميلاد ازداد عمق التمايز الحضاري في الجانب الشرقي وخاصة في مجالات الفنون . وقد ازداد الاندفاع نحو تأكيد الذات عندما أصبحت الكنيسة في بلاد الشام تستقل شيئاً فشيئاً عن الكنيسة الرسمية في العاصمة البيزنطية . ورغم انقسام الكنيسة في بلاد الشام الى كنائس يعقوبية ونسطورية وملكية أعلنت هذه الكنائس رفضها للغة الرسمية وهي اليونانية واستخدمت السريانية التي كانت لغة أهل البلاد ، كما أنها لهجة رامية شرقية والارامية

نفسها لغة سامية وكانت لغة رسمية وواسعة الانتشار منذ الألف الأول قبل الميلاد . غير أن هذا التطور لم يشمل كافة أرجاء بلاد الشام في في وقت واحد ، اذ كان القسم الكبير من السكان من أصل عربي ، وهؤلاء اعتنقوا المسيحية لكنهم ظلوا يبجلون التليد من الأرباب السامية القديمة مثل العزة واللات . وفي مناطق أخرى من بلاد الشام ظلت المسيحية محصورة في قلب المدن الكبيرة . ويبدو أن مسيحي المدن كانوا مقتدرين أكثر من مسيحي الارياف على تحقيق انجازات رائعة في مجالات الفنون ، فقد كانت الكنيسة المسيحية والاثرياء من رعاياها وراء الكثير من الأعمال الفنية والمعمارية لذلك لانستغرب اذا كانت أعداد كبيرة من الأعمال الفنية تعود إلى الفترة البيزنطية (انظر الشكل ١٨٢) ، ففي خلال القرنين والنصف التي سبقت الفتح العربي الاسلامي نشأ العديد من الكنائس والمعموديات والمشاهد (كنائس الشهداء) والاديرة وهي تنتشر في حوران وواحة دمشق . على طول الفرات وفي سورية الشمالية بشكل خاص .

وفي هذا المجال نذكر أطلال قصر ابن وردان الواقعة الى الشمال الشرقي من حماة وأطلال الأنلرين (اندارونا القديمة) القريبة من قصر ابن وردان ، وأطلال الرويحة الواقعة الى الشمال الشرقي من معرة النعمان وأطلال البارة الواسعة الانتشار والمتميزة من بعيد بوجود مدفن هرمي بالغ الارتفاع ، ثم كنيسة قلب لوزة القريبة من البارة ، وأطلال دير قصر البنات القريب من الحدود السورية التركية . يرقى تاريخ الكثير من تلك الأطلال الى عهد الدولة البيزنطية التي كان فيها . الامبراطور جوستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥ م) على رأس الدولة والبلاد .

هناك موقعان أثريان من ذلك الزمان يأسران اهتمام الزائر القادم من أي مكان وهما الرصافة وقلعة سمعان .

الرصافة (سيرجيوبوليس)

تقع الرصافة في بادية الشام وتبعد مسافة ٢٦ كم عن مجرى الفرات الاوسط ويبدو أن الانسان توطن في هذا المكان منذ العصور الشرقية القديمة ، فهو يتوسط الطريق القادم من الفرات الى تدمر ، وخلال الفترة الهلنستية الرومانية كانت الرصافة محطة بين سورا (ناحية الحمام الواقعة بين الرقة وسد الفرات) وتدمر . كما كان يمر بها خط الحدود الذي أسسه الامبراطور ديوقليسيان .

اكتسبت الرصافة الأهمية وجذبت الاهتمام اثر الحادثة التي وقعت أيام الامبراطور ديوقليسيان : ففي يوم من أيام ٣٠٥ للميلاد نفذت السلطات الرومانية حكم الاعدام بالضابط السوري سركيس بسبب تمسكه بالايمان بالدين المسيحي الذي شهر الامبراطور ديوقليسيان ضده حملة اضطهاد واسعة النطاق . وتذكر الروايات أن سركيس رفض تقديم الأضاحي للاله جوبيتر حبيب الرومان فكان جزاؤه العذاب والموت في ذلك المكان . منذئذ ذاع صيت هذا الضابط السوري وصار الناس يحجون الى قبره الموجود في موقع الرصافة ، وعندما لمس الحجاج أن هذا القديس يستجيب للرجاء صار الناس يتهافتون الى زيارة قبره زرافات ووحدانا من كل مكان .

قبل منتصف القرن الخامس للميلاد أصبحت الرصافة مركزا لاسقفية وفي ظل الامبراطور البيزنطي اناسطاسيوس (٤٥١ — ٥١٨

للميلاد) تحول اسم الرصافة الى اسم مدينة سركيس أو سيرجيوبوليس باليونانية . كانت غالبية السكان في الرصافة وحولها من العرب وقد ترك حكام بيزنطة في الرصافة كتيبة عسكرية لحماية حدود الامبراطورية ولصد هجمات الفرس من وراء الفرات . وفي ظل الامبراطور جوستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥ للميلاد) شهدت المدينة توسعا كبيرا . كان الأسم التليد رصافة يتحدى الأسم اليوناني سيرجيوبوليس اناسطابوليس وقد غلب التليد على الطارف والأصيل على الدخيل . وهكذا انتصر الأسم الغريب على القرطاس بينما ظل التليد متداولا على السنة الناس .

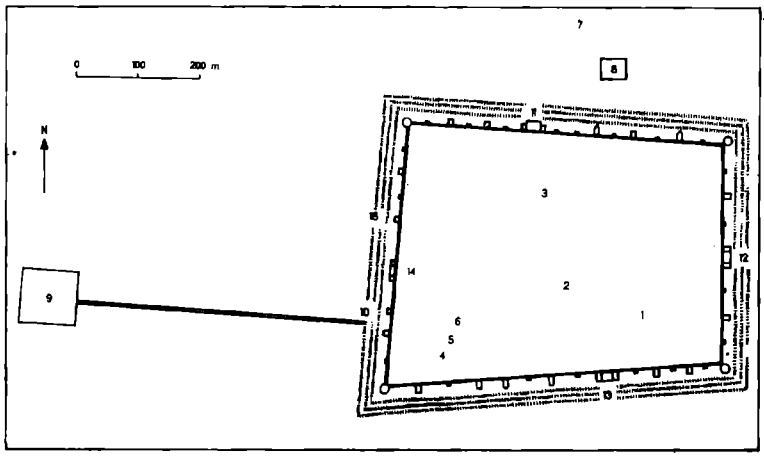

202

الشكل ٢٠٢

– الرصافة : مخطط مبسط لموقع الرصافة .

١ – كنيسة القديس سركيس ٢ – الكنيسة ٣ – كنيسة الشهداء
٤ – خزان المياه الكبير ٥ – خزان المياه الصغير ٦ – خزان المياه الصغير
٧ – كنيسة القبر ٨ – خزان المياه الصغير ٩ – خزان المياه الكبير
١٠ – ساقية ١١– الباب الشمالي ١٢– الباب الشرقي ١٣ – الباب الجنوبي
١٤ – الباب الغربي ١٥ – الخندق والسور .

اجتاحت جيوش كسرى الثاني الرصافة والحقت بها الدمار في عام ٦١٦ للميلاد وفي القرن الثامن للميلاد ضربتها زلزلة عنيفة جعلت عمائرها خرابا لكن الخليفة الأموي هشام أصلح مبانيها وزاد في البنيان كما توسعت المدينة في عهده وخرجت عن نطاق الأسوار وبنى فيها قصورا ومرافق حتى أصبحت تدعى مدينة هشام . ظلت الرصافة مزدهرة وتجتذب اليها الأنظار الى أن جاءت غزوات المغول في القرن الثالث عشر للميلاد فساد الدمار والخراب في كل مكان ولم تسلم الرصافة من تلك الكارثة اذ قام السلطان الظاهر بيبرس باجلاء سكانها الى حماة، وآخر ذكر للمدينة المهجورة لايتعدى ١٢٨٣ للميلاد .

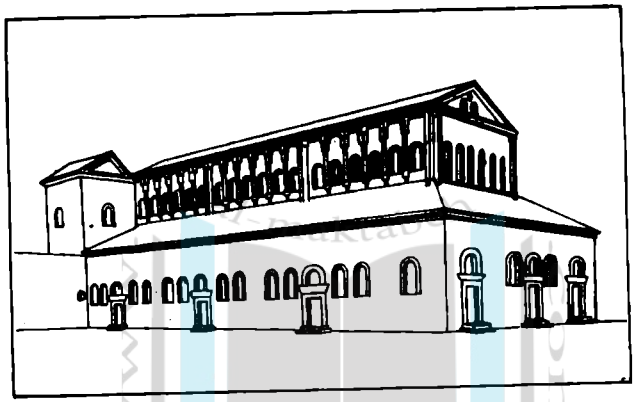

الشكل ٢٠٣

– الرصافة : كنيسة القديس سركيس ، كما يتخيلها كل من بيك وشبانر وغوير .

خيم الصمت على المدينة وطواها النسيان وأول خبر عن أطلالها وصل الى أوربا في القرن السابع عشر وذلك بعد أن مرت بها قافلة

من التجار الانكليز كانت في طريقها من حلب الى تدمر . وكانت أولى التحريات الأثرية والدراسات الهندسية قد تمت على يد علماء كبار من أمثال ساره وهرتزفيلد وشبانر وغوبير . ومنذ ١٩٥٢ تعمل بعثة أثرية المانية باشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف في كشف المعالم الأثرية التي غطتها الرمال . وتقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ سنوات بترميم واصلاح الأماكن المتصدعة أو المهددة بالانهيار كما ستعيد قصر المنذر الغساني – الواقع خارج نطاق الأسوار ، الى ماكان عليه من بهاء ، ليكون متحفا واستراحة للزوار وشاهدا على دور العرب الغساسنة في صنع الحضارة قبل ظهور الاسلام .

تعتبر أسوار الرصافة من أضخم نماذج العمارة العسكرية التي ماتزال ماثلة للعيان بشكل شبه كامل منذ الفترة البيزنطية حتى الآن . تحيط الأسوار ببقعة مستطيلة الشكل تقريبا ، والمستطيل موجه نحو الجهات الرئيسية أي ان أضلاعه تتجه بالتوالي نحو الشرق والغرب ونحو الجنوب والشمال . يبلغ طول الضلع الجنوبي ٥٤٩,٤٠ م والشمالي ٥٣٦,٥٠ م والغربي ٤١١,٢٠ والشرقي ٣٥٠,٣٥ م . ولا بد أن كان ارتفاع السور يتراوح بين ١٠ و ١٢ م ، وكان للسور في الداخل ممرات وأنفاق للدفاع في طابقين متتاليين . وزيادة في التحصين والمنعة أقيمت الأبراج المختلفة في الزوايا وعلى الأضلاع . ولجعل المدينة تمعن في الامتناع أحيط السور بخندق عميق يملأ بالماء ، وما تزال بقايا هذا الخندق ظاهرة للعيان .

للمدينة أربع بوابات ، واحدة في منتصف كل ضلع من الأضلاع ، أفخمها وأكثرها بهاء البوابة المطلة نحو الشمال (انظر الأشكال ١٨٦ ،

١٨٧) . ولما كانت هذه البوابة تقود من يغادر المدينة في اتجاه الفرات فقد اكتست حلة قشيبة من الزينة والزخارف المنحوتة بحيث يتناسب مظهرها مع أهمية موقعها .

اذا دخلنا المدينة القابعة خلف الأسوار سنواجه بقعة من الأرض تمتلىء بالحفر الحديثة وتكثر في أرجائها الأطلال الشاخصة (انظر الشكل ١٨٣) .

عمائر الرصافة جميعها مشيدة بحجارة جصية ناصعة البياض تتلألأ في ضوء القمر في الليل وتعكس أشعة الشمس في النهار . كانت الحجارة تأتي من مقالع حجرية تقع الى الشمال من المدينة .

ان أهم الأطلال في داخل المدينة يتمثل في بقايا كنيسة القديس سركيس التي ظهرت فيها كتابة تأسيسية على الفسيفساء تذكر أن البناء قام في سنة ٥٥٦ بعد الميلاد . تقع هذه الكنيسة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة وهي تتألف من ثلاثة أروقة وردهة في الأمام . وفي ضلعها الشرقي تتقعر حنية نصف مستديرة مخصصة لقدس الأقداس ، وفي وسطها ترتفع منصة حجرية يطلق عليها اسم « البيما » وهي مخصصة للكهنة أثناء الوعظ وترديد التراتيل . كان الرواق الأوسط — وهو الأعظم — مغطى بسقف سنمي . أما الرواقان الجانبيان والردهة الأمامية فيغطيهم سقف مائل . يخترق الكنيسة صفان من الأقواس المحمولة على أعمدة وتيجان . وهما يقسمان داخل الكنيسة الى ثلاثة أروقة أو الى ثلاثة أقسام . يلج النور الى باطن الكنيسة عبر نوافذ لها أقواس نصف مستديرة تخترق الاجزاء العلوية لجداري الرواق الأوسط ، علما أن الرواق الأوسط يتعالى في ارتفاعه على مستوى الرواقين الجانبيين .

ليس بعيدا عن هذه الكنيسة تظهر أطلال كنيسة ثانية تعرف اصطلاحا بالكنيسة – ب (انظر الشكل ١٨٩) . ومن المعتقد أن يعود تاريخ هذا البناء الى منتصف القرن السادس بعد الميلاد ، وربما تعود الى نفس هذا التاريخ أطلال كنيسة الشهداء الجاثمة قريبا من بوابة الشمال . (انظر الشكل ١٨٨ ، ١٨٩) ، وتتميز هذه الكنيسة بثراء زخارفها المنحوتة الى حد الأفراط . أما خارج نطاق الأسوار فيقوم قصر المنذر ملك العرب من آل غسان وبقايا قصر من قصور هشام .

لابد أخيرا من الاشارة الى الأقبية الواقعة في الجنوب الغربي كانت تلك الأقبية مخصصة لتخزين الماء الذي تمن به السماء في فصل الشتاء ولولا هذا الماء لصار من المحال المكوث أو العيش في هذا المكان من بادية الشام .

يبلغ طول القبو الأعظم ٥٧,٥٠ م رعرضه ٢١,٥ م وعندما تتجمع المياه حتى ارتفاع ١٣ مترا يبلغ محتواه من الماء ١٦,٠٠٠ من الأمتار المكعبة . هناك فاصل من الأقواس المحمولة على دعامات يقسم داخل القبو الى قسمين وكلاهما مغطيان بقبوة واحدة . كان يجري رفع الماء بسطل من باطن ردهة تتقدم القبو .

مامن شك أن مدينة الحجاج أو الرصافة البيضاء تعتبر من أروع المواقع الأثرية التي سبقت ظهور الاسلام في الجمهورية العربية السورية .

قلعة سمعان

في ختام استعراضنا لمواقع الآثار القديمة في الجمهورية العربية السورية سوف لانتعرض لآثار مدينة كانت ذات يوم قائمة بل سنتناول

أطلال أديرة وكنائس كانت ذات يوم قبلة الحجاج القادمين من كل حدب وصوب لنيل بركة الراهب السوري سمعان الذي غدا قديسا إثر بقائه طيلة حياته وحتى الممات فوق عمود بالغ الارتفاع ولم يكن يتناول شيئا من الطعام أو الشراب الا مايساعده على مواصلة البقاء .

انتشرت الرهبنة في سورية المسيحية منذ القرن الرابع للميلاد وقد كان الناتج شكلا متميزا ومبالغا من أشكال تصعيد الوجدان وهذا مافعله القديس سمعان .

ولد القديس سمعان في ٣٩٠ للميلاد وعندما بلغ من العمر ثلاثين عاما أقام لنفسه عمودا اتخذه مقرا مدى الحياة . وكان لمواعظه أمام الجمهرةالتي كانت تلتف باستمرار حول العمود ولردوده علىالرسائل التي كانت تصله من كل مكان . أثرها الكبير على الكنيسة السورية . وعندما توفى الله سمعان في ٤٥٩ للميلاد . أقيم له قبر فوق العمود ، وفيما بعد تم نقل رفاته الى أنطاكية حيث كانت وما تزال مقر بطاركة المشرق وبلاد الشام . لكن العمود الذي عاش فوقه سمعان ظل مقدسا في قلوب الناس ، كما أن كثيرا من الرهبان ظلوا يسلكون طريق سمعان حتى القرن العاشر للميلاد .

دعت الوفود المتزايدة من الحجاج الى قيام دير حول العمود في القرن الخامس للميلاد وأصبح الدير يحمل اسم القديس سمعان .

تقع أطلال قلعة سمعان فوق جبل سمعان الى الشمال الغربي من حلب الشهباء . يطل الجبل على واد نهر عفرين . تشغل الأطلال بأكملها مساحة ١٢٠٠٠ م٢ . وهي محاطة بسور حصين المظهر . وهناك سور

يفصل الدير وكنيسة سمعان – الذي كان قبلة الزوار والحجاج – عن بقية العمائر الموزعة في نفس المكان .

صممت كنيسة القديس سمعان في هيئة صليب يبلغ طوله الأقصى ١٠٠ م وهي مؤلفة في الواقع من أربع كنائس تلتف حول بنيان متوسط .

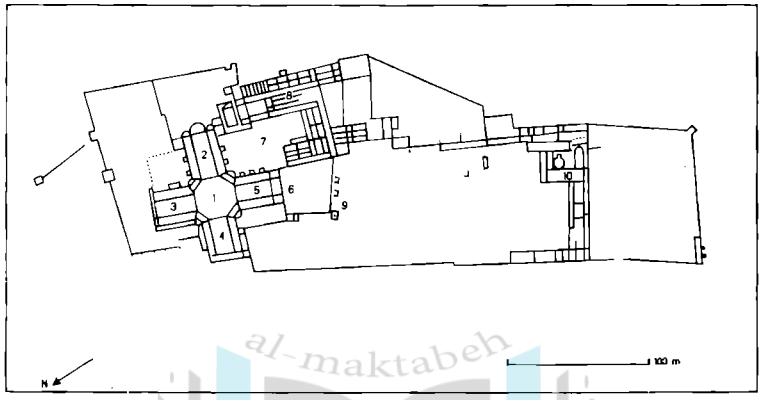

الشكل ٢٠٤

– قلعة سمعان : مخطط عام لموقع قلعة سمعان كما وضعه دي فوغيه وأكمله تشالينكو وكريتكر

١ – المتمن الذي يحوي عمود القديس ٢ – الكنيسة الشرقية ٣– الكنيسة الشمالية
٤ – الكنيسة الغربية ٥ – الكنيسة الجنوبية ٦ – ردهة الكنيسة الجنوبية
٧ – ساحة الدير ٨ – الدير ٩ – المدخل الرئيسي ١٠ – المعمودية .

يعتبر هذا البناء الذي يرقى تاريخه الى نهاية القرن الخامس للميلاد ، أجمل العمائر المسيحية التي قامت خلال الفترة البيزنطية في بلدان المشرق على الأطلاق ؛ (انظر الشكل ١٩٧) . في مركز الكنيسة بقية العمود

الذي كان موطنا للقديس سمعان . وكان يبلغ ارتفاع هذا العمود في أيام سمعان حوالي ٢١ م . يحيط بالعمود بناء مثمن الأضلاع وتخترقه أقواس بالغة الاتساع لكن الحنيات التي تتقعر في أربعة من تلك الأضلاع تجعل المثمن يبدو مربعا . أما بقية الأضلاع فتتصل بأربع كنائس بالغة الامتداد (انظر الأشكال ١٩٤ . ١٩٥ . ١٩٦) . ثمة دلائل تشير الى أن الحيز المثمن لم يكن مكشوفا للسماء بل كانت تعلوه قبة من الخشب . تتمتع الكنائس الأربع المتصلة بالمثمن المتوسط بأشكال معمارية مختلفة. الشرقية لها حنية رئيسية وحنيتان ثانويتان كما أنها أكبر حجما من الكنائس الثلاثة الأخريات . أما الغربية والشمالية والجنوبية فأشكالها بسيطة وحجومها صغيرة . يتقدم الجنوبية رواق يطل نحو الخارج بقوس ثلاثي الفتحات (انظر الأشكال ١٩٠ . ١٩١ ، ١٩٢) . لكن من المعتقد أن يكون هذا الرواق قد أضيف في القرن السادس للميلاد . تمتد حول الكنيستين الشرقية والجنوبية باحة واسعة يقوم في رحابها بناء الدير ومصلى خاص بالكهنة .

على بعد حوالي ٢٠٠ م الى الجنوب من كنيسة القديس سمعان يتعالى بناء المعمودية (انظر الشكل ١٩١ . ١٩٢) وهذه المعمودية مكونة من جسم مربع الشكل يلتحم مع بناء كنيسة ثلاثية الأقسام (بازيليكا).

الى الجنوب من المعمودية يخترق السور باب يقود الخارج من المكان عبر طريق منحدر الى مرافق دير سمعان . وهي مبان ومنشآت كانت تستخدم لنزول الحجاج والزوار . يدلل العدد الكبير من تلك المباني والمنشآت على مدى ضخامة قوافل الحجاج القادمة لزيارة القديس سمعان .

انتهت الفترة الرومانية الشرقية البيزنطية في بلاد الشام مع قدوم الاسلام في منتصف القرن السابع للميلاد . ففي ٦٣٣ للميلاد دخلت جيوش العرب المسلمين مشارف بلاد الشام وفي ٦٤٠ للميلاد كانت رايات الاسلام ترفرف في كافة أرجاء سورية أو كافة البلاد الواقعة الى الغرب من نهر الفرات وقبل أن ينتصف القرن أصبح سواد العراق والأراضي الواقعة الى الشرق من الفرات خاضعة لانصار الاسلام ، وفي ٦٦١ أضحت دمشق عاصمة للخلفاء من بني أمية وظلت هكذا طيلة قرن من الزمان .

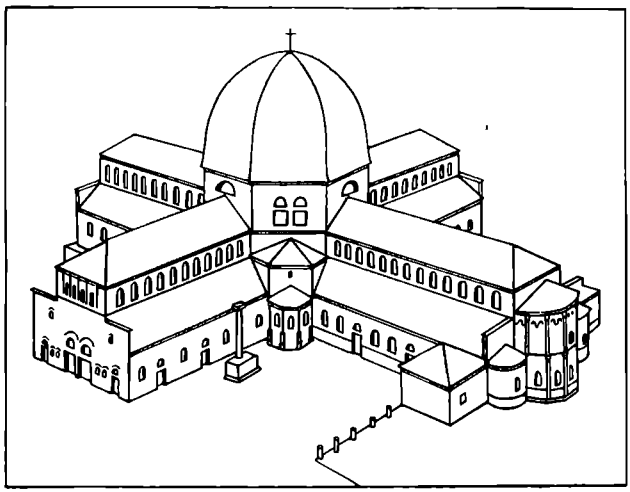

الشكل ٢٠٥ .

– قلعة سمعان : كنيسة القديس سمعان كما تخيلها كرينكر .

اذا كان العنصر العربي قد لعب دورا في بوتقة بلاد الشام منذ زمن طويل فان عروبة البلاد أصبحت متكاملة مع انتشار الاسلام . وهاهم

عرب الاسلام يعيدون عرى الاتصال بالتليد من حضارة البلاد بعد أن طغت عليها شمس الغرب الغريب طيلة قرون طويلة من الزمان، فانذاك تحولت تدمر الى بالميرا والرصافة الى سيرجيو أو اناسطابوليس وحماة الى ايبيفانيا والرقة الى كالينيكوم . واللات الى اثينا وحدد وبعل الى جوبيتر . وبالرغم من حرص الاسلام العودة بالبلاد الى أصالتها فانه لم يرفض الدخيل من الأشكال والافكار بل حافظ على النافع منها وصهره في بوتقة الاسلام.. (انظر الشكل ١٩٩) . فأثناء بناء المساجد والقصور استفاد الاسلام من منجزات الأغريق والرومان في مجالات الفنون والعمار كما أنه لم يجد غضاضة من اعادة استخدام النافع من عناصر عمارة ذلك الزمان مثل الأعمدة والتيجان . (انظر الشكل ٢٠٠) وهكذا امتزج الطارف والتليد والأصيل فخرجت في ظل الاسلام انجازات حضارية تثير الأعجاب ان كان ذلك في مجالي الفنون والعمارة أو في مجال العلوم ، وما يزال أثر هذا التراث فاعلا حتى اليوم وهو يلعب دورا أساسيا في تكوين الوعي الحضاري لدى عامة الناس . والجمهورية العربية السورية تدرك مدى أهمية هذا التراث بحيث أنها لاتأل جهدا في الحفاظ عليه وصيانته باستمرار .

* * *

الشكل ١

قلعة المضيق : منظرعام لقرية قلعة المضيق مأخوذ من الشرق . تعود أسوار القلعة إلى العهد العربي الاسلامي ، لكن القلعة تقوم فوق أنقاض قلعة أفاميا القديمة . في هذا المكان أو بجواره لابد أنه كانت تقوم مدينة (نية) التي نشأت في العصر البرونزي ويرد ذكرها كثيراً في النصوص المسمارية المسطرة في الألف الثاني قبل الميلاد .نرى في خلف المنظر وادي الغاب وسلسلة جبال اللاذقية .

al-maktabeh
مكتبة المهتدين

الشكل ٢

منظر لقرية في شمالي سورية حيث تتميزبهاالبيوت ذات القباب المخروطية . وهناك شواهد أثرية من صور أو منحوتات تؤكد أن هذا الطراز من البيوت كان معروفاً منذ أقدم العصور

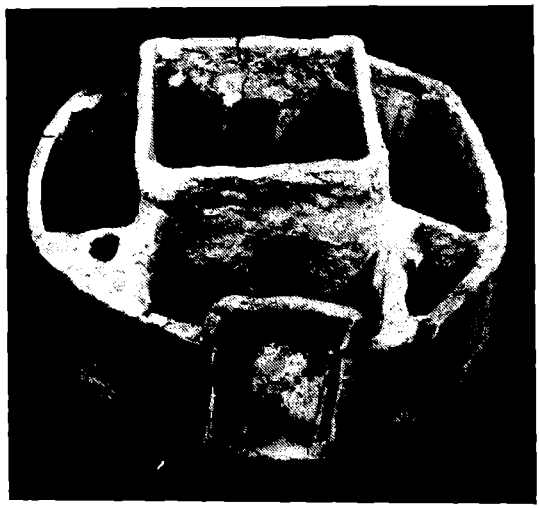

الشكل ٣

ماري / تل الحريري : مجسم طيني لبيت مستدير تر تصف الغرف فيه حول باحة متوسطة . يبلغ قطر المجسم ٥٤ سم وهو يرقى في تاريخه إلى الألف الثالث قبل الميلاد أو فترة الازدهار الاولى في مملكة ماري . والمجسم محفوظ في المتحف الوطني بدمشق .

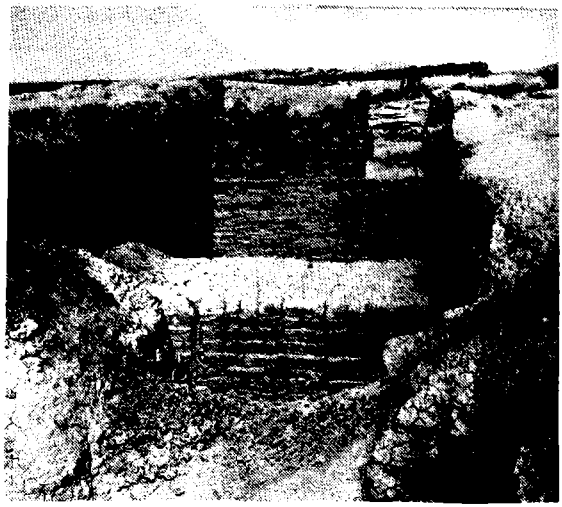

الشكل ٤

ماري : المباني في هذه المدينة مشيدة باللبن . فالطين المتوفر بكثرة في وادي الفرات كان يمزج مع التبن ثم يجري صبه في قوالب تخرج منها ألواح اللبن التي تجفف بأشعة الشمس

نستطيع أن نميز في الصورة بوضوح المونة التي تربط بين اللبنة والأخرى . بيد أن الجدران والأساسات التي تكشف عنها التنقيبات الاثرية سرعان ماتتأثر بالأمطار والرياح وبالتالي تتعرض للهلاك الابدي .

الشكل ٥

ماري : أماطت التنقيبات الاثرية داخل القصر الملكي الكبير ، الذي يعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد ، اللثام عن معالم قصر أقدم عهدا ، إذ يعود إلى عصر السلالات الأولى أو حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . ونشاهد في الصورة بقايا القصر القديم بكل وضوح حيث تختر فه من الأعلى إلى الأسفل الحلقات الأسطوانية الفخارية التي كانت تستخدم للتصريف في القصر الأحدث عهداً . يبلغ قطر كل حلقة ٩٥ سم وارتفاعها ٥٥ سم .

الشكل ٦

اوغاريت / رأس الشمرة : منظر أحد باحات القصر الملكي الكبير في المدينة . تغطي النباتات والزهور خلال فصل الربيع من كل عام المعالم الأثرية المكتشفة في هذا الموقع .

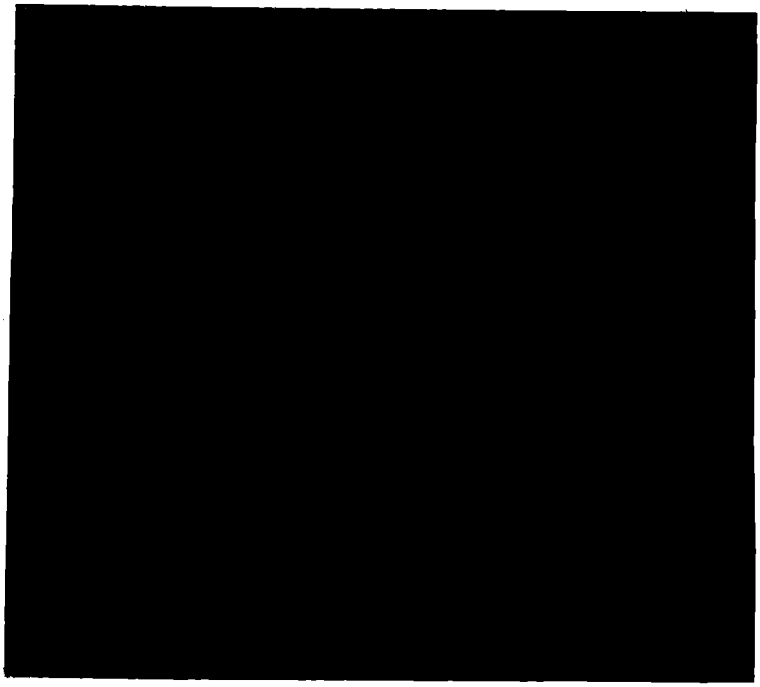

الشكل ٧

اوغاريت : يكثر حطام الأواني الفخارية في مواقع التنقيب الاثري ويعتمد علماء الآثار في كثير من الاحوال على مثل هذه البقايا الفخارية في تحديد تاريخ المكانوفي رصد التأثيرات الفنية الخارجية .

الشكل ٨

ماري : معالم أبنية تعود إلى عصر السلالات الاولى بالقرب من زيقورة ماري وقد انهارت جميعها بفعل الحريق .

نشاهد في الخلف وادي الفرات الذي كان خصبه من أسباب وجود ماري .

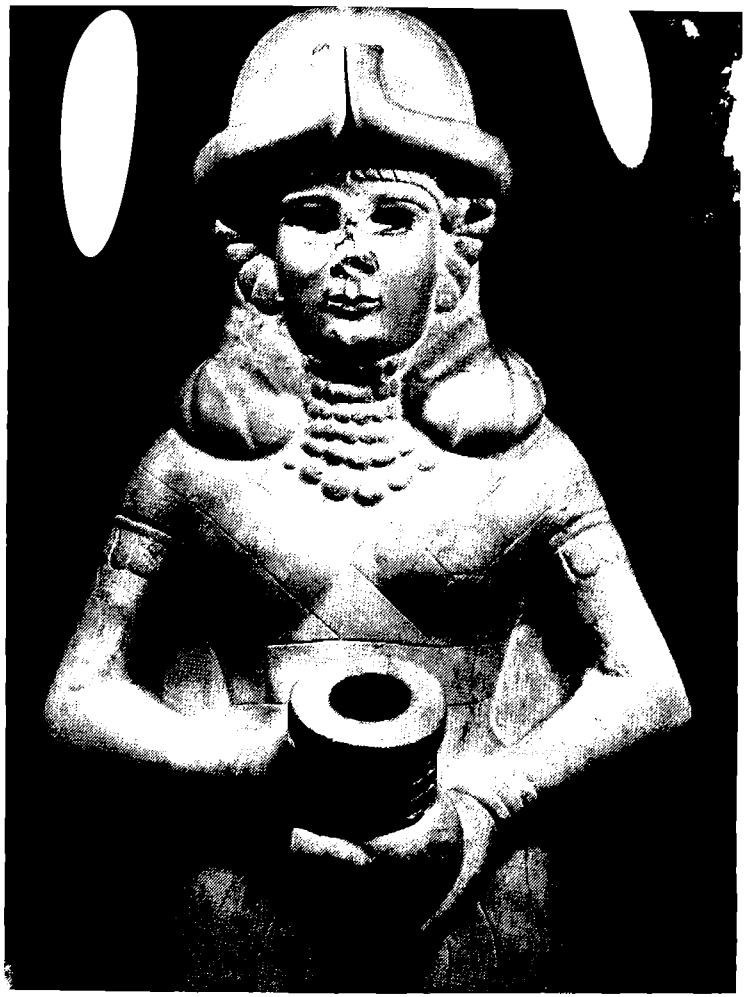

الشكل ٩

ماري : تمثال من الحجر الابيض يشخص ربة المياه المتدفقة أو ربة الفرات . يبلغ ارتفاع التمثال ١,٤٢ م . وجد هذا التمثال في داخل قصر زيمريليم ويعود إلى حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد .

عينا التمثال كانتا منزلين بالحجارة الثمينة (لعله اللازورد) .

تمسك الربة يديها انية يتدفق منها ماء الحياة ، فالخطوط المتموجة وأشكال السمك المحزوزة على الرداء ترمز إلى فيضان الماء .

التمثال مجوف في داخله بحيث يمر فيه الماء المندفع من أسفله ليخرج متدفقاً من فوهة الآنية التي بين يدي التمثال . ولابد أن مثل هذه النوفرة كانت تستخدم أثناء المراسم الدينية ، فهناك مناظر شبيهة نواجهها في الفن الرافدي .

التمثال محفوظ في متحف حلب .

الشكل ١٠

ماري : رسوم جدارية ملونة كانت تزين قصر الملك زيمريليم في حوالي ١٨٠٠ ق م . نرى في هذه الصورة مقطعاً من منظر موكبي ديني لتقديم الأضاحي ، أما اليد التي تحجب جزءاً من عمامة الرجل فلابد أن تكون لشكل رجل أكبر حجماً يتقدم الموكب لعله الملك أو رئيس الكهنة .

هذا الأثر محفوظ في متحف اللوفر بباريس .

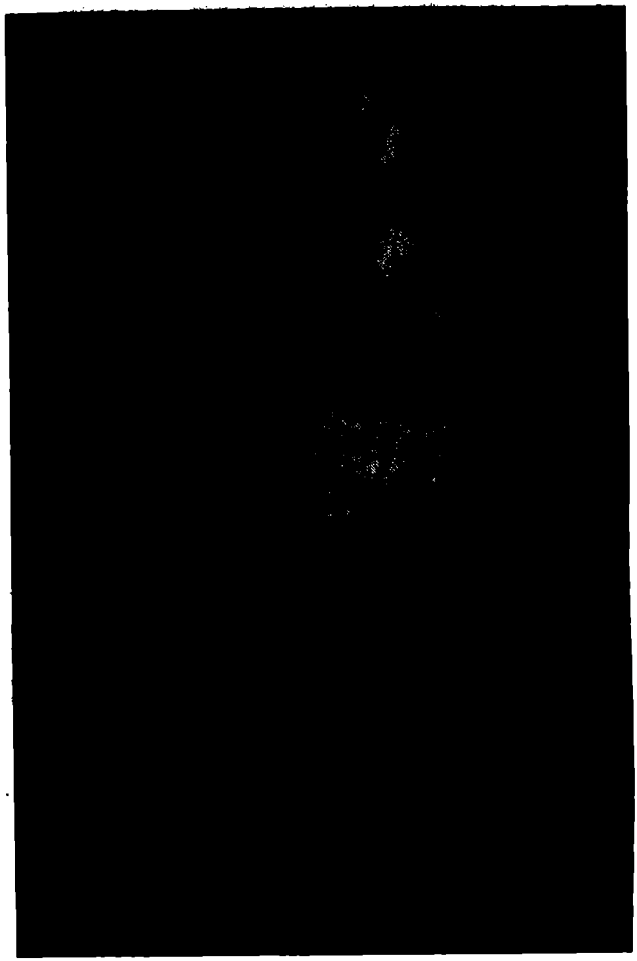

الشكل ١١

ماري : تمثال الملك ايكوشاماجان المصنوع من حجر الالأباستر . ويبلغ طول هذا التمثال مقدار ١,١٢ م وهو محفوظ في المتحف الوطني بدمشق.

كان هذا الملك من أفراد سلالة سامية وكان ملكاً على ماري في حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وقد عثر المنقبون على هذا التمثال في أنقاض معبد نيني زازا في ماري .

الشكل ١٢

تل مرديخ / ايبلا : الباب الجنوبي في سور المدينة وتظهر في يسار الصورة بقايا الالواح الحجرية التي تغطي الوجه الجانبي للممر . يبلغ طول الباب ٢١,٥ م ويصل عرضه إلى ٥ م ويتألف من غرفتين رئيسيتين لكل منها محاريب تزيينية جانبية وهناك ردهة تتقدم الغرفتين الآنفتي الذكر .

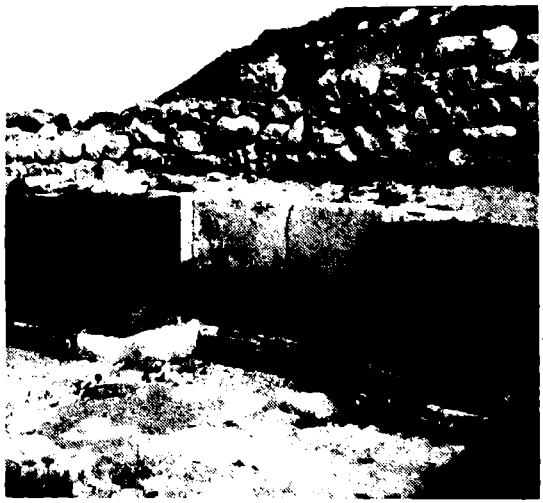

الشكل ١٣

تل مرديخ / ايبلا : الجانب الشرقي للممر الثاني في الباب الشمالي للمدينة ، وفيه نشاهد الألواح الحجرية الكبيرة التي تغطي وجهي الممر .

الشكل ١٤

تل مرديخ / : مشهد للتنقيبات في القطاع ب حيث ظهرت بقايا بناء لعلها مستودعات .

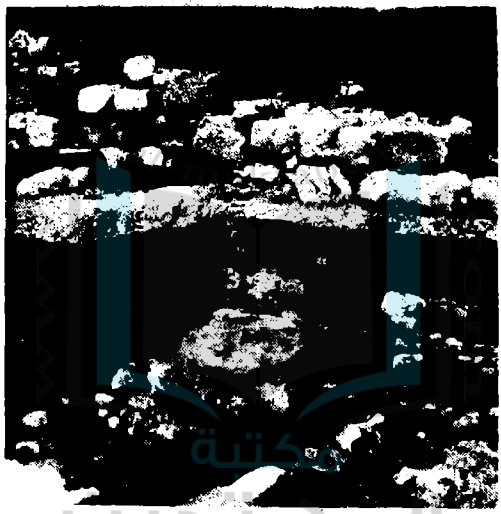

الشكل ١٥

تل مرديخ / ايبلا : جزء من بقايا معبد أظهرته التنقيبات في الجزء الغربي من التل الرئيسي.

مكتبة المهتدين

الشكل ١٦

حوض من الحجر الكلسي عثر عليه في المعبد المكتشف فوق قمة التل ، ويبلغ طوله ١,١٢ م. يمثل النحت النافر على وجهه مشهد وليمة دينية حيث يتقابل رجل وامرأة أمام مائدة ويمسك كل منهما بتقدمات.. يقف خلف الرجل عدد من المهاربين ويقف خلف المرأة عدد من الوصيفات اللاتي يحملن القدور والأواني بأيديهن .

أما المشهد السفلي فإنه يمثل قطيعاً من المواشي التي يهاجمها أسد ظهر لها وراء الصخور .

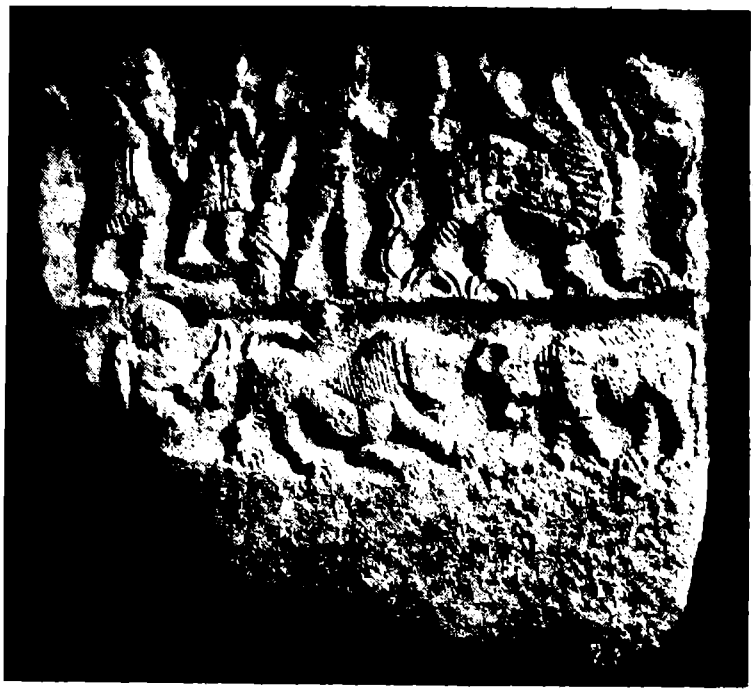

الشكل ١٧

تل مرديخ / ايبلا : أحد وجوه الحوض الموصوف في الصورة السابقة ، يمثل المشهد العلوي محاربان يقتفيان بطلا يمسك بذيل الوحش الخرافي (غريفون) ويمثل المشهد السفلي رجلا يشد القوس والسهم وراء أسد يزأر في وجه ثور هائج .

الشكل ١٨

تل مرديخ / ايبلا : أظهرت التنقيبات في الجزء الشمالي من التل الرئيسي بقايا قصر ملكي وفي الصورة نرى جزءاً من الباحة المركزية وعدداً من الغرف التي تكتنف تلك الباحة

الشكل ١٩

تل مرديخ / ايبلا : نشاهد في أسفل الصورة معالم المدخل المؤدي إلى باحة القصر الملكي الموصوف في الصورة السابقة . وفي أعلى الصورة نشاهد معالم معمارية تعود لعصور متأخرة .

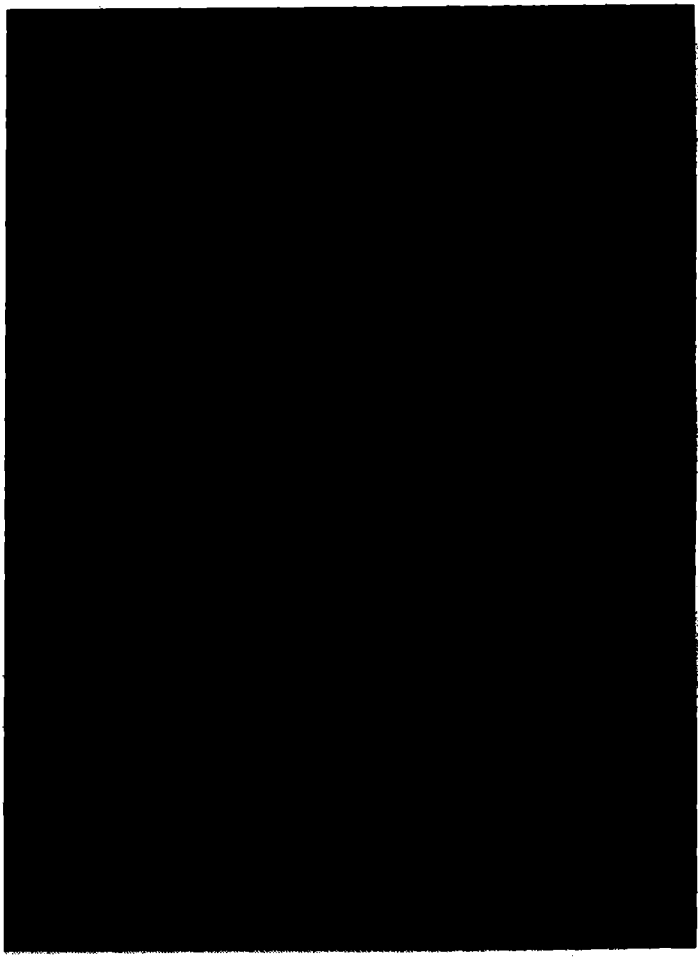

الشكل ٢٠

رأس الشمرة / اوغاريت : يعتبر هذا الرأس العاجي البالغ ارتفاعه ١٥ سم من أجمل المكتشفات العاجية في أوغاريت ، فهو يرقى إلى الألف الثاني قبل الميلاد ويمثل رأس إله شاب لعله بعل نفسه .

كان الرأس مموهاً بالذهب وكانت الأحجار الكريمة الملونة تملأ الفراغ في الحاجبين والعينين .

الرأس محفوظ في المتحف الوطني بدمشق .

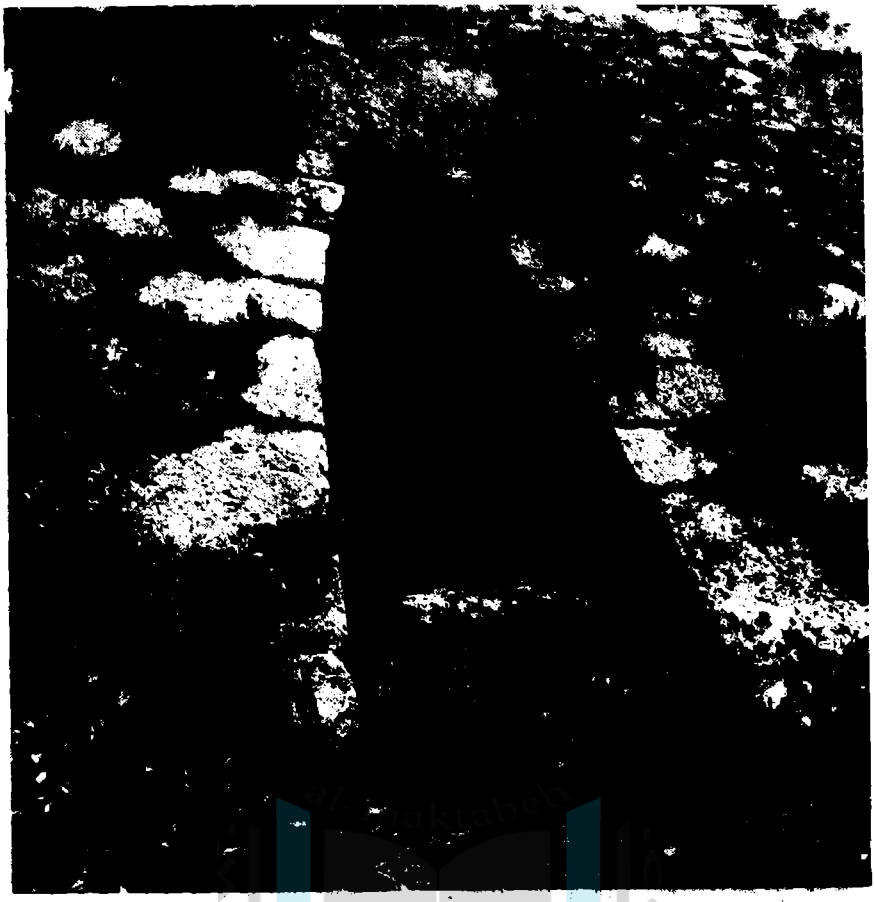

الشكل ٢١

اوغاريت : الضلع الغربي للقصر الملكي . يبلغ ارتفاعه الحالي ستة أمتار ويخترقه نفق أرضي مشيد بالحجارة له سقف من البلاطات الحجرية . في حال مداهمة الأعداء للميناء يمكن الرجوع بسرعة إلى داخل القصر المحصن عبر هذا الباب السري أو مداهمة الاعداء خفية في حال ضرب الحصار على القصر . يبلغ ارتفاع النفق السري خمسة أمتار وينعطف في مساره وله درج يؤدي إلى مستوى القصر . يختفي باب السر هذا وراء برج . أما ساكف الباب فإنه مؤلف من قطعة حجرية واحدة يبلغ ثخنها المترين .

الشكل ٢٢

اوغاريت : يقود النفق السري إلى ساحة فيها غرفة حراسة مجاورة لباب القصر الكبير . السدادات الحجرية المثلثة لا يمكن تحريكها إلا من الداخل وهي تسد فتحات مثلثة تتيح المجال للحراس لمراقبة القادمين إلى القصر عبر النفق السري .

الشكل ٢٣

اوغاريت : تقودنا درجات النفق السري إلى ساحة تتقدم القصر . وفي الصورة نشاهد واحداً من القاعدتين الحجريتين المستديرتين اللتين كان يرتكز عليهما عمودان خشبيان كانا يحملان ساكف المدخل الخاص بالقصر . وفي مؤخرة الصورة نشاهد معالم جدران تختفي وراءها بعض الغرف التي عثر المنقبون بداخلها على الرقم المسمارية وقد أطلق المنقبون الأثريون على هذا المكان اسم « الأرشيف الوثائقي الغربي » .

الشكل ٢٤

اوغاريت : الباحة الكبرى في القصر الملكي الكبير مفروشة بالبلاط الحجري وفيها بئر له تصوينة من قطعة حجرية واحدة ، والبئر ممتلىء بالماء ويسقى منه الزوار حتى يومنا هذا .

الشكل ٢٥

مايزال بلاط الساحة الكبرى في القصر بحالة ممتازة . اذا كان المرء قادما من النفق السري مارا بغرفة الحراسة فانه يصل إلى الساحة الكبرى وبالتالي إلى منطقة القصر عبر عبر المدخل الشمالي .

الشكل ٢٦

أوغاريت : عثر المنقبون الأثريون في الباحة الثانية داخل القصر الملكي الكبير على حوض للفحم وعلى بقايا درج

الشكل ٢٧

أوغاريت : كان القصر الملكي – مثله في ذلك مثل بقية أحياء المدينة – مزودا بأقنية لجر المياه وبمجاري لتصريفها ، فضلا عن وجود الأحواض المائية في عدة أماكن من القصر .

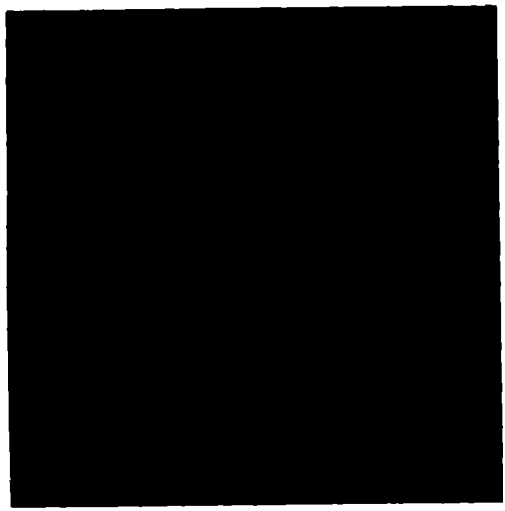

الشكل ٢٨

أوغاريت : السور الخارجي للقصر الملكي الكبير كان مشيدا بقطع الحجارة الصقيلة والمنتظمة .

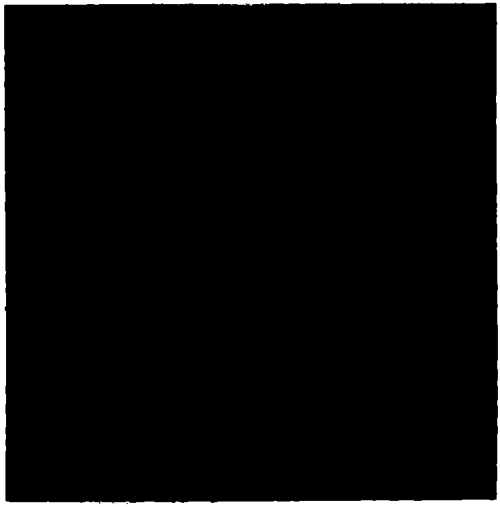

الشكل ٢٩

كانت المقبرة الملكية تقع في داخل القصر الكبير . وهناك درج يقود الى مدفن أرضي يحتوي على رفات الموتى من أفراد العائلة المالكة .

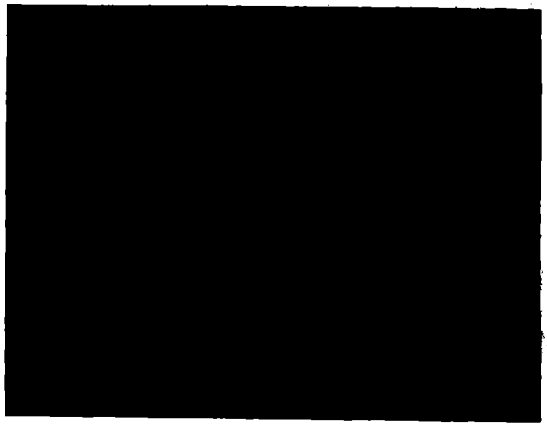

الشكل ٣٠

أوغاريت : أحد الشوارع في مدينة أوغاريت وفي هذه الصورة نشاهد مدى ارتفاع جدران اللور والمنازل المتهدمة التي كانت تطل على الشارع .

الشكل ٣١

أوغاريت : المعبد الرئيسي في مدينة أوغاريت ، لا بد أن كان هذا المعبد مخصصا للاله بعل – اله الطقس – . لم يبق من المعبد إلا القليل ، وفي مقدمة الصورة نرى المذبح الذي كان يتقدم الهيكل أو قدس الأقداس .

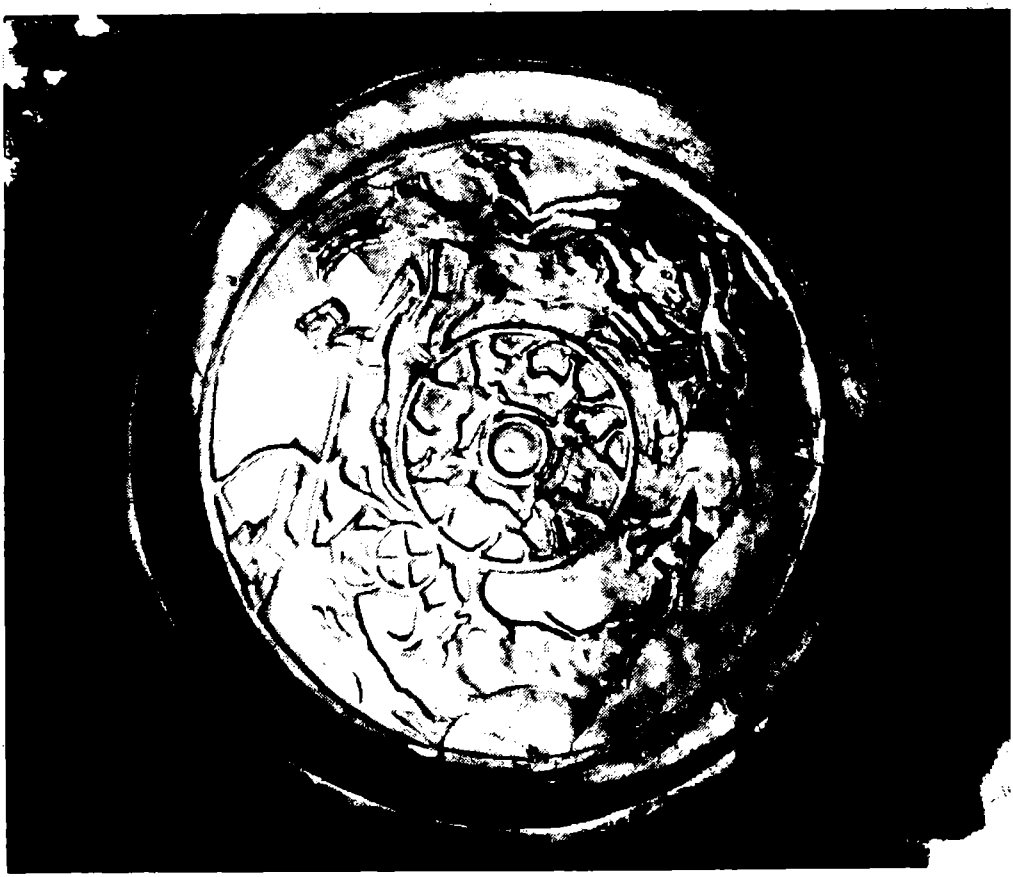

الشكل ٣٢

أوغاريت : عثر المنقبون بالقرب من معبد بعل على طاستين ذهبيتين مزينتين بالزخارف المطروقة . يبلغ قطر الطاسة ١٨,٥ سم . يزين قعر الطاسة في الداخل منظر ماعز وفي الخارج منظر صيد . (الطاسة موجودة في متحف اللوفر بباريس) .

الشكل ٣٣

أوغاريت : الحي الجنوبي في مدينة أوغاريت حيث يكتظ بالدور وتتشعب فيه الأزقة التي كانت تطفح بالحياة ويعج فيها الصخب في غابر الزمان . وعثر المنقبون في أحد بيوت هذا الحي على مكتبة علمية خاصة .

الشكل ٣٤

أوغاريت : هذا المنظر العام للحي الجنوبي . بالرغم من أنه لايشكل إلا جزءا صغيرا من مساحة المدينة إلا أنه يزودنا بفكرة عن أهمية وعظمة ذلك الميناء السوري في الألف الثاني قبل الميلاد .

الشكل ٣٥

أوغاريت : يوجد هذا السرداب بالقرب من معبد بعل وهو واحد من السراديب الكثيرة التي ظهرت في أوغاريت . وتذكرنا هذه السراديب بالكهوف الميسينية المعاصرة لها في اليونان .

الشكل ٣٦

تل برسيب (تل أحمر) : انتشرت عبادة اله الطقس انتشارا واسعا في المناطق التي اعتمدت على الزراعة المطرية في بلاد الشام فقد عثر الأثريون على أعداد كبيرة من التماثيل والمنحوتات النافرة التي تمثل الاله الذي يسبب الخصب . و في تل برسيب (تل أحمر) أظهرت التنقيبات الأثرية نصبا حجريا يمثل إله الطقس واقفا فوق الثور المقدس ويمسك بيديه الفأس المزدوجة و حزمة البرق . وتجدر الإشارة إلى أن القرون على الرأس ترمز إلى ربوبية الشكل الذي يحملها . يعلو الإله المذكور شكل الشمس المجنحة وهذا الشكل واسع الانتشار في عالم الشرق الأدنى القديم .

هناك كتابة هيروغليفية حثية على الأوجه الثلاثة للنصب .

يعود تاريخ هذا النصب الموجود حاليا في متحف حلب إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد .

الشكل ٣٧

تل برسيب (تل أحمر) : اثنان من الوجهاء على جزء من رسوم جدارية كانت تزين قصر الوالي الآشوري على المدينة وذلك في أيام الملك تغلات بيلاصر الثالث (٧٤٥ ٧٢٧ ق . م) .

هذا الأثر موجود في متحف حلب .

الشكل ٣٨

تل الكنزل : قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بتنقيبات في هذا التل الواقع على الساحل السوري ويعتقد أن تكون مدينة سميرا غائبة في باطنه . أظهرت التنقيبات أواني فخارية مستوردة ومن صنع محلي . وفي الصورة نموذج لا نية فخارية محلية يعود تاريخها إلى عصر البرونز الحديث (النصف الثاني للالف الثاني ق . م) .

الجرة موجودة في المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ٣٩

حداتو (ارسلان طاش) : اكتشفت البعثة الأثرية الافرنسية خلال تنقيباتها في تل ارسلان طاش (مدينة حداتو القديمة) عدداً من الصفائح العاجية المنحوتة التي كانت جزءا من كرسي سرير ملك دمشق الآرامي حزاقيل (القرن التاسع ق . م) . تمثل هذه اللوحة منظر كبشين مجنحين متقابلين ويحمل كل منهما على رأسه التاج المصري المزدوج . يأخذ جسما الكبشين هيئة جسم الأسد . وترمز الشجرة المنفذة بأسلوب تجريدي الى شجرة النخيل المقدسة .

التحفة موجودة في متحف حلب .

الشكل ٤٠

غوزانا (تل حلف) : ظهر هذا النحت النافر أثناء تنقيبات البعثة الأثرية الالمانية في تل حلف الذي يخفي في ثناياه بقايا مدينة غوزانا الآرامية . يبلغ ارتفاع النصب ١,٢٥ م ويصل عرضه الى ١,٤٠ م . يمثل النحت منظر رجلين نصفهما الأسفل على هيئة جسم ثور ويرفعان قرص الشمس المجنح . يقف بين الرجلين الثورين رجل ثالث مثني الركبة ويسند بكفيه يدي الرجلين . كانت أجواف العيون في الشمس منزلة بالأحجار الكريمة (الآن مفقودة) .

يعود تاريخ هذا النصب إلى القرن الثامن قبل الميلاد وهو موجود في متحف حلب .

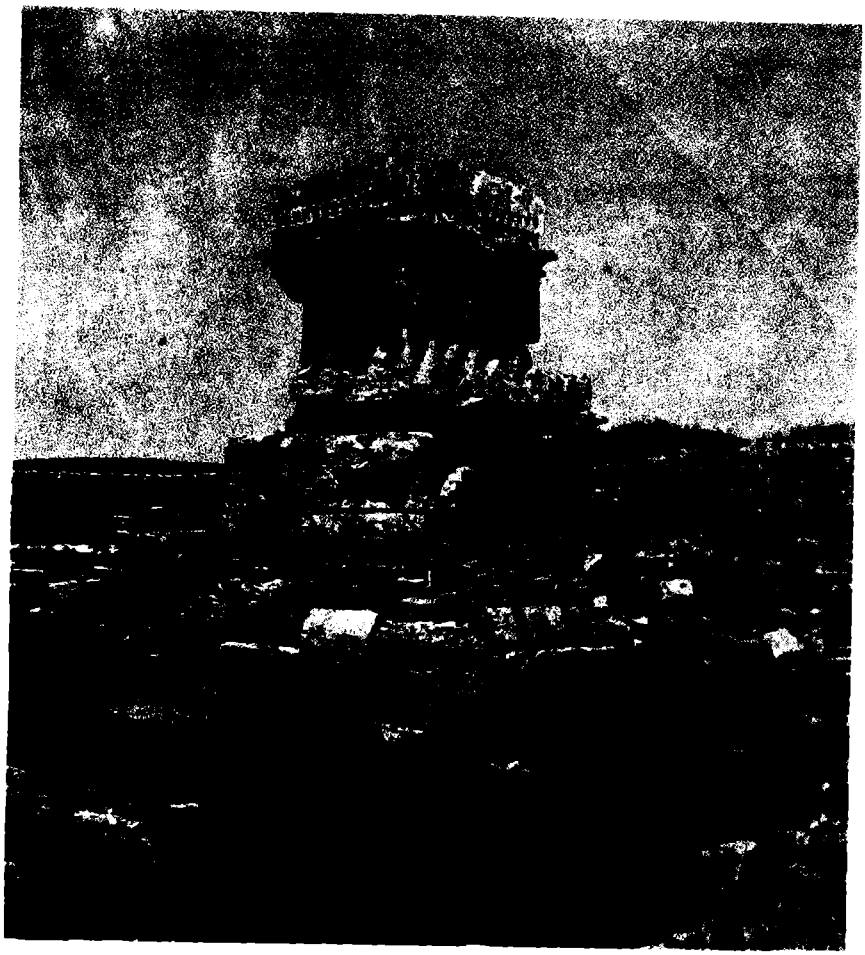

الشكل ٤١

عمريت (ماراثوس) : معبد الينبوع في عمريت وهو مؤلف من حوض منقور في الصخر الطبيعي حيث يتفجر في أحد جوانبه نبع مائي غزير . يتوسط هذا الحوض هيكل من طابقين نحتت أساساته من الصخر الطبيعي أيضا . يطل الهيكل نحو الشمال من خلال أحد أضلاعه . يحيط بقمة الطابق الأول شرفات مدرجة ويزين قمة الطابق الثاني إطار من المسننات .

يعود تاريخ هذا المعبد إلى القرن الخامس قبل الميلاد وهو يحمل كل صفات العمارة الشرقية القديمة .

الشكل ٤٢

عمريت (ماراثوس) : يحيط بالمعبد من الداخل رواق ظليل بعرض خمسة أمتار وأرضية مرصوفة بالحجارة . لكن لم يبق من هذا الرواق إلا بضعة دعامات منحوتة من قطعة حجرية واحدة ويصل ارتفاع كل منها حاليا ثلاثة أمتار ، ولا بد أن كان عمق المعبد في قلب الصخر الطبيعي يصل الى حوالي ستة أمتار .

الشكل ٤٣

عمريت (ماراثوس) : المغزل الجنوبي حيث يلتصق بزواياه أربعة أسود نحتت مع القاعدة في الصخر الطبيعي . كان للأسود دور سحري وهو حماية الرافدين في المدفن .

الشكل ٤٤

عمريت (ماراثوس) : يرى الزائر من بعيد مدافن عمريت المعروفة باسم المغازل وهي قريبة من بعضها . يزين زوايا قاعدة المدفن الأمامي أربعة أسود ، أما جذع المغزل نفسه فانه يتحلى باطارين من المسننات . في حين أن المغزل الأول ينتهي بقمة نصف كروية ، نجد أن رأس الثاني مؤلف من هرم خماسي الوجوه .

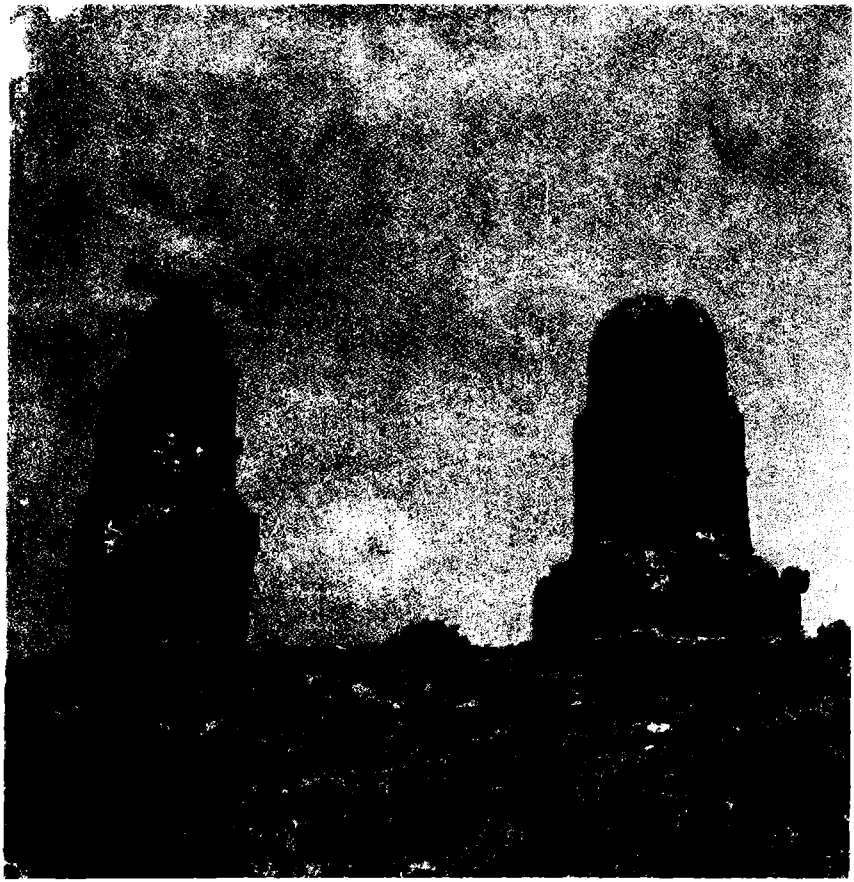

الشكل ٤٥

عمريت (مارائوس) : المدافن التي يراها الناس من بعيد في عمريت ويطلقون عليها اسم المغازل ، تعود إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد وقد أصبحت معلما من معالم عمريت . وهي مؤلفة من مدافن أرضية يتم الوصول إليها بدرج .

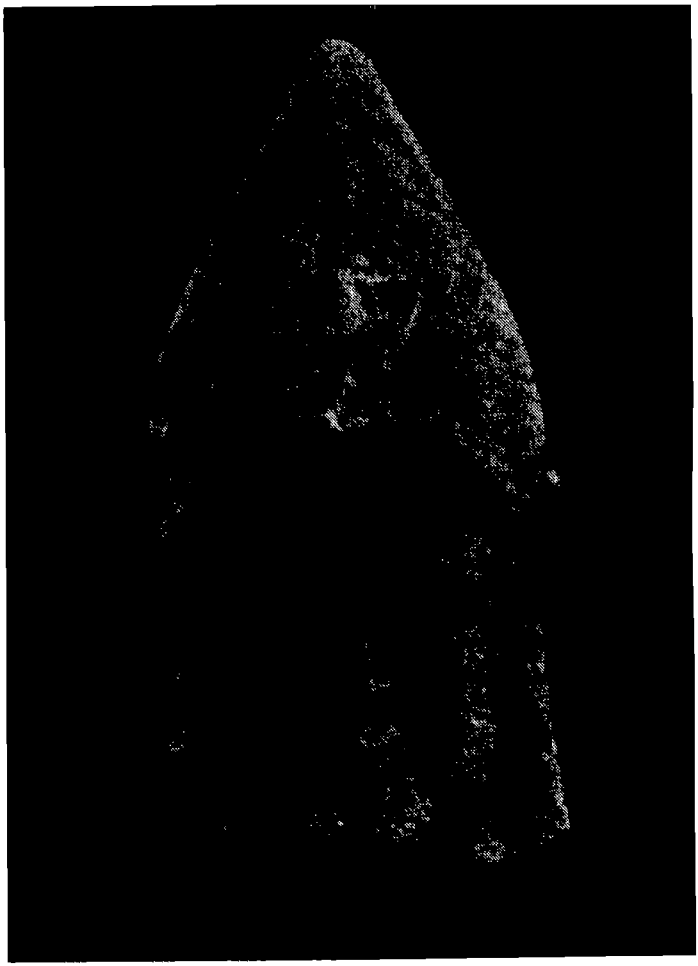

الشكل ٤٦

عمريت (ماراثوس) : من أشهر المنحوتات المكتشفة في عمريت هذا الرأس الحجري الذي يمتزج فيه الذوق المحلي مع تقاليد الفن اليوناني البدائي .
يعود هذا الرأس إلى القرن الخامس قبل الميلاد وموجود في المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ٤٧

عمريت (ماراثوس) : المدفن الجنوبي وهو يقوم على قاعدة منخفضة ومؤلفة من مصطبتين .

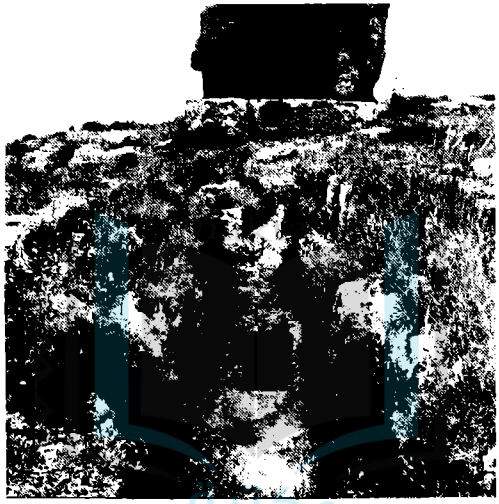

الشكل ٤٨

عمريت (ماراثوس) : ممر ضيق يقود إلى حجرة الدفن التي يعلوها النصب المخروطي أو المربع . كان المدخل مسدودا بألواح الحجارة .

الشكل ٥٣

– أفاميا (قلعة المضيق) : من أكثر المظاهر التي تجذب الأنظار في موقع أفاميا هي أعمدة الشارع الأعظم . وهذا المنظر مأخوذ من الجنوب نحو الشمال .

الشكل ٥٤

– أفاميا : أعمدة كورنثية الطراز عليها بقايا طنف وافريز وهي جزء من الاروقة الظليلة على جانبي الشارع الأعظم .

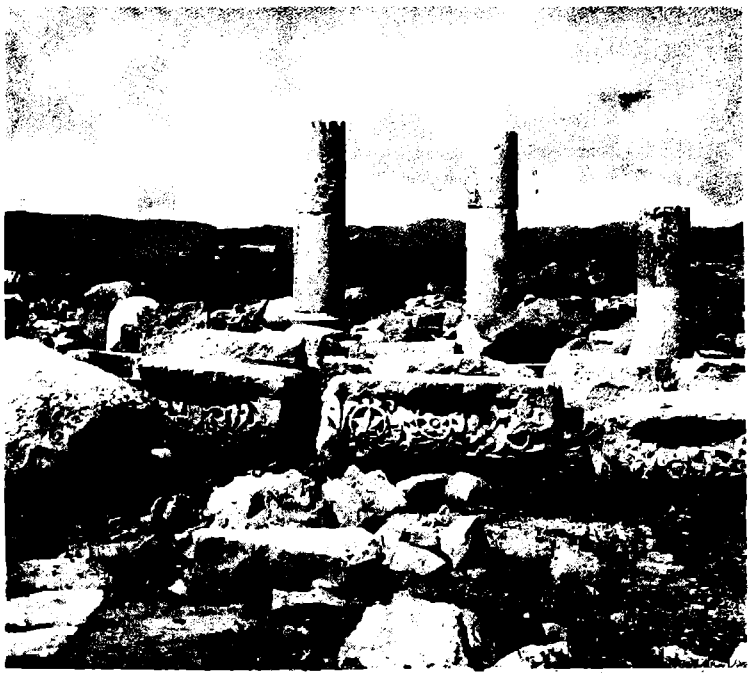

الشكل ٥٥

– أفاميا : من بقايا الشارع الأعظم في أفاميا . يسرح النظر الآن في اتجاه وادي الغاب وجبال اللاذقية . وبالرغم من انحدار هذه الجبال بميل شديد نحو وادي الغاب الا أنها لم تشكل يوما حاجزا في طريق المواصلات بين أفاميا وساحل بلاد الشام . يتراوح ارتفاع تلك الجبال بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ م فوق سطح البحر لكن لاتنحدر بميل شديد نحو ساحل البحر .

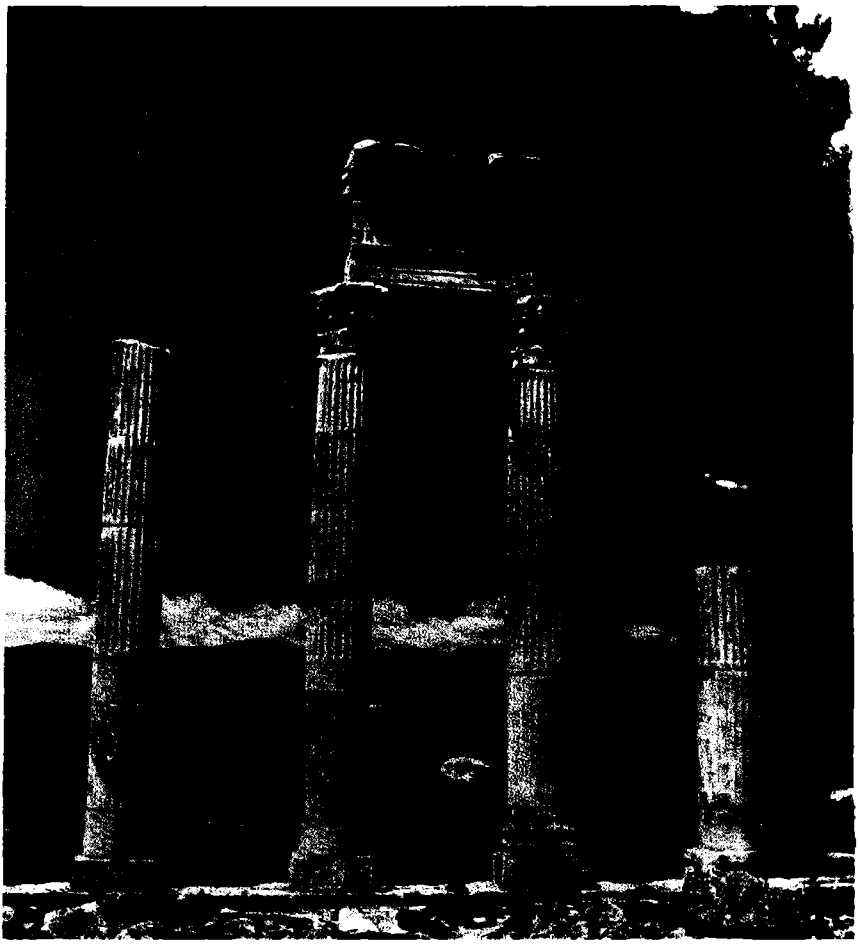

الشكل ٥٦

– أفاميا بقي عدد لايستهان به من أعمدة رواقي الشارع الأعظم اللذين كانا يظللان الرصيفين . وبعض تلك الأعمدة يحمل بقايا الطنف أو الافريز .

الشكل ٥٧

–دورا اوروبوس: كان يقوم في الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة معبد أفلاد الذي عبده أهالي دورا اوروبوس بصفته ابنا لاله الطقس العظيم ، لكننا نلمس وجود تأثير بارثي (فارسي) في طقوس عبادته .

تبلغ أبعاد هذه المنحوتة ٥١ × ٣١ سم وهي معروضة في المتحف الوطني بدمشق . وهي تزودنا بفكرة عن تصورات أهل دورا اوروبوس لهذا الاله ، فهو يقف فوق حيوانين خرافيين مجنحين كما أنه يرتدي بزة عسكرية هيلنستية الطراز لكن الرداء الأسفل الذي تظهر أطرافه عند الركبة ، بارثي الطراز . هناك كاهن يقف أمام مذبح وفي حالة تقديم الأضاحي . تذكر الكتابة اليونانية أن المدعو حدد يابوس ابن زبديبولوس أمر بانجاز هذه المنحوتة للإله افلاد طالبا الخير لنفسه ولأولاده ولال بيته .

يرقى تاريخ هذا النحت إلى أوائل القرن الأول بعد الميلاد .

الشكل ٥٨

– دورا اوروبوس : منظر من قلب المدينة باتجاه القلعة التي مايزال جدارها الغربي قائما حتى ارتفاع ٢٠ م ويبلغ طوله حوالي ٢٨٨ م . لقد جرف نهر الفرات معه كامل الجانب الشرقي للقلعة .

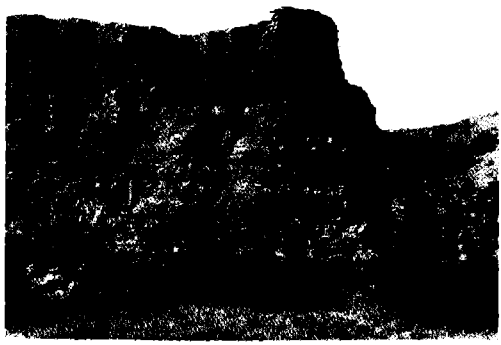

الشكل ٥٩

– دورا اوروبوس : حفر الفرات لنفسه واد عميق في هذه البقعة بحيث أصبحت حافة البادية تنحدر نحو وادي الفرات كما الجدار القائم . نشاهد على قمة هذه الحافة بقية من جدار القلعة .

الشكل ٦٠

– أفاميا : تقبع خلف أعمدة رواق الشارع الأعظم بقايا بناء تحمل واجهته اثار رسوم ملونة . لكن السلطات الأثرية قامت بتغطيتها بهدف حمايتها ضد العوامل الجوية .

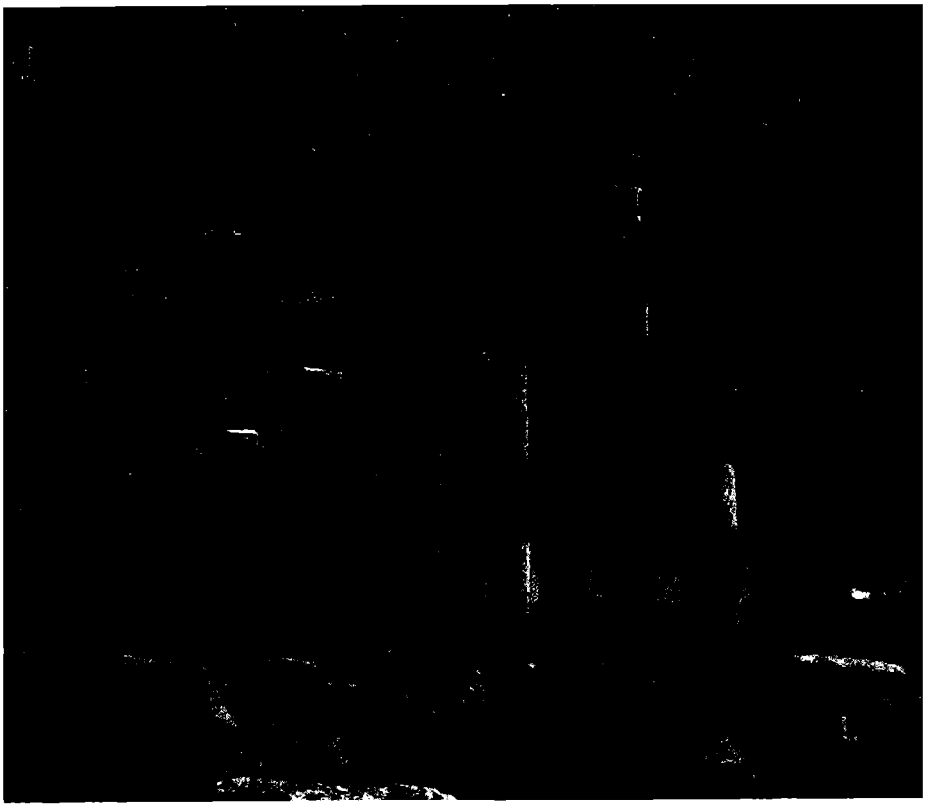

الشكل ٦١

– **أفاميا** : أعمدة الشارع الأعظم الذي يبلغ طوله من الجنوب الى الشمال مقدار ١٨٠٠ م . تلتصق بجذوع الأعمدة قواعد حجرية بارزة كانت تحمل تماثيل الوجهاء والأبرار من أهل المدينة .

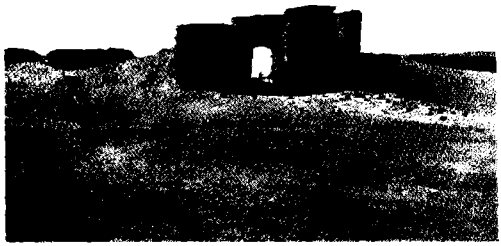

الشكل ٦٢

– دورا اوروبوس : يمكن الوصول الى موقع دورا اوروبوس من الطريق العام الذي يحاذي الفرات بين دير الزور وأبو كمال . ويرى الناظر الى الموقع من هذا المكان سورا طويل الأمتداد وتعززه ابراج بارزة عن الجدار . وفي هذه الصورة نرى الجزء الشمالي الغربي من سور المدينة .

الشكل ٦٣

– دورا اوروبوس : منظر مأخوذ من ناحية البادية باتجاهباب تدمر الذي يخترق الجدار الغربي للسور . كان الباب يتألف من طابقين وكان باستطاعة الجند رمي المعتدين بالسهام من فتحات خاصة في الطابق العلوي . مادة البناء المستعملة هي الحجر الجصي الأبيض لكن معظم المباني في داخل المدينة مشيدة باللبن والآجر .

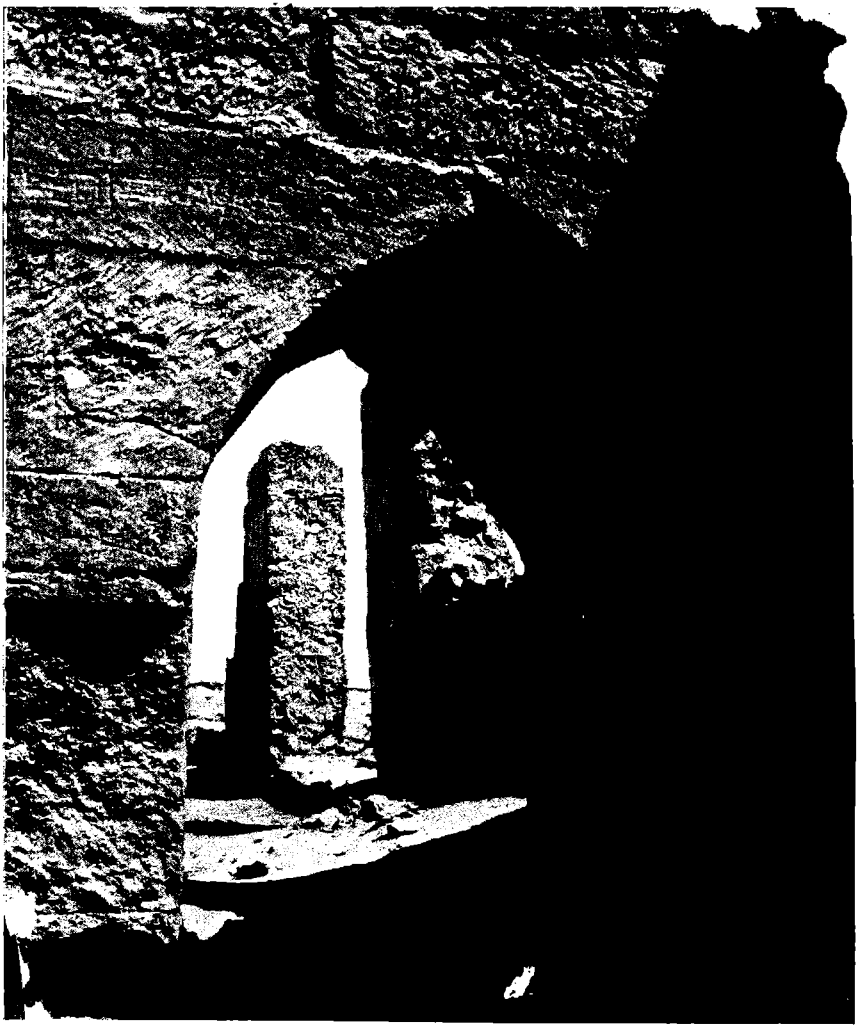

الشكل ٦٤

– دورا اوروبوس : أضيف أحد أبراج السور الى مبنى معبد بل الخاص بالتدامرة في دورا اوروبوس . الصورة مأخوذة من قلب البرج باتجاه باحة المعبد . شهد هذا البرج وغيره من الأبراج مثل برج الرماة تعزيزا اضافيا من اللبن وبذلك ضاق حجمها ولم يعد هناك مكان لدرج يسمح بالصعود الى الطابق العلوي ولا بد ان كان الصعود يتم بوساطة سلالم من الخشب أو الحبال .

الشكل ٦٥

– دورا اوروبوس : منظر لباحة معبد الهة تدمر . نرى في مقدمة الصورة بقايا الاعمدة التي تتقدم مدخل قدس الأقداس ، خلف الأعمدة يوجد « كشك » كان مخصصا لنصب تمثال أحد الالهة ، وهو جسم مربع يلتصق بالجدار الشمالي للمعبد وله أربعة أعمدة في الزوايا ويترابط كل اثنان منهما بجدار مواز ، ويقع بينهما محراب عرضه متران وله عتبة في الأمام . وعلى قاعدة كان ينتصب تمثال الاله وأمامه شمعة تحترق . وتشير بقايا الدهان أن هذا المكان كان مزينا بالرسوم والألوان .

الشكل ٦٦

– دورا اوروبوس : معبد ألهة تدمر يشهد على الروابط الأقتصادية والفكرية الوثيقة بين حصن الفرات وعروس الواحة الغناء . يقع هذا المعبد في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة . والأعمدة التي نراها في الصورة كانت تتقدم ردهة قدس الأقداس . في باطن قدس الأقداس عثر علماء الآثار على الرسوم الملونة المدهونة على الجدران والتي كان اكتشافها السبب في إجراء التنقيب والتحريات . يبلغ قطر العمود الذي يستند على قاعدة بسيطة مقدار ٨٢ سم .

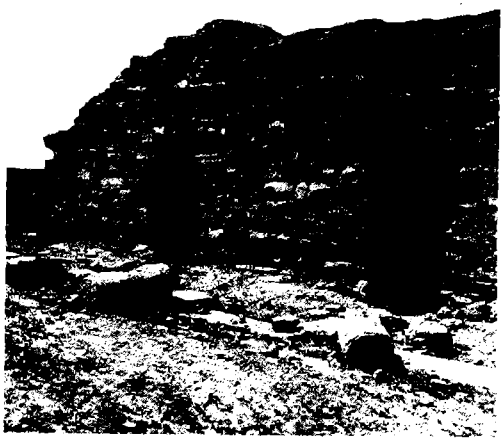

الشكل ٦٧

– دورا اوروبوس : يقع برج الرماة بالقرب من معبد التدامرة ، لكن لم يبق الا القليل من الأعمدة التي كانت جزءا من أروقة الساحة التي تتقدمه .

الشكل ٦٨

– دورا اوروبوس : كشفت التنقيبات الأثرية عن الحمامات العامة في المدينة وترينا الصورة موقع الغرفة الباردة (المشلح) ، وهي عبارة عن صالة مستطيلة يصل اليها المرء عبر مدخلين وتبلغ أبعاد الصالة ١٢,٧٥ ١٠,٢٥ . كان هناك ١٢ عمودا حول بركة يبلغ عمقها ١,٤٨م. وفي وقت متأخر أصاب الخراب الحمام فأقيم بجواره مسرح عام .

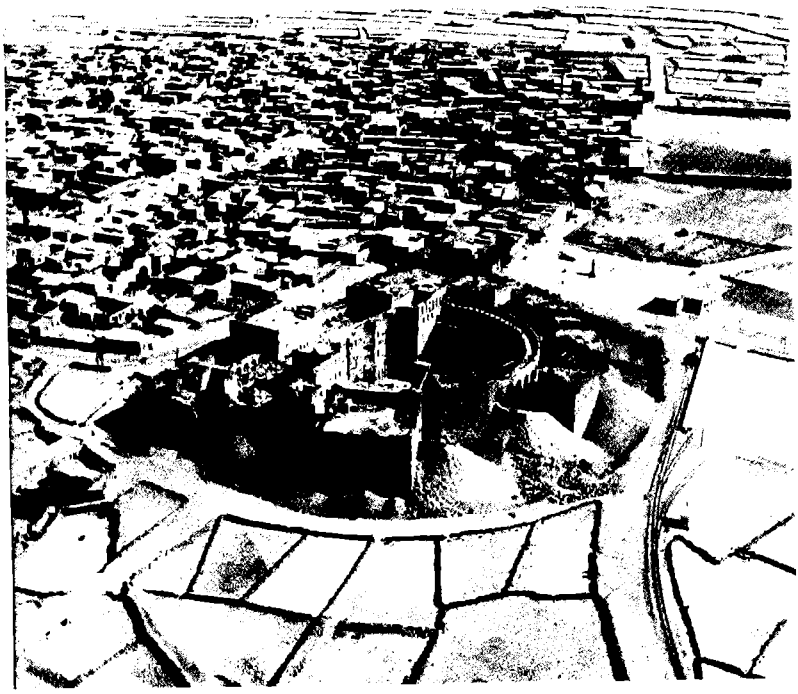

الشكل ٦٩

– بصرى : هذه صورة جوية لبلدة بصرى الشام محاطة بالحقول المحددة بجدر من كتل الحجارة المرصوفة . وفي الوسط تشمخ قلعة عربية تطوق مسرح قديم . وقد أبانت أعمال التعزيل والتنقيب معالم هذا المسرح العظيم . وفي خلف الصورة وإلى اليمين مع بركة الماء نشاهد سور المدينة الذي لم يضم المسرح في ثناياه .

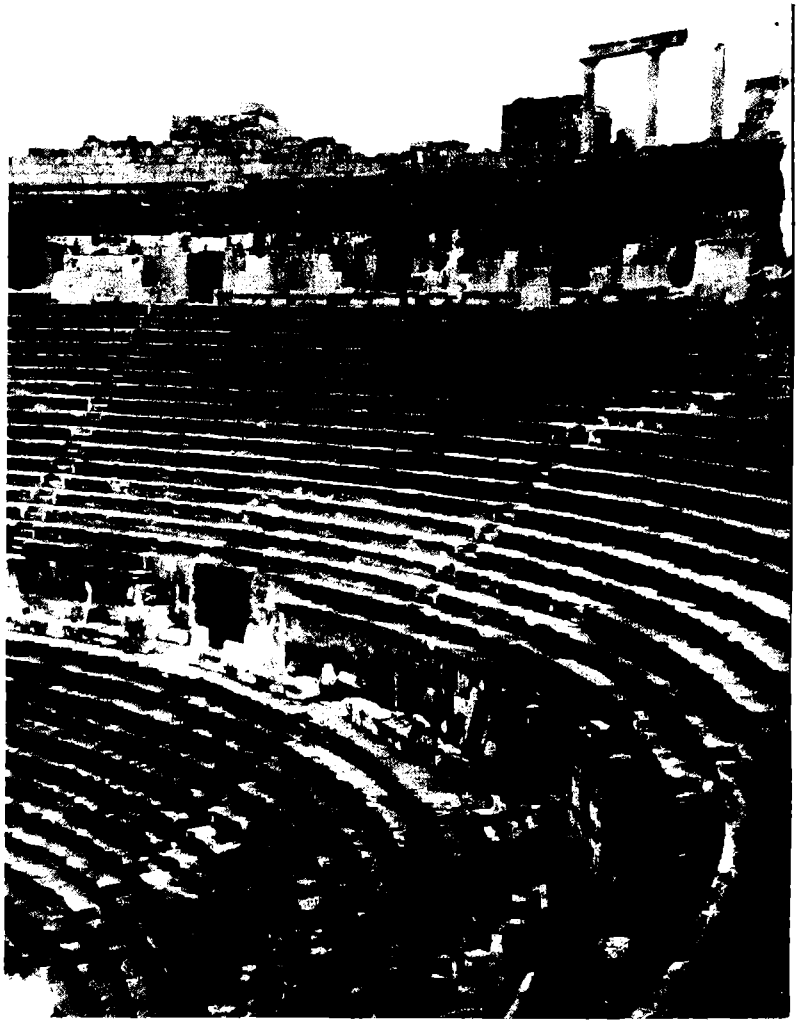

الشكل ٧٠

– بصرى : يعتبر مسرح بصرى من أضخم الأوابد الأثرية في بلدان المشرق . وبفضل ردمه بالتراب وتحويله الى قلعة في القرن الثالث عشر للميلاد بقي هذا الأثر سليما حتى يومنا هذا . قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بنقل الأتربة وبازالة المنشآت المحدثة فعادت الآبدة الآن الى عظمتها السابقة .

يبلغ قطر المدرج ١٠٢ م وهو مؤلف من ٣٥ صفا تخترقها أدراج ضيقة تسمح بالصعود والنزول.وهناك ممران يقسمان صفوف المقاعد الى ثلاثة أقسام وينتهي القسم الأعلى برواق ظليل تحمله أعمدة بسيطة . يبلغ اتساع الخشبة ٤٥ م وفي خلفها واجهة فخمة من الكواليس المؤلفة من ثلاثة طوابق من الأعمدة والمحاريب .

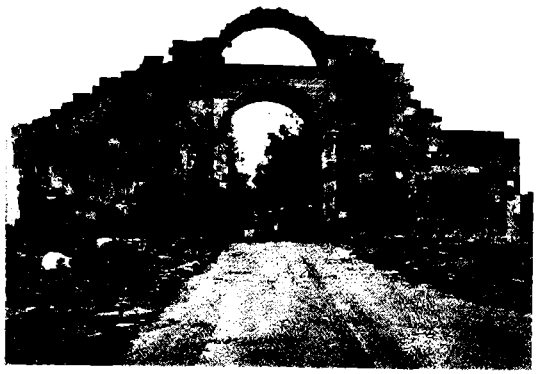

الشكل ٧١

ـ بصرى : بقي الباب الغربي سليما أكثر من بقية الأبواب . يرقى تاريخ هذا الباب الى القرن الثاني للميلاد . يعلو فتحة الباب قوسان متتاليان . تبرز الواجهتان الجانبيتان إلى الأمام كالأبراج وهما مزينتان بالعضادات والمحاريب . يقود هذا الباب الى الشارع الأعظم الذي يخترق المدينة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق .

الشكل ٧٢

ـ بصرى : تسمو هذه الأعمدة حتى ارتفاع ١٤ م وهي ماتزال تحتفظ بتيجانها الكورنثية الجميلة . كانت هذه الأعمدة علامة لتقاطع الشارع الأعظم مع شارع فرعي هام . من المعتقد أن هذه الأعمدة كانت جزءا من معبد الهة المياه ولعلها كانت تحمل سقف الرواق الظليل الذي يتقدم المعبد . يذكر رحالة القرن التاسع عشر أنهم شاهدوا حنية نصف مستديرة كجزء باق من بنيان المعبد لكن كل تلك الآثار زالت ولم يبق قائما الا هذه الأعمدة .

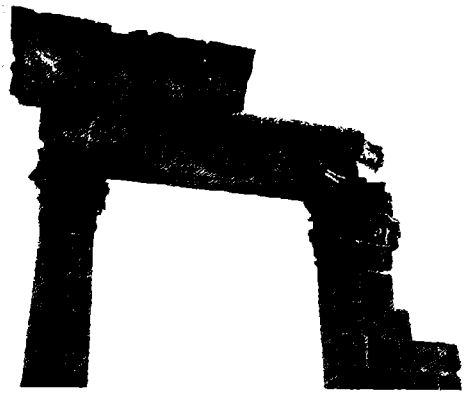

الشكل ٧٣

– بصرى : لم يبق من المعبد المجاور لمعبد الهة المياه ، الا هذين العمودين والطنف الذي يعلوهما ، وهذا الباقي يزودنا بفكرة عن ثراء ذلك المعبد بالزينة والزخارف الفنية .

الشكل ٧٤

– بصرى : يقطع الشارع الأعظم في شرقه الأقصى قوس وحيد الباب وله واجهة غنية بأنصاف الأعمدة والمحاريب . من المعتقد أن يعود تاريخ هذا الباب الى أوائل القرن الثاني للميلاد .

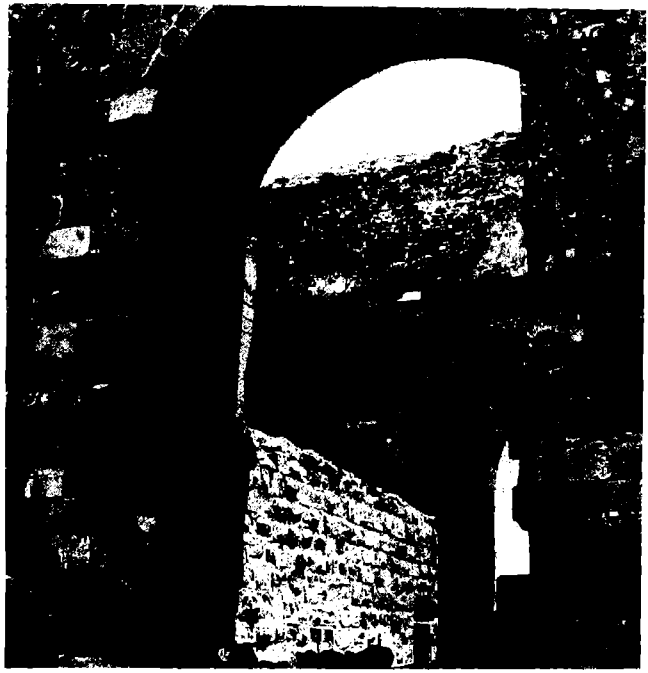

الشكل ٧٥

شهبا (فيليبوبوليس) : تستحوذ بقايا الحمامات العامة في شهبا على إعجابنا حتى هذا اليوم وذلك لامتدادها الواسع وارتفاع بنيانها الشاهق . كان الماء يأتي اليها من نبع جبلي بعيد على ظهر قناطر بالغة الارتفاع . ترينا الصورة جزءا من المشلح . ونستطيع إدراك عظمة البناء بمقارنته مع الجدران المقزمة المحدثة في قلب المكان .

الشكل ٧٦

– شهبا يعتبر الباب الجنوبي بحالة سليمة أكثر من الأبواب الثلاثة الأخرى التي تخترق سور مدينة فيليبوبوليس التي تأسست في القرن الثاني للميلاد . يتألف الباب من قوس أعظم في الوسط (٤,٦٠ م) وقوسين جانبيين (٢,٨٠ م) . يقود الباب الى الشارع الأعظم المفروش ببلاط من حجر البازلت لم يبق منه ظاهرا للعيان الا بقعة هنا وبقعة هناك .

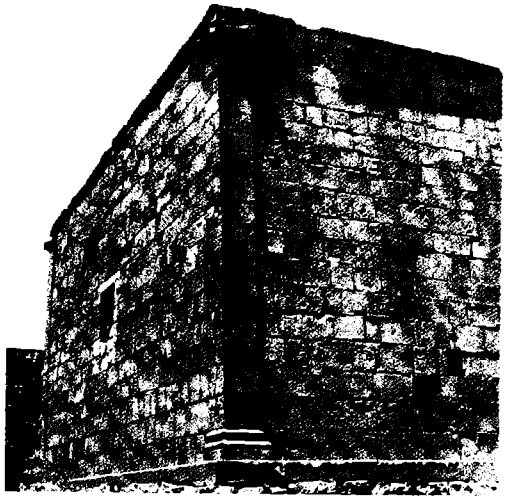

الشكل ٧٧

– شهبا : بنى مؤسس المدينة الامبراطور فيليب العربي من أجل والده جوليوس مارينوس معبدا أصبح يعرف الآن بمقبرة ال فيليب . وثمة نقش كتابي فوق الباك يذكر اسم الباني وأسباب البناء .

يعتبر هذا المبنى بسيط الشكل ومحلى بمضادات تزينية في الزوايا الأربعة وكانت تحف به أعمدة زالت الآن .

الشكل ٧٨

– شهبا : بقايا بلاط الشارع الأعظم من حجر البازلت ماتزال ظاهرة للعيان ويسير عليها المشاة كما تسير فوقها السيارات . بيد أنه لم يبق من الاروقة الظليلة أي أثر الآن ، أما البيوت والمحلات التي نراها في يمين الصورة فان أجزاء منها ترقى الى القرن الثاني الميلاد .

الشكل ٧٩

– شهبا : نستطيع أن نستمتع بمنظر خلاب لجزء من المدينة والمسرح الأثري القديم من فوق سطح مقبرة ال فيليب . نشاهد في الصورة ظهر المسرح والمداخل المؤدية الى مدرجه كما نرى في المؤخرة جدار الكواليس في ظهر خشبة التمثيل . تنتشر وراء المسرح بيوت البلدة الحديثة حيث استخدم السكان الكثير من الأحجار الأثرية في بناء دورهم .

الشكل ٨٠

– شهبا : تبلغ أبعاد كواليس مسرح شهبا ٤٢ × ١٢ م بينما تبلغ أبعاد خشبة التمثيل الملاصقة للجدار الشمالي للكواليس مقدار ٢٠ × ٣٠ر٤ م . تشبه واجهة الكواليس شكل بوابات المدن أي قوس أعظم في الوسط وقوسان جانبيان وعلى جانبي كل قوس توجد محاريب مستديرة ومستطيلة .

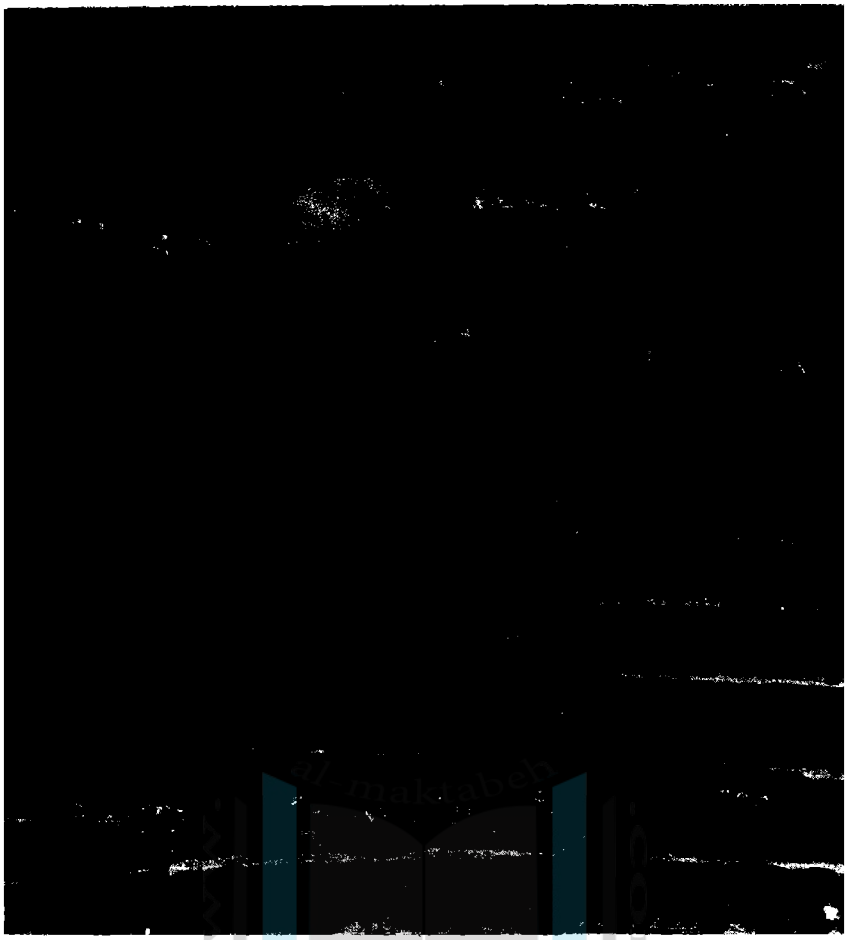

الشكل ٨١

– شهبا : لا يبعد مسرح شهبا الأثري كثيرا عن وسط المدينة وهو يزودنا بفكرة حسنة عن نماذج المسارح الصغيرة في الفترة الرومانية . يبلغ قطره المدرج ٤١ م وقد قسمت صفوف المقاعد الى قسمين بوساطة ممرين لكن لم يبق من القسم العلوي إلا أثر قليل .

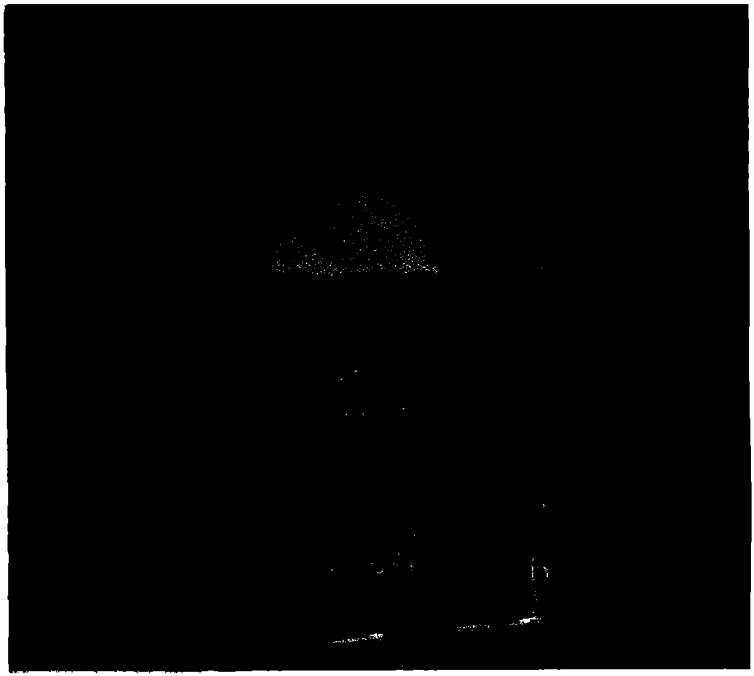

الشكل ٨٢

– **شهبا** : يمكننا رؤية أحد ممرى المدرج من خلال هذا المدخل الذي يخترق ظهر المدرج من الخارج .

الشكل ٨٣

– شهبا : منظر باتجاه المدرج ونرى في اليسار مدخلا مسقوفا بعقد وهو يقود إلى الحلبة المستديرة الواقعة بين الخشبة والمدرج . كذلك نرى درجاً ضيقاً يخترق صفوف المقاعد وهو مخصص للصعود والنزول كما نرى الممر الذي كان يفصل بين القسم السفلي والقسم العلوي لصفوف المقاعد

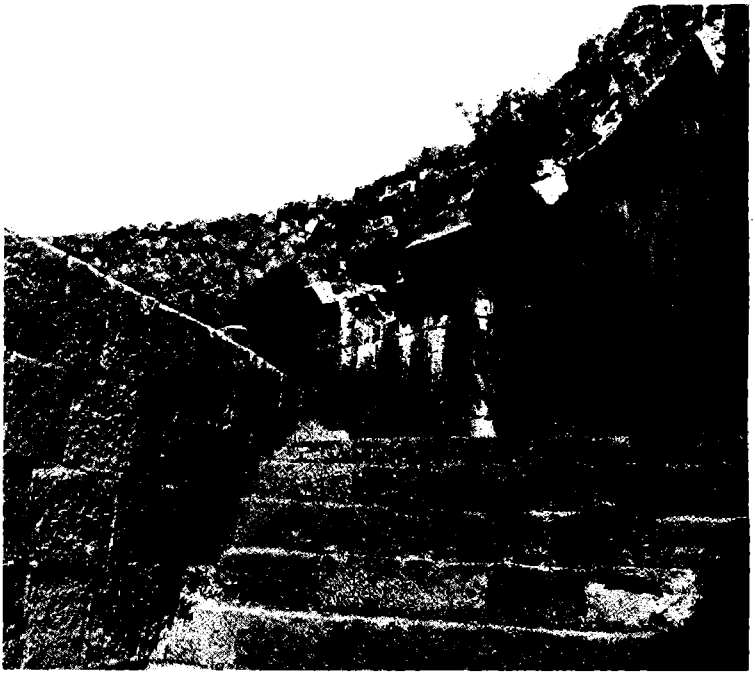

الشكل ٨٤

– شهبا : استغل المهندس الذي صمم المسرح ميل الأرض في هذه البقعة من بلدة شهبا كي يستند عليها جسم المدرج. يبلغ عرض الممر ٢,٨٦م ويمكن الدخول اليه عبر خمسة مداخل.

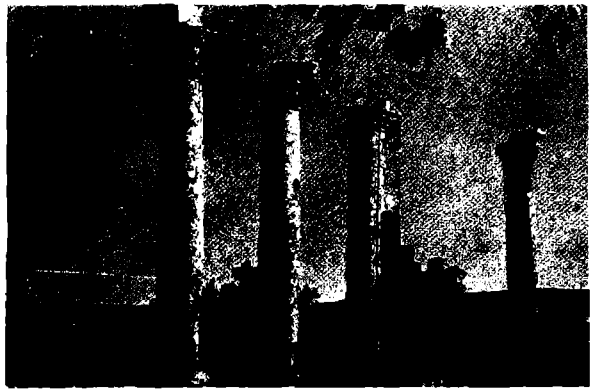

الشكل ٨٥

– قنوات : يقع في منطقة مايسمى بالسراي فوق هضبة المدينة الأثرية أقدم بقايا لمعبد من الفترة الرومانية(القرن الثاني للميلاد) وقد تحول هذا المعبد الى كنيسة مسيحية في القرن الخامس للميلاد . ترينا الصورة بقايا رواق المعبد . تلتصق بالأعمدة قواعد بارزة لحمل التماثيل .

الشكل ٨٦

– بصرى : كان يقبع في وسط المدينة قوس نصر يتجه نحو الشارع الرئيسي والقوس ثلاث فتحات العظمى بارتفاع ٨ أمتار . يقود هذا القوس الى شارع جانبي يتفرع عن الشارع الأعظم .

نرى في مؤخرة الصورة أربعة أعمدة كانت جزءا من معبد الهة المياه ، وعمود اخر كان جزءا من المعبد الكبير .

الشكل ٨٧

- شهبا : لوحة فسيفساء يبلغ طولها ٣,٣٧ م وعرضها ٢,٧٦ م وألوانها صفراء وحمراء وخضراء وسوداء وزرقاء وبرتقالية . وهي تمثل مشهدا رمزيا لآلهة ولانصاف الهة وكل منهم يحمل اسمه بأحرف يونانية . يتوسط تلك الجمهرة إلة الأرض وأطفالها وخلفهم ملائكة الزراعة .

نشاهد في الجانب الأيسر أيون ملاك الزمن الأبدي والى جانبه نسوة تجسد الفصول الأربعة في السنة . وفي الجانب الأيمن نرى الاله بروموثيوس وهو منهمك في خلق جسم الانسان ويقف وراءه الاله الشاب هرمس حاملا الصولجان . تطل من بين الغيوم التي تعلو الجمهرة رؤوس ترمز الى الرياح والى الذوبان .

تمجد لوحة الفسيفساء هذه ثراء وخصب حوران وترمز الى فلاح تجارتها من خلال شكل الاله هرمس . وتعتبر هذه اللوحة من أهم مشاهد الفسيفساء المكتشفة في بلدان المشرق . اللوحة معروضة في صالات المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ٨٨

– شهبا : لوحة فسيفساء تحتوي على مشهد رمزي حيث نرى ، اوتيكنيا التي تجسد السعادة والأطفال ، جالسة على العرش في الوسط والى يسارها تقف الفلسفة وأمامها سلة مليئة بلفائف ورق البردى والى يمينها تقف دياكوسيف أو العدالة .

الوان اللوحة هي البنفسجي والأحمر الرماني والأصفر والأسود . اللوحة موجودة في المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ٨٩

-- قنوات : أعمدة بقيت من معبد هيليوس الذي كان قائما خارج أسوار المدينة . كان يحيط بهيكل المعبد ٢٤ عمودا تستند على قواعد عالية غنية القولبة . يرقى تاريخ هذه الآثار الى القرن الثاني للميلاد .

الشكل ٩٠

-- قنوات : معبد من القرن الثاني للميلاد وهو أقدم أثر في منطقة السراي . كانت هذه الأعمدة جزءا من رواق الهيكل . تحمل الأعمدة تيجانا كورنثية جميلة وبقية من طنف وإفريز .

الشكل ٩١

– قنوات : أظهرت التنقيبات التي أجرتها المديرية العامة للآثار والمتاحف في منطقة السراي معالم مدفن تحت الأرض (سرداب) لا بد أن يرقى تاريخه الى الزمن الذي أضحت فيه قنوات مركزا لاسقفية مسيحية . و هذا التابوت الحجري الذي نراه في الصورة غني بالزخارف المنحوتة ووجود الصليب على التابوت يشير الى عقيدة الراقد في داخل التابوت .

الشكل ٩٢

– قنوات : تحمل أعمدة رواق الكنيسة تيجانا بسيطة مربعة الشكل . ومن المعتقد أن الرواق كان مخصصا لانتظار الزوار القادمين الى الأسقف المقيم في هذا المكان .

الشكل ٩٣

– قنوات : هناك ثلاثة مداخل تقود الزائر من الرواق الى داخل الكنيسة (الباز يليكا) ، وهذه المداخل غنية بالزخارف المنحوتة . ومن خلال الباب نشاهد قواعد الأعمدة التي كانت تحمل الأقواس .

الشكل ٩٤

– بانياس الجولان : عثرت السلطات الأثرية بطريق المصادفة في ١٩٦٤ على قبر في بلدة بانياس الجولان وكان في القبر تمثال نصفي من البرونز لسيدة نبيلة المظهر والسمات . يبلغ قطر هذا التمثال ٣٩ سم ويرقى تاريخه الى القرن الثاني للميلاد وهو معروض في صالات المتحف الوطني بدمشق .

al-maktabeh
مكتبة
المهتدين

الشكل ٩٥

– قنوات : تخلل الواجهة الغربية للكنيسة باب غني بالزخارف المنحوتة . أما تصميم الكنيسة نفسها فقد اعتمد طراز البازيليكا أي انها مقسمة الى ثلاثة أقسام بواسطة صفين من الأعمدة والأقواس . الحنية أو قدس الأقداس موجود في ظهر الضلع الشرقي للمعبد الوثني القديم وبالتالي انحرف محور البناء الجديد مقدار ٩٠ درجة عن محور البناء القديم . أما الواجهة الغربية للكنيسة فتتقدم على الجدار الغربي للمعبد الوثني .

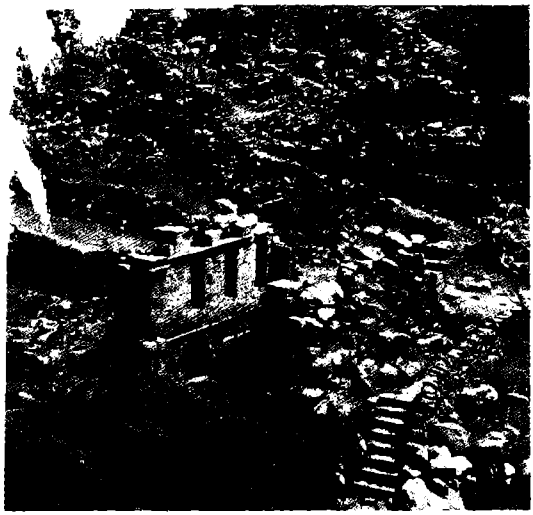

الشكل ٩٦

– قنوات : بقايا مبان أثرية أخرى موجودة أيضا في الجانب الآخر من الوادي ففي مقدمة الصورة نرى أطلال بناء يوجد نبع في وسطه ، ومن المعتقد أن تكون هذه الأطلال جزءا من معبد لآلهة المياه وعلى مسافة قريبة من هذا المكان – لكن ليس في الصورة – تتربع بقايا مسرح صغير .

الشكل ٩٧

– دمشق : في أقصى شرق الشارع الأعظم لمدينة دمشق القديمة يقوم « باب شرقي » الذي يعتبر من أفضل أبواب المدينة التي بقيت سليمة منذ الفترة الرومانية. قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في السنوات الأخيرة بترميمات وإصلاحات في هذا المكان وفي الصورة يمكن ملاحظة بصمات ذلك الاصلاح . وهاهو الباب يعود الى ما كان عليه في ذلك الزمان بأقواسه الثلاثة والعضادات التزيينية التي تزين واجهته .

الشكل ٩٨

– اللاذقية : يعود تاريخ هذا الصرح الذي يتقاطع عنده الشارعان الرئيسيان في مدينة اللاذقية الى القرن الثاني للميلاد ، ويعتبر هذا الصرح الآبدة الوحيدة التي ظلت شاخصة من ذلك التاريخ ، وقد أصبح لهذا الصرح محيط لائق بعد أن أزيلت المنشآت والبيوت المحدثة حوله . ونلاحظ في الصورة أن المستوى الأصلي لأرضية الشارع القديم ظاهر للعيان . وتبعا لعرض الشارعين اللذين يتقاطعان عند هذا الصرح يبلغ ارتفاع القوس الأول ٥,٨٠ م والثاني ٤,٧٥ م . وفي خلف الصورة نرى جزءا من أحياء اللاذقية القديمة.

الشكل ٩٩

– غرب حلب : قامت في الفترة الرومانية شبكة واسعة من طرق المواصلات العامة . وظل بحالة سليمة بشكل خاص جزء من الطريق العام الذي كان يربط بين أنطاكية وقنسرين (كالسيس القديمة) . يبلغ طول هذا الجزء السليم حوالي الكيلو متر وهو يقع الى الغرب من حلب . كان انشاء الطرف يعتمد على رصف بلاطات حجرية فوق الارض الصخرية . كان يترك سطح البلاط خشن الملمس لتسهيل سير الخيول والدواب ومنعها من الانزلاق. يعود تاريخ هذا الطريق الى أوائل القرن الثاني للميلاد .

الشكل ١٠٠

– السويداء (سوادا القديمة) : يعتبر هذا التمثال من أجمل الآثار التي تم العثور عليها في منطقة جبل العرب وحوران . وهذا التمثال هو للربة منيرفا حامية الحرفيين والمعلمين والأطباء .

ترتدي الربة رداء طويلا ويغطي صدرها وكتفيها درع مزين برأس الوحش جورجون. ومن أسلحتها الدريئة والخوذة ثم الحربة التي لم يعد لها وجود في يد التمثال . يبلغ ارتفاع هذا التمثال الذي يستند فوق قاعدة مقدار ١,٦٠ م وهو معروض في المتحف الوطني بدمشق .

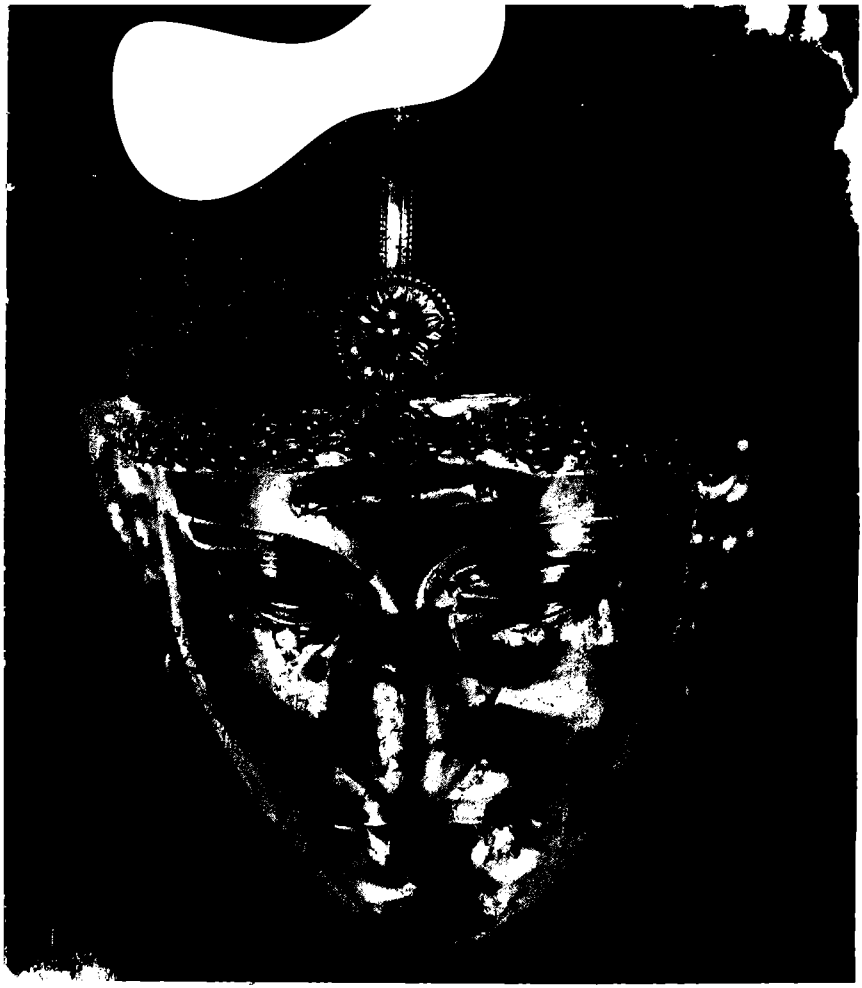

الشكل ١٠١

-- **حمص** : تم العثور في عام ١٩٤٠ على مقبرة ملكية في غرب مدينة حمص وكان في باطن هذه المقبرة حلي ومجوهرات وخوذة جلدية مرتبطة مع قناع . ويعود تاريخ هذا الكنز الأثري الى القرن الأول للميلاد صنع القسم العلوي للخوذة من الحديد وقد أحيط بشريط وزهرة من الفضة . ثم طوق بأكليل من أوراق الفضة . أما القناع فيعبر عن وجه مهيب له أنف مليء وشفتان مكتنزتان ، والقناع مصنوع من الحديد لكنه مغشى بالفضة . يبلغ ارتفاع الخوذة مع القناع مقدار ٢٤,٥ سم ولا بد أن كان من صنع فناني أنطاكية لاحد الأمراء أو النبلاء .

هذا الأثر موجود في المتحف الوطني بدمشق .

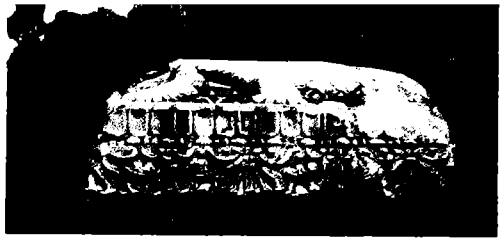

الشكل ١٠٢

– جبلة : بقية من الزخارف التي كان يتحلى بها مسرح جبلة وهو جزء من طنف كان يزين خشبة المسرح .

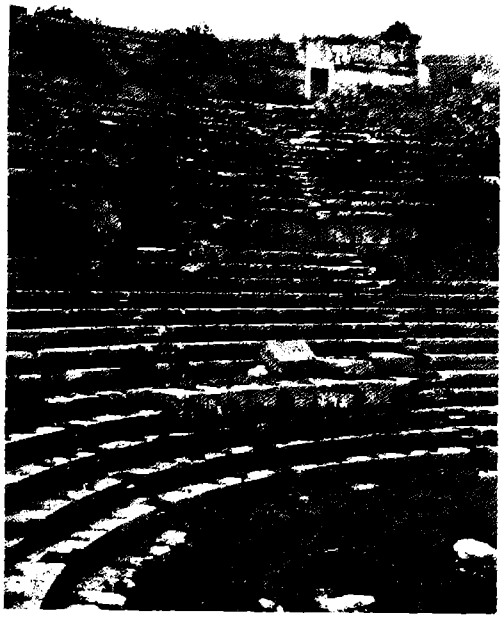

الشكل ١٠٣

– جبلة : كان مدرج مسرح جبلة الى الجنوب من اللاذقية يتسوعب حوالي ٨٠٠٠ متفرج . وهو دليل على مكانة جبلة وأهميتها في العصور القديمة . نلاحظ أن أكثر من درج صاعد يقسم المدرج الى عدة أقسام كما أن هناك ممرين يقسمان صفوف المقاعد الى قسمين . كان المدخل الرئيسي مقببا وما يزال شاخصا حتى الآن .

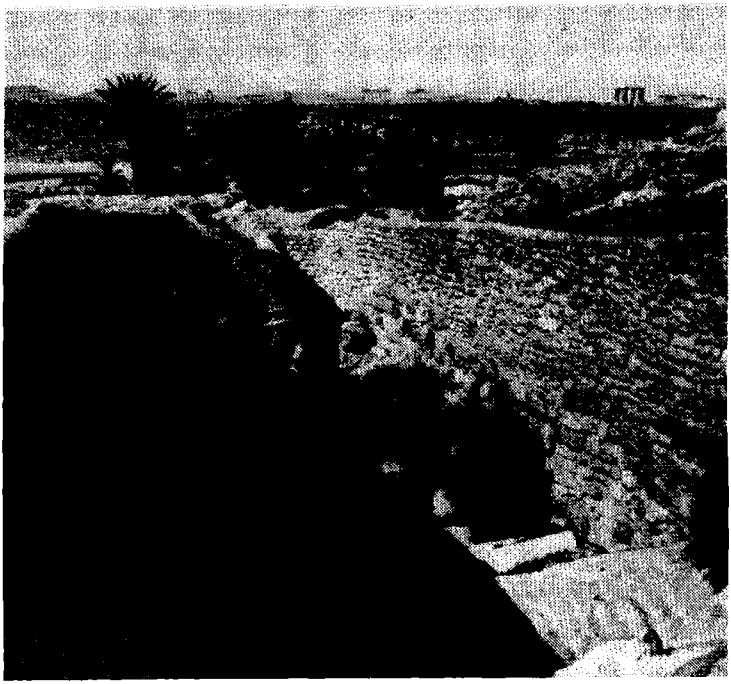

الشكل ١١٢

← تدمر : هذه الواحة الخضراء هي هبة نبع أفقا في تدمر ، وقد قدس الناس هذا النبع منذ أقدم الأزمنة حيث أقاموا معبدا حوله وما تزال بقاياه بادية للعيان حتى الآن . وتشهد على ذلك المذابح والكتابات التذكارية حول المكان .

الشكل ١١٣

– تدمر : أقيمت حيطان اللبن حول كل بستان من بساتين تدمر وكان الناس يتحاشون اقامة منازلهم في قلب البساتين لأن كل شبر أرض خصبة لا بديل عنها في مكان اخر .

الشكل ١١٤

– تدمر : أشجار النخيل حول نبع أفقا وفي خلف الصورة نشاهد أطلال المقابر الأثرية غربي وادي القبور .

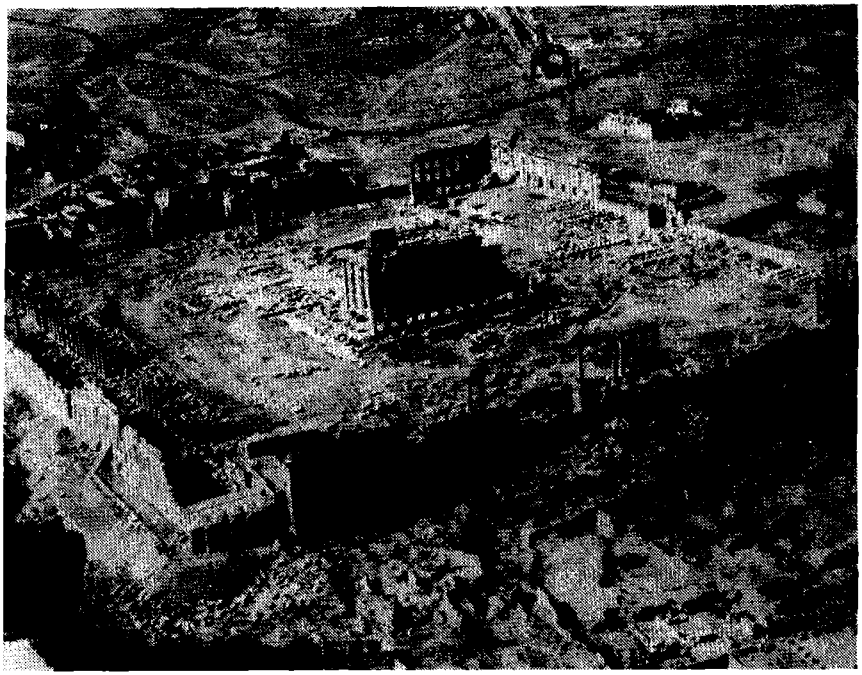

الشكل ١١٥

– تدمر : ترينا هذه الصورة معبد بل بكامله والمنطقة المحيطة به . في يمين مقدمة الصورة نشاهد بقايا دور تدمرية كانت عامرة في القرن الثالث الميلادي . وفي الأعلى نشاهد قوس النصر الذي يفضي الى الشارع الأعظم ذي الأعمدة . يتألف معبد بل من الهيكل في الوسط والسور الخارجي مع أروقته الداخلية .

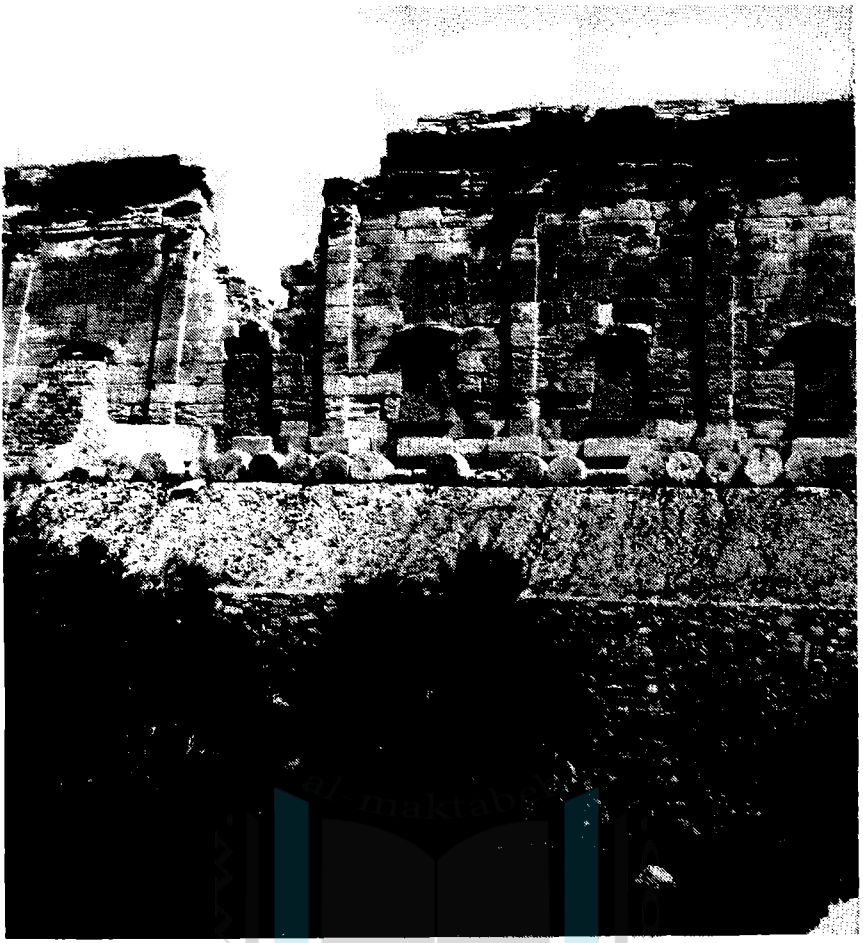

الشكل ١١٦

– تدمر : الضلع الجنوبي للسور الخارجي لمعبد بل وهو مزين بعضادات جدارية تعلوها تيجان كورنثية وتخترقه نوافذ مستطيلة تعلوها جبهات جمالونية (مثلثة) لكن النوافذ أغلقت بكتل الحجارة عندما تحول المعبد الى قلعة أثناء الفترة الايوبية . كما نلاحظ أن الأعمدة القديمة قد استخدمت في بناء جدران جديدة .

الشكل ١١٧

- تدمر : نقود مسكوكه في الاسكندرية تحمل صورة وهب اللات وزنوبيا النقدان موجودان في قسم المسكوكات بمتاحف الدولة ببرلين في المانيا الديمقراطية .

الشكل ١١٨

تدمر : الزاوية الجنوبية الغربية لأروقة معبد بل .يبلغ طول المصطبة التي يقوم عليها المعبد بكامله مقدار ٢٠٠ م . تختلف ارتفاعات الأعمدة في أروقة المعبد وقسم منها مايزال يحمل أجزاء من الطنف ، وكثير من الأعمدة مايزال جاثيا على الأرض أو تتناثر فقراتها في أرجاء ساحة المعبد أو أنه أعيد استخدامها في عصور متأخرة. نرى في مقدمة الصورة فقرات تحمل ثقوبا كانت محشوة بالرصاص وبهذه الطريقة كان يجري إقامة العمود بربط الفقرات بعضها مع بعض

الشكل ١١٩

– تدمر الزاوية الشمالية الغربية لأروقة معبد بل وفي مؤخرة الصورة نشاهد قلعة ابن معن الشامخة وفي يمين الصورة نشاهد جزءا من الشارع الأعظم للمدينة .

الشكل ١٢٠

– تدمر : تحمل أعمدة الاروقة في معبد بل تيجان كورنثية الطراز وهي تحمل بدورها الطنف الذي يطفح بالزخارف المحفورة وفي مؤخرة الصورة نشاهد الهيكل أو قدس الأقداس .

الشكل ١٢١

– تدمر : يقود هذا النفق الى مستوى هيكل المعبد أما الوصول الى الهيكل نفسه فيتم بوساطة درجات مهيبة

وعلى الطريق بين النفق والهيكل كان موكب المتعبدين والكهنة يتوقف عند المذبح لتقديم الذبائح ثم الولوج الى داخل دار الأضاحي .

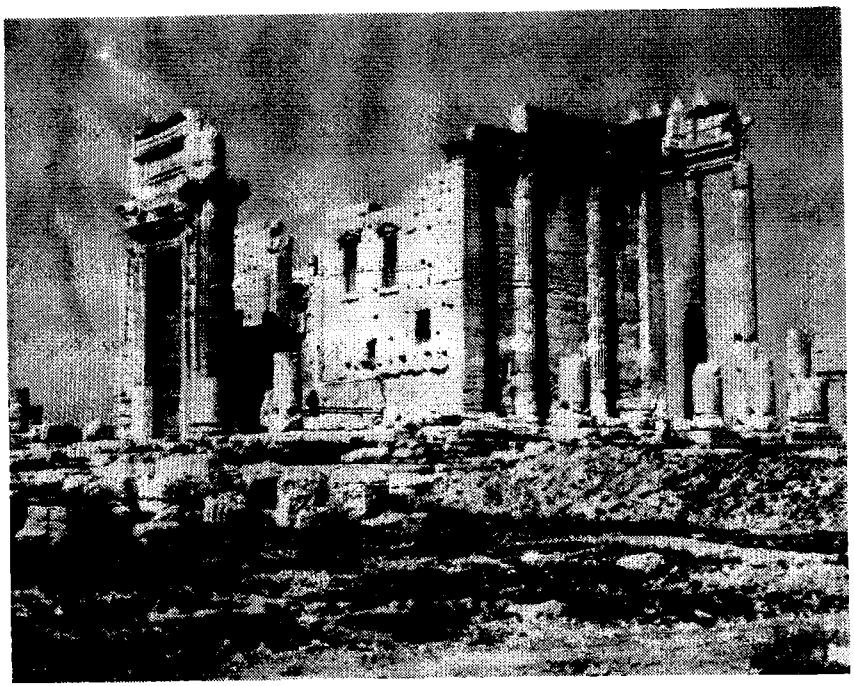

الشكل ١٢٢

-- تدمر : هيكل المعبد أو قدس الأقداس والى اليسار تسمو البوابة الضخمة .

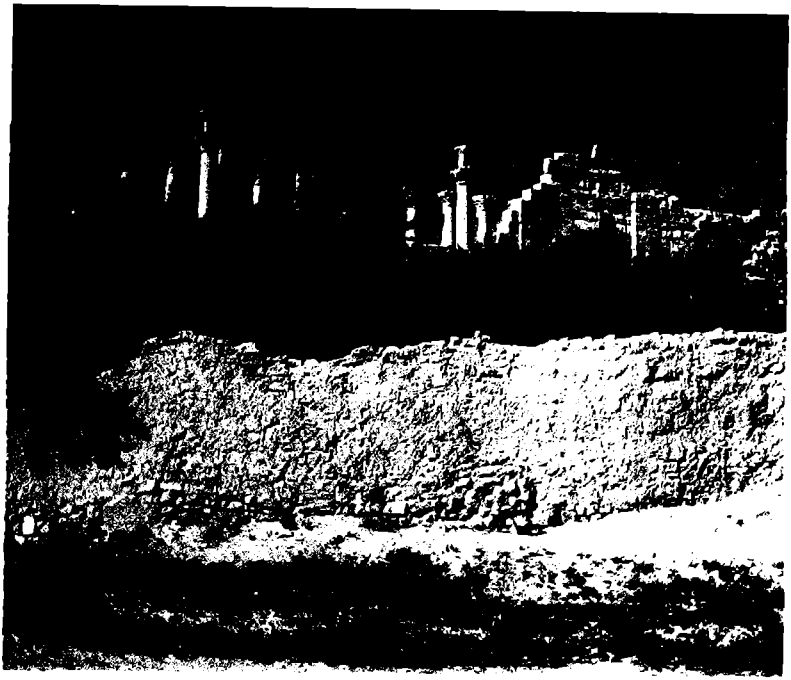

الشكل ١٢٣

– تدمر : تحيط بساتين النخيل والرمان والزيتون بأطراف معبد بل الذي ترينا الصورة أجزاء من سوره وأروقته .

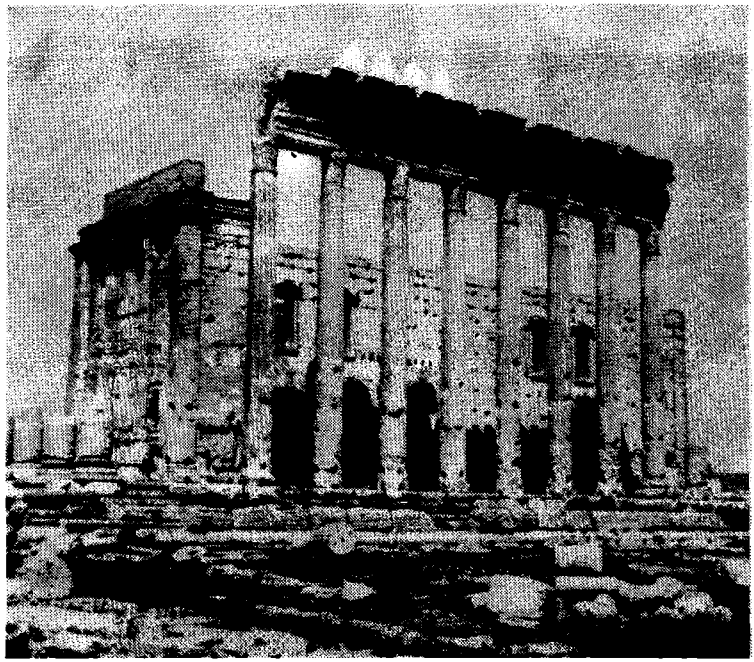

الشكل ١٢٤

– تدمر : الجانب الشرقي من هيكل معبد بل حيث ترتصف بكل شموخ أعمدة الرواق الظليل الذي يحف بالهيكل . نشاهد على قمة الطنف الذي يعلو تيجان الأعمدة شرافات مسننة كانت متناثرة حول المعبد ثم أعادتها السلطات الأثرية الى مكانها الأصلي . ان اقامة الشرافات في قمة البناء هو تقليد شرقي عريق لم يعرفه الأغريق أو الرومان . يخترق واجهات الهيكل نوافذ مستطيلة تعلوها جبهات سنمية (مثلثة) ويزين الواجهات الأمامية عضادات وأنصاف أعمدة تعلوها تيجان كورنثية .

الشكل ١٢٥

– تدمر جزء من رواق الهيكل أو قدس الأقداس كانت التيجان التي تعلو الأعمدة من البرونز وقد نزعها الناس في الماضي للاستفادة من مادتها لكن السلطات الأثرية استعاضت عنها بأجسام حجرية خرساء كي يصبح بالامكان اعادة الطنف الى مكانه الأصلي .

الشكل ١٢٦

– تدمر : نظرة الى السور الخارجي لمعبد بل . تحول المعبد في أيام الأيوبيين الى قلعة حصينة وقد تطلب هذا التحويل سد النوافذ واستخدام أجزاء متناثرة من بنيان المعبد في بناء جدران جديدة . وفي مؤخرة الصورة نشاهد بقية الرواق الذي كان يكتنف الهيكل من جوانبه الأربعة .

الشكل ١٢٧

– تدمر : البوابة الكبيرة التي تفضي الى داخل قدس الأقداس في معبد بل .

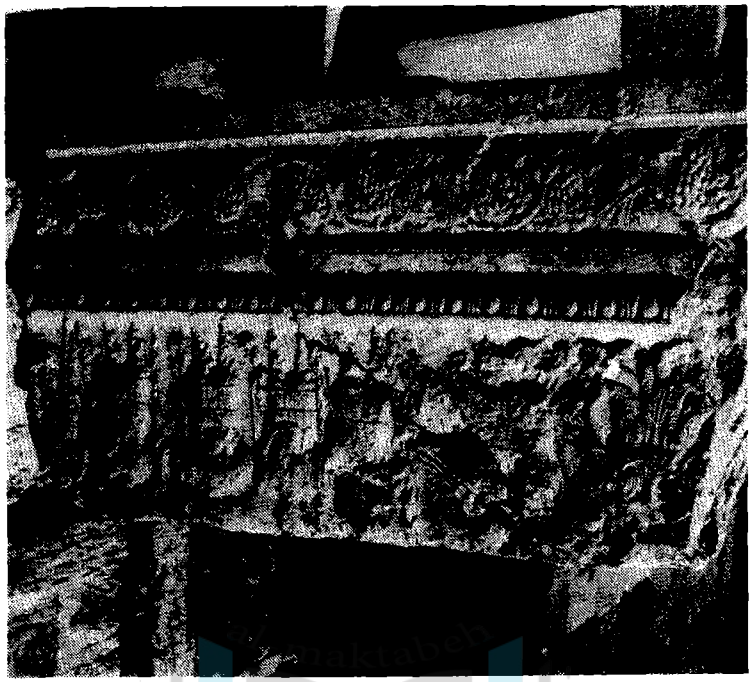

الشكل ١٢٨

– تدمر : نحت بارز عند مدخل هيكل معبد بل ، كان هذا النحت جزءا من طنف الرواق الذي يكتنف الهيكل . يمثل النحت في الجانب الأيسر مشهد قتال بين محارب على عربة وحيوان خرافي في هيئة أفعى . وفي الجانب الأيمن نشاهد خلف المحارب الهة تسانده في هذه المعركة على مايبدو . يشغل الجزء السفلي اطار من البيوض وأغصان الكرمة المحملة بعناقيد العنب وتظهر عليه بقية من دهان أحمر .

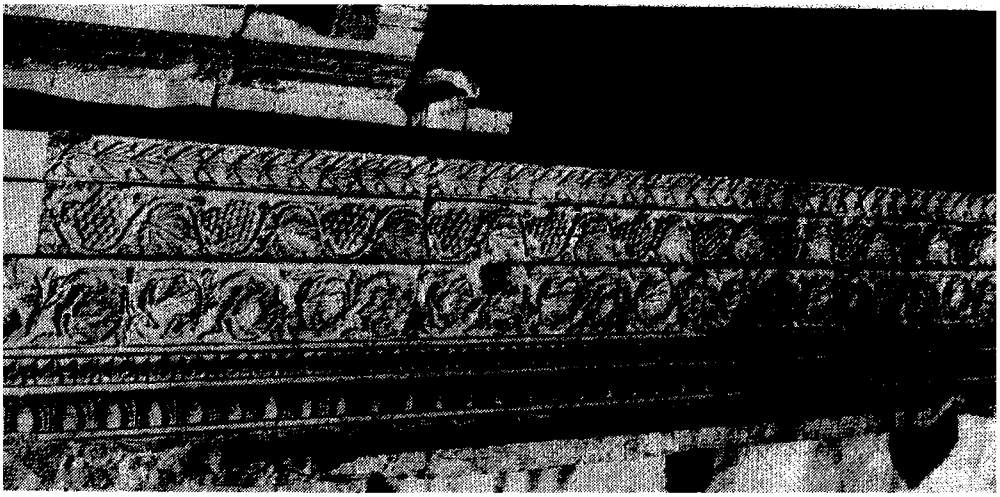

الشكل ١٢٩

– تدمر : جانب من باب هيكل معبد بل وهو مزين بأكثر من اطار زخرفي وتعتبر زخارف هذا الباب الى جانب زخارف قوس النصر من أبدع ما أنتجه الفن التدمري .

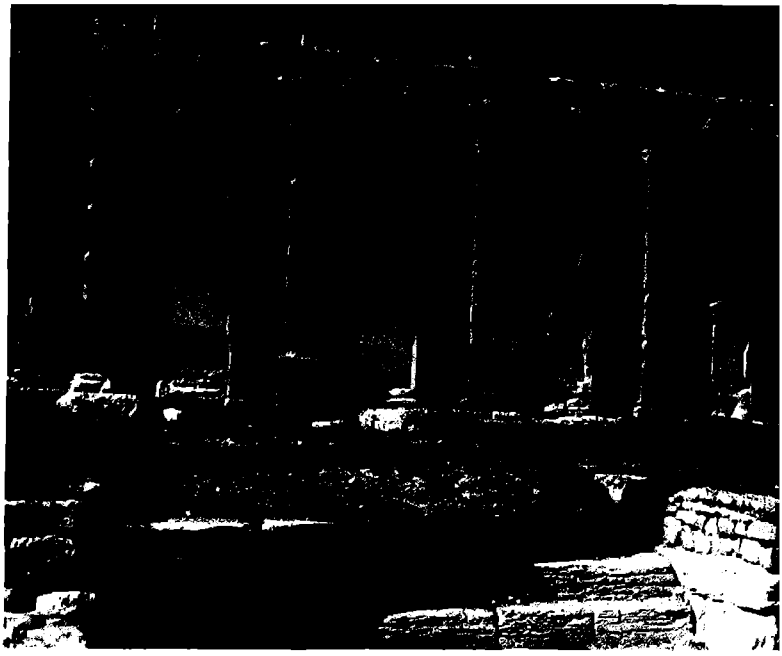

الشكل ١٣٠

– تدمر : السور الخارجي لمعبد بل من الداخل . تخترق السور نوافذ مستطيلة تعلوها جبهات سنمية (جمالونية) وتتخلله عضادات لاحقة تعلوها تيجان كورنثية الطراز . كان يتقدم السور رواق زال الآن . في مقدمة الصورة نرى بوضوح الدرجات التي تقود القادم من النفق الأرضي الى مستوى أرض المعبد .

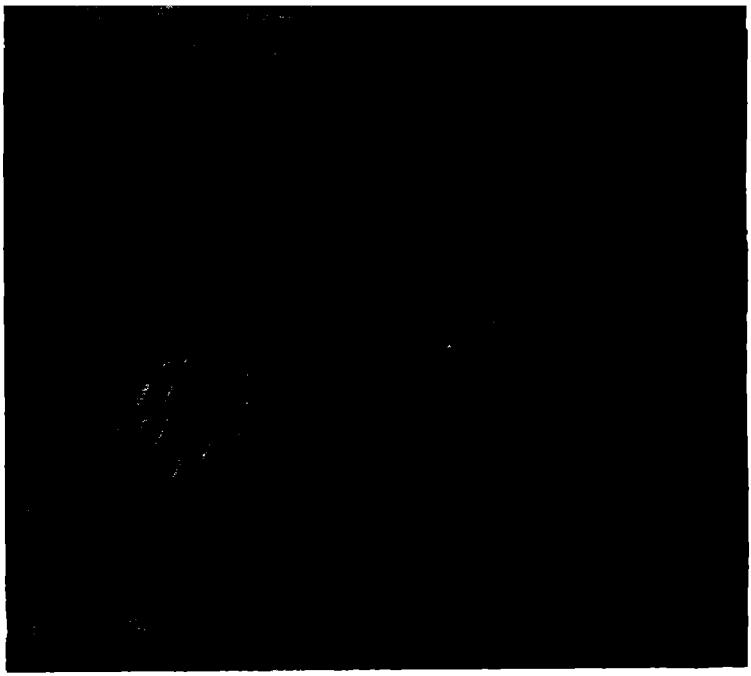

الشكل ١٣١

– تدمر : تفصيل لزخارف طنف في معبد بل حيث نرى اطار من البيوض التزيينية فوق شريط من أغصان الكرمة وعناقيد العنب كانت الكرمة من الأشكال المحببة في التزيين كما انها ترمز الى الخصب والاكثار .

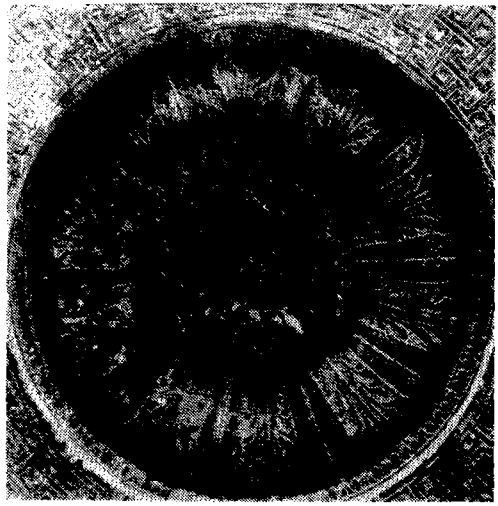

الشكل ١٣٢

– تدمر : تطفح سقوف محاريب الهيكل في معبد بل بالزخارف ، فالمحراب الجنوبي الذي كان يحتوي تمثال كبير الالهة بل مزيناً بزهرة محاطة باطار زخرفي هندسي .

الشكل ١٣٣

– تدمر : كانت تماثيل الثلاثي من أرباب تدمر : بل ويرحبول وعجليبول تقوم في قلب هذا المحراب الشمالي في هيكل معبد بل .

الشكل ١٣٤

– تدمر : تفصيل من نحت بارز على طنف رواق الهيكل في معبد بل ، حيث نشاهد موكبا مهيبا من نسوة في طريقهم الى تقديم الأضاحي خلف جمل يحمل فوق سنمه حجر مقدس (بيثيل) . تستحوذ أشكال النسوة اعجابنا من خلال الانسيابية في الخطوط والتكوين الفني الايقاعي

الشكل ١٣٥

-- تدمر : كان يجري في معبد بعلشمين عبادة كبير الالهة بل وظواهره كسيد للسماء أو كرب للمطر والرياح والرعد والبرق وكان الهيكل يتوسط ساحة تكتنفها الاروقة الظليلة .

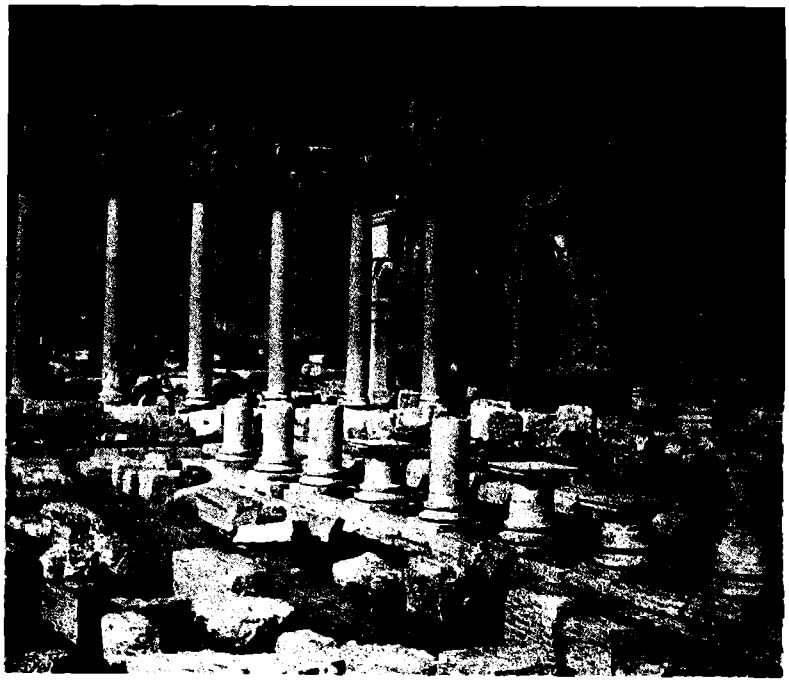

الشكل ١٣٦

– تدمر : منظر لاطلال تدمر وفي مقدمتها قوس النصر وشارع الأعمدة . وفي مقدمة الصورة نرى بقايا معبد كان مخصصا لعبادة الاله نبو . كشفت تنقيبات المديرية العامة للآثار والمتاحف عن معالمه في السنوات الأخيرة .

الشكل ١٣٧

– تدمر : ينتصب أمام واجهة معبد بعلشمين مذبح مشفوع بكتابة تدمرية ويونانية مؤرخة بسنة ١١٥ للميلاد ، لكن السور الذي يحيط بساحة المعبد يرقى الى القرن الأول للميلاد ، وقد أكدت نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بها بعثة أثرية سويسرية بين ١٩٥٤ ، و ١٩٥٦ أن الهيكل الحالي يقوم فوق أنقاض هيكل أقدم عهدا ولعله معاصر السور الآنف الذكر .

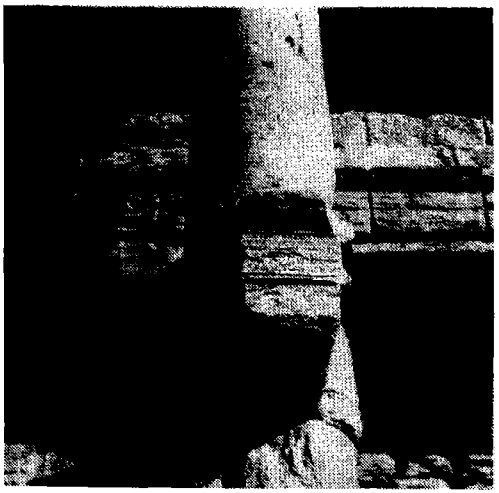

الشكل ١٣٨

– تدمر : تحمل أعمدة الرواق الذي يتقدم هيكل بعلشمين قواعد بارزة كانت مخصصة لحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينة . تحمل القاعدة التي نراها في الصورة كتابة تذكر أن مالي ابن يرحاي بنى هذا الهيكل في ١٣٠ للميلاد .

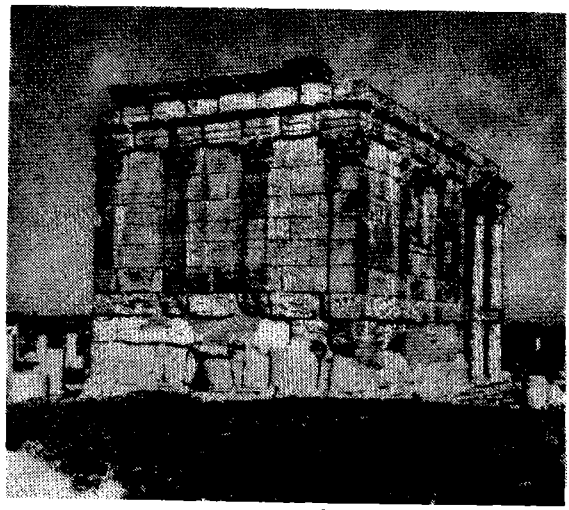

الشكل ١٣٩

– تدمر : الجانب الشرقي لمعبد بعلشمين . والهيكل مؤلف من جسم مستطيل يخترق كل ضلع من ضلعيه الطويلين نافذة . أما المدخل فهو موجود في الضلع القصير الذي يتقدمه رواق مؤلف من أعمدة تحمل تيجان كورنثية وتلتصق بجذوعها قواعد بارزة لحمل التماثيل .

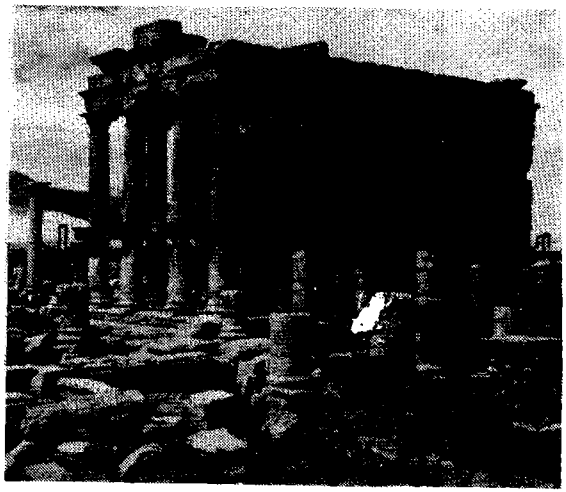

الشكل ١٤٠

– تدمر : الجانب الخلفي لمعبد بعلشمين حيث نرى العضادات والتيجان الكورنثية التي تزين أوجهه الخارجية .

قوس النصر

الشكل ١٤١

– تدمر : يتقدم قوس النصر بفتحاته الثلاثة الشارع الأعظم الذي يخترق المدينة من الشرق الى الغرب . يعود تاريخ بناء هذا القوس العظيم الى القرن الثاني للميلاد وفي مؤخرة الصورة نرى قلعة ابن معن العربية .

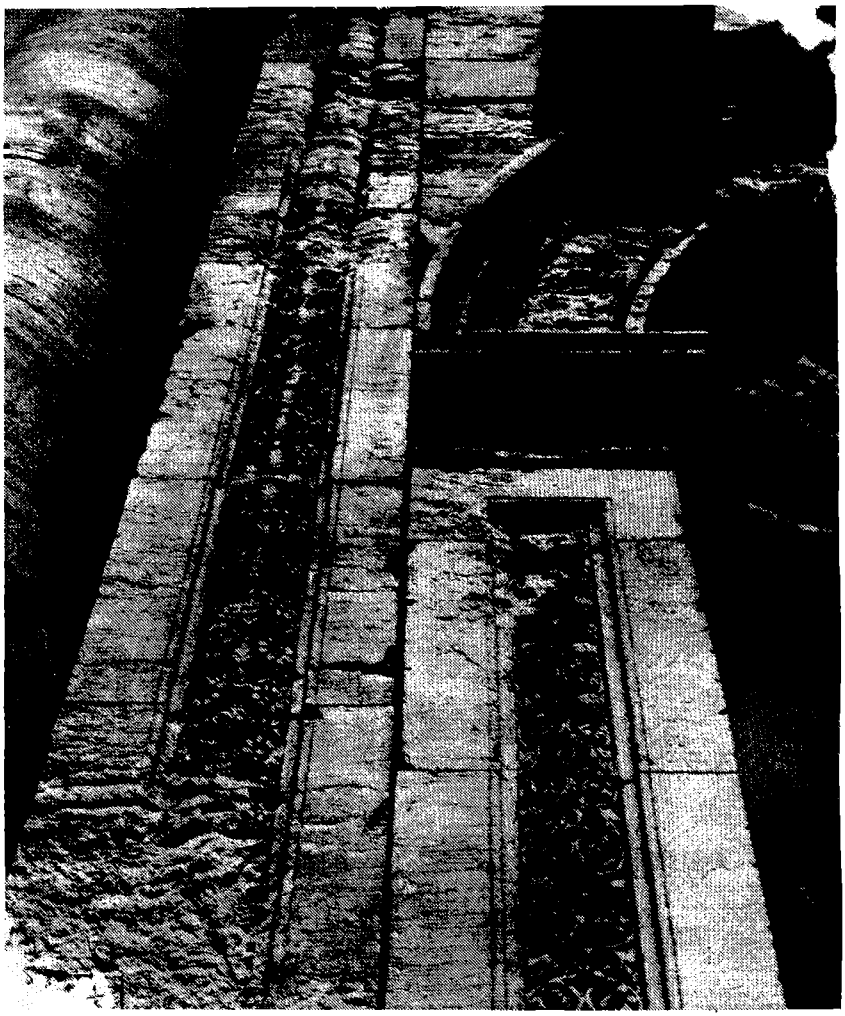

الشكل ١٤٢

– تدمر : يزخر قوس النصر الذي يتقدم الشارع الأعظم ، بأنواع الزخارف البارزة المنحوتة في حجارة البنيان

الشكل ١٤٣

– تدمر : يستحوذ الشارع الأعظم وأعمدته التي يحمل قسم منها بقايا الطنف ، إعجاب كل زائر وهذه الصورة مأخوذة من وسط الشارع باتجاه قوس النصر حيث ينحرف الشارع بعد ذلك باتجاه معبد بل .

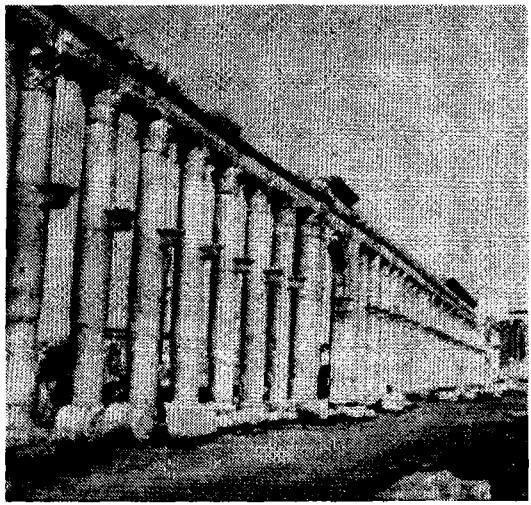

الشكل ١٤٤

– تدمر : منظر لأعمدة الشارع الأعظم . القسم الأكبر منها تتصل به قواعد بارزة لحمل التماثيل . وكل عمود يستند على قاعدة فوق الأرض ويحمل في أعلاه تاجا كورنثيا ويبلغ ارتفاع كل عمود مع قاعدته وتاجه مقدار عشرة أمتار . وفي مؤخر الصورة نرى جزءا من التترابيل الذي يتقاطع عنده الشارعان الرئيسيان في المدينة .

الشكل ١٤٥

– تدمر : في هذه الصورة نرى أحد أعمدة الطابق الثاني الذي كان يعلو الرواق الاسفل في الشارع الأعظم .

الشكل ١٤٦

– تدمر : يقع المسرح بالقرب من الشارع الأعظم وصرح التترابيل الذي يشير الى مركز المدينة وفي مؤخرة الصورة نرى القلعة العربية الشامخة .

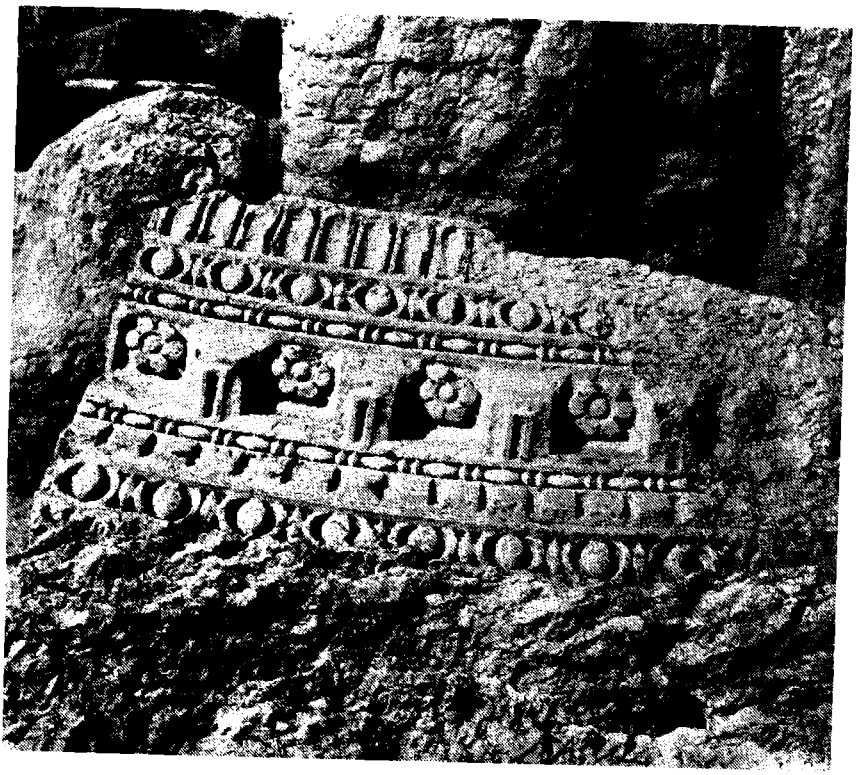

الشكل ١٤٧

ـ تدمر : بقايا زخارف منحوتة على قطع كبيرة من الحجارة التي كانت جزءا من سقف أو من طنف .

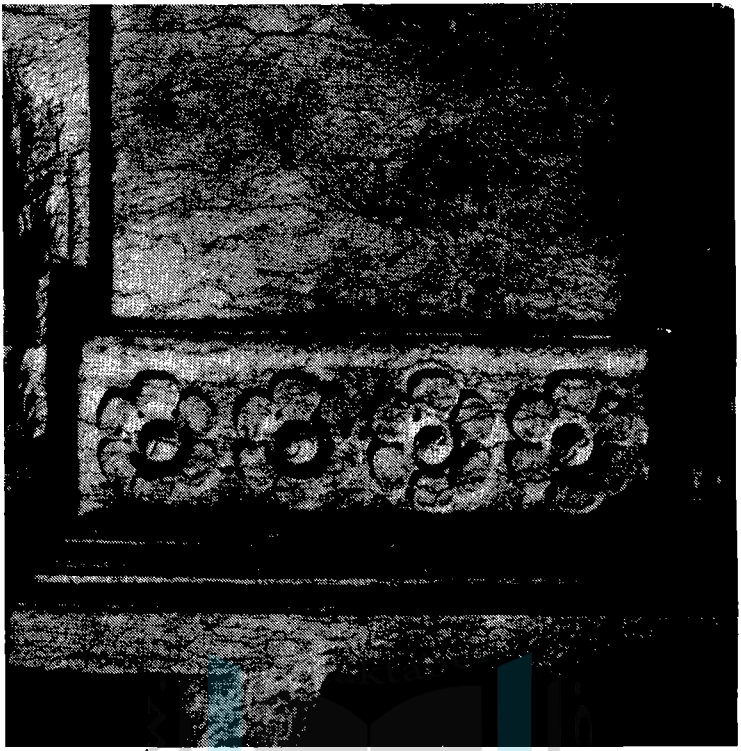

الشكل ١٤٨

– تدمر : الى جانب الكرمة كان شكل الزهرة من الأشكال المحببة في الزخارف التدمرية على العمائر . وهذه العضادة المزخرفة بالأزهار كانت جزءا من مبنى عام يطل على الشارع الرئيسي

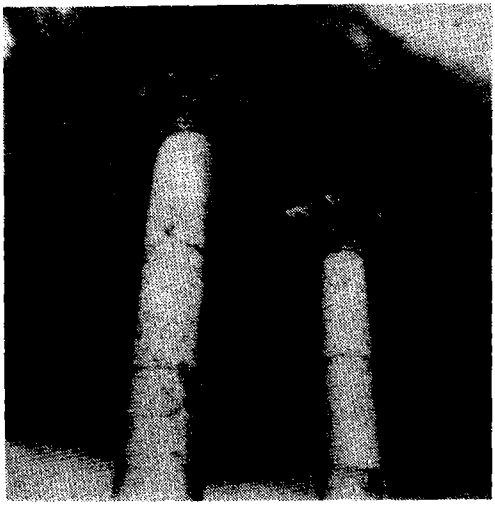

الشكل ١٤٩

– تدمر : هناك عدد من أعمدة الشارع الاعظم ما تزال تيجانها في أفضل حال . كانت الحفر المستطيلة في جذع الاعمدة ، كما في هذه الصورة ، مخصصة لتثبيت القواعد البارزة المخصصة لحمل التماثيل .

الشكل ١٥٠

– تدمر : المتجول في أرجاء تدمر يصادف في طريقه الكثير من القطع الحجرية المزينة بالزخارف المنحوتة . وهذه القطعة التي يزينها نحت بارز للنصف العلوي لشخص كانت جزءاً من أحد الاقواس .

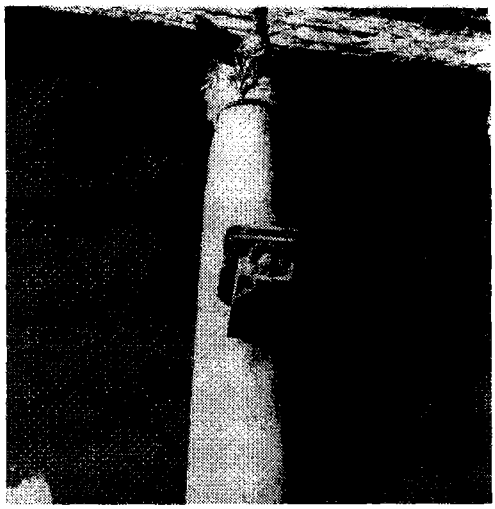

الشكل ١٥١

– تدمر : قوس فوق مدخل شارع يتفرع عن الشارع الرئيسي وفي أكثر الحالات يجري عقد القوس بحجرة مفتاح مزينة بنحت بارز .

الشكل ١٥٢

– تدمر : قاعدة بارزة تلتصق بجذع عمود من أعمدة الشارع المستقيم . كانت مثل هذه القواعد مخصصة لحمل تمثال أحد الوجهاء أو الاعيان في المدينة . رغم وجود الكثير من هذه القواعد في مكانها والكثير من القطع الحجرية المزخرفة بالمنحوتات البارزة الا أنه لم يتم العثور حتى الآن إلا على القليل من التماثيل الحجرية الكاملة. واستناداً إلى الكتابات المكتشفة في تدمر كانت مثل تلك التماثيل تصنع من معدن البرونز ويبدو أن الناس في عصور متأخرة أذابوا تلك التماثيل للاستفادة من معدن البرونز كذلك الحلي التي اصطحبها الاموت إلى القبور في رحلتهم إلى العالم الآخر ، فقد جاء من يأخذها من باطن القبور ليذيبها ويستفيد منها مرة أخرى .

الشكل ١٥٣

– تدمر يتخلل الشارع المستقيم أكثر من مرة قوس كبير يقود إلى شارع فرعي ويستند طنف مثل هذا القوس على عضادتين جانبيتين .

الشكل ١٥٤

– تدمر : منظر لمنطقة الاطلال إلى اليسار من الشارع المستقيم وفي مؤخرة يمين الصورة نشاهد عموداً منفرداً تنتشر خلفه بساتين النخيل . أما الجبال في أفق الصورة فهي جزء من سلسلة الجبال التي تخترق بادية الشام من الفرات إلى مشارف دمشق . يتراوح ارتفاع هذه الجبال عند تدمر بين ٥٥٠ م و ٩٠٠ م . يفترش أرض تدمر وكافة أراضي البادية في فصل الربيع بساط بديع من الحشائش والزهور لكنها تجف في فصل الصيف .

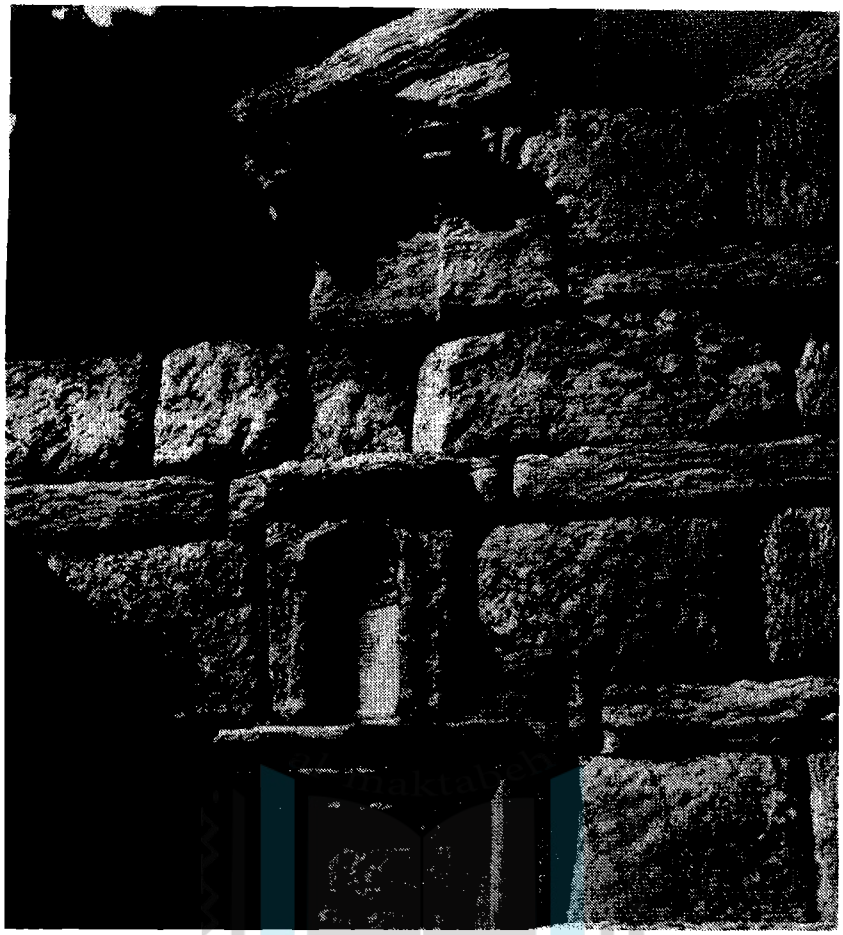

الشكل ١٥٥

– تدمر : واجهة خشبة مسرح تدمر مزينة بالمحاريب والجبهات المثلثة .

مكتبة المهتدين

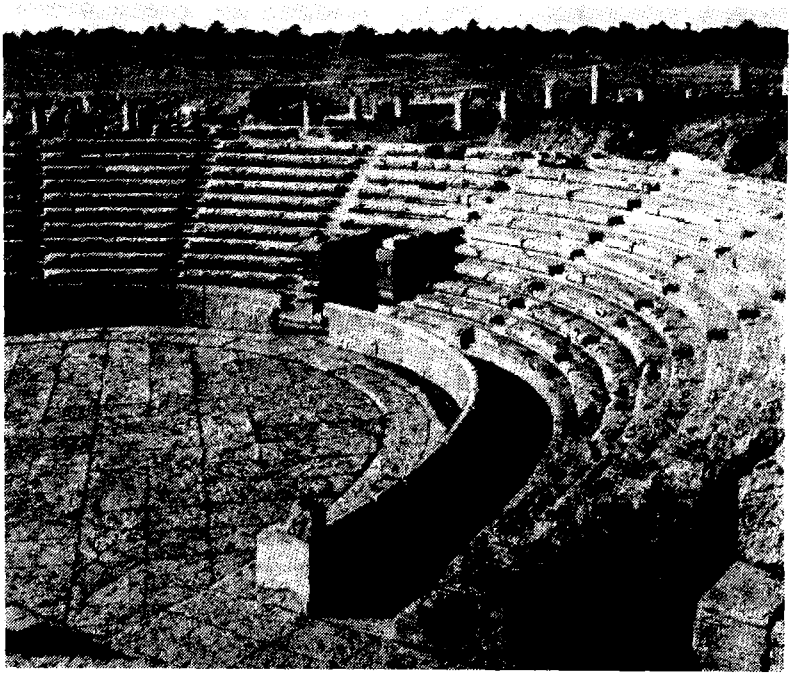

الشكل ١٥٦

– تدمر : مسرح تدمر بعدأن أظهرت معالمه وتفاصيله تنقيبات المديرية العامة للآثار والمتاحف . نظرة من أحد المداخل المؤدية للمسرح إلى الحلبةالمستديرة المفروشة بالبلاط وإلى المدرج نصف المستدير . لم يبق من صفوف المقاعد الا ١٣ صفاً وهناك درج ضيق للصعود والنزول يخترق صفوف المقاعد ويقسمها إلى أحد عشر قسماً . أما المدخل الرئيسي للمشاهدين فيقع في منتصف المدرج .

في أفق الصورة نشاهد بساتين تدمر الغناء .

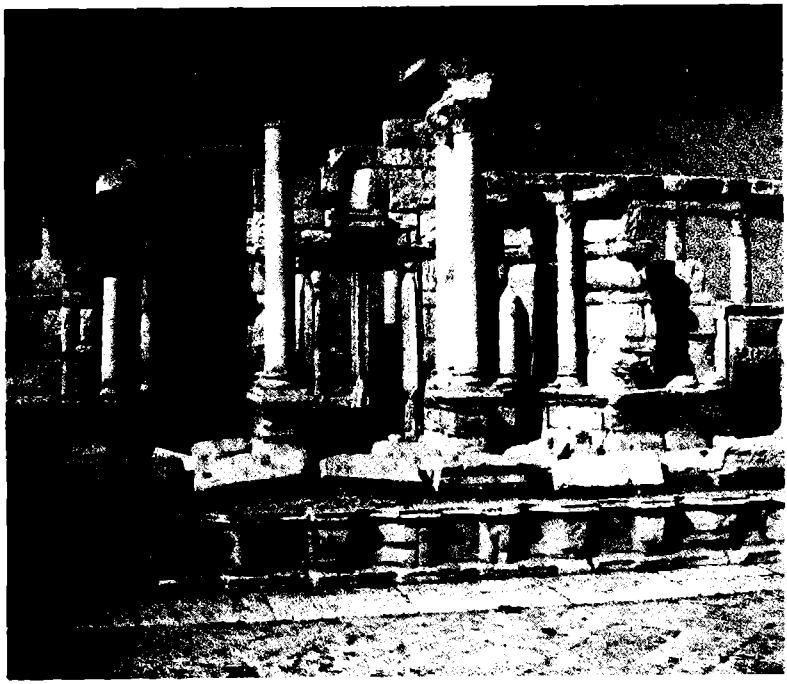

الشكل ١٥٧

– تدمر : خشبة مسرح بصرى وخلفها واجهة الكواليس . يبلغ عرض الخشبة مع الكواليس مقدار ١٠,٥ م ويصل طولها إلى ٤٨ م . واجهة الكواليس غنية في صياغتها المعمارية حيث يتجوف فيها محرابان وفي كل محراب تنتصب عدة أعمدة حاملة طنف فوقها .

الشكل ١٥٨

– تدمر : حلبة المسرح المستديرة بين الخشبة والمدرج

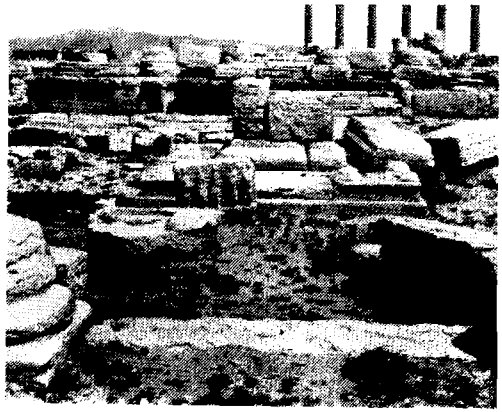

الشكل ١٥٩

تدمر : أظهرت تنقيبات المديرية العامة للآثار والمتاحف معالم وتفاصيل معبد نبو. نرى في الصورة ساحة المعبد التي ينتصب فيها مذبح وفي مؤخرة الصورة نرى الهيكل الذي لم يبق منه الا قاعدته وبعض الاعمدة . وفي أفق الصورة نشاهد أعمدة الشارع المستقيم .

الشكل ١٦٠

تدمر : يقوم في ساحة معبد نبو مذبح في هيئة معبد صغير تكتنفه الاعمدة الصغيرة

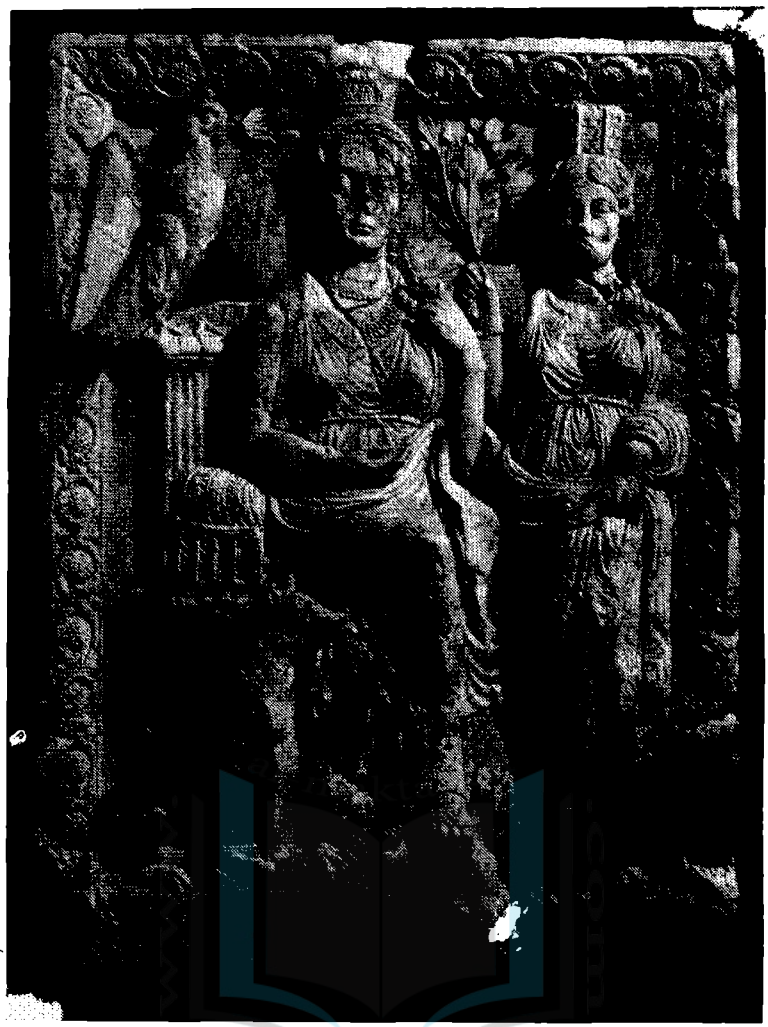

الشكل ١٦١

– تدمر : عثر المنقبون السوريون في منطقة معبد نبو خلال عام ١٩٦٦ على هذه المنحوتة التي تمثل الربة البابلية عشتار . المنحوتة موجودة في المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ١٦٢

– تدمر : جزء تفصيلي من لوحة فسيفساء تمثل اله الطب أسكليبوس (اسكولاب) . نرى الاله يحمل بيده العصا التي تلتف الافعى حولها . لكن شعار الطب والشفاء معروف في بلاد الشام والمشرق منذ العصور الشرقية القديمة ولا يزال هذا الشكل هو شعار الطبيب والصيدلي حتى يومنا هذا وفي كل أنحاء العالم .

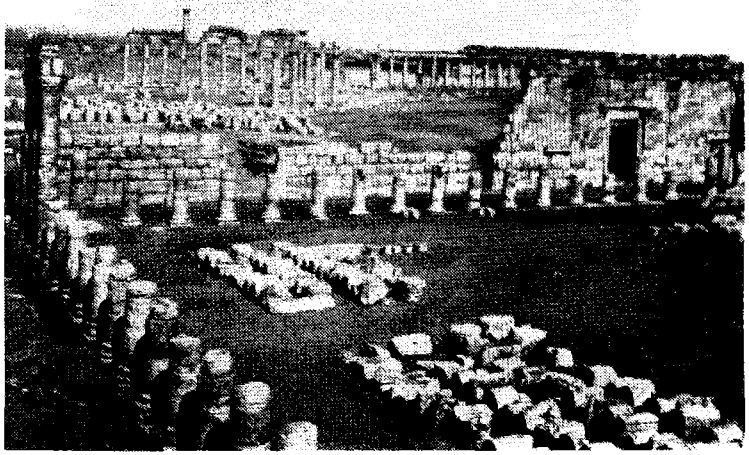

الشكل ١٦٣

– تدمر أظهرت التنقيبات الأثرية في شرقي معبد بل دوراً سكنية كانت عامرة في القرن الثالث للميلاد وقد ظهرت أرضيات فسيفساء في عددمنها .

الشكل ١٦٤

– تدمر : الآغورا أو ساحة اجتماع العامةتكتنفها الاروقة الظليلة في الداخل . ويعود تاريخ بنائها إلى القرن الثاني للميلاد .

كانت هناك مصطبة قليلة الارتفاع مخصصة للخطباء ولأهل الكلام . تتمتع الاغورا بأحد عشر مدخلا تسهل دخول وخروج الجموع الكبيرة من الناس . نشاهد في مؤخرة الصورة جزءاً من أعمدة الشارع المستقيم .

الشكل ١٦٥

– تدمر : يتربع التترابيل حيث يتقاطع الشارعان الرئيسيان في المدينة وبالتالي هو صرح ومعلمة لمركز المدينة يتألف هذاالصرح من مصطبة ضخمة تقوم في زواياه الاربع قواعد عالية تحمل كل منها أربعة أعمدة سامقة من الغرانيت يعلوها سقف له طنف وافريز وفي وسط المصطبة كان يقوم تمثال ضخم على قاعدة .

الشكل ١٦٦

– تدمر : يقع معسكر ديوقليسيان الذي كشفت معالمه البعثة الاثرية البولونية ، في أسفل رابية يستطيع الزائر الواقف فوقهاأن يلقيّنظرة واسعة على أطلال تدمر . ترى في أقق الصورة شارع الاعمدة وفي يمينها معبد بل

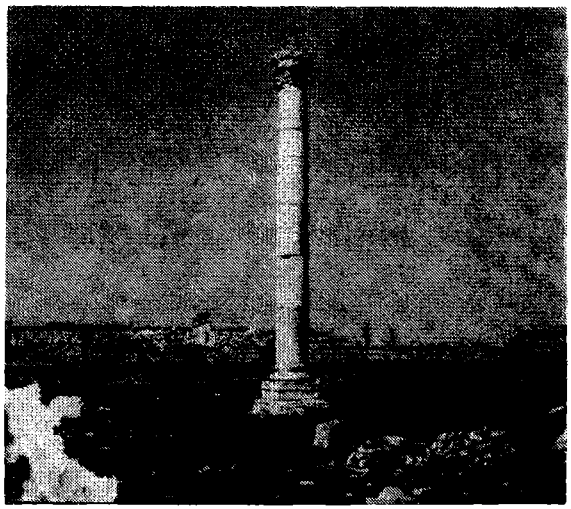

الشكل ١٦٧

– تدمر : عمود منفرد يسمو عالياً بين معبد بل ونبع افقا . تشير الكتابة المنقوشة عليه أن مجلس الشيوخ أقام هذا النصب التذكاري في ١٣٩ للميلاد تكريماً للمواطن باريكي والمواطن مقيمو لما قدماه من خدمات جليلة للمدينة .

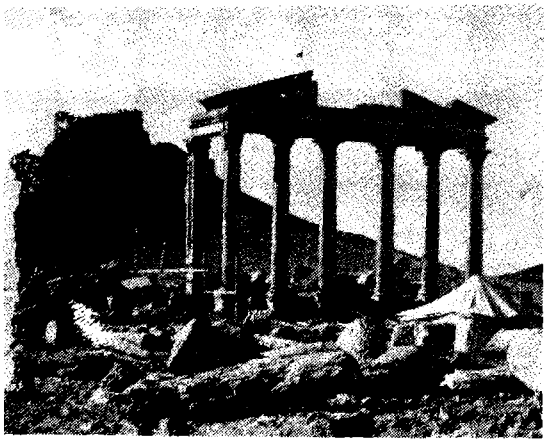

الشكل ١٦٨

– تدمر : تقع دار الموتى في النهاية الشمالية الغربية للشارع الاعظم وهي مؤلفة من مقبرة داخل دار . يعود تاريخ هذا الاثر إلى القرن الثالث للميلاد لكن لم يبق منه شاخصاً الا أعمدة الرواق وجزء من الردهةالامامية . تقوم المديرية العامة للآثار والمتاحف الآن بأعمال الترميم والتقويم في هذاالمكان . نرى في أفق الصورة قلعة ابن معن العربية .

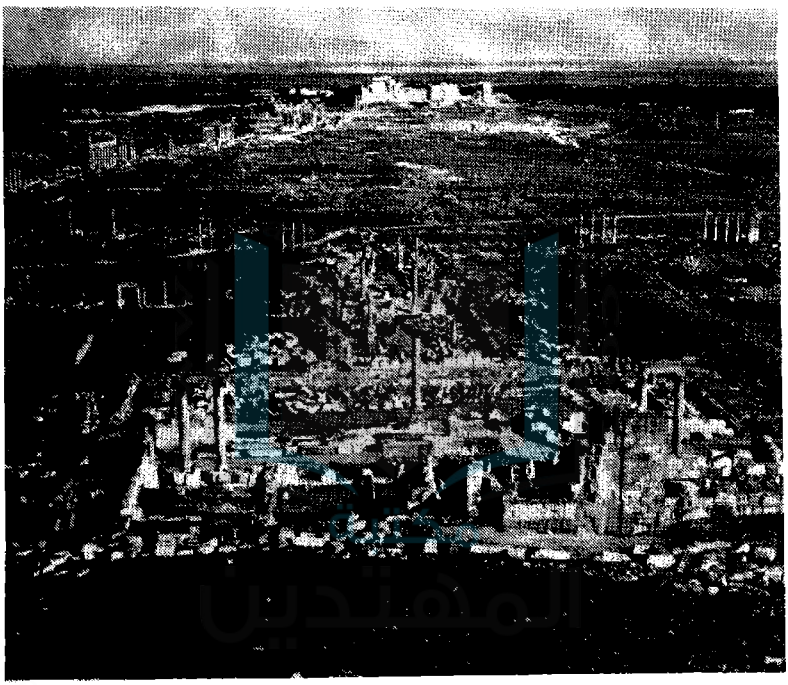

الشكل ١٦٩

– تدمر : نرى في مقدمة الصورة معسكر ديوقليسيان وفي مؤخرتها معبد بل الذي يبرز من خلف بساتين تدمر الغناء وفي أفق الصورة شريط أبيض يعكس ممالح كان أهالي تدمر يستخرجون منها الملح ويتاجرون به في قديم الزمان .

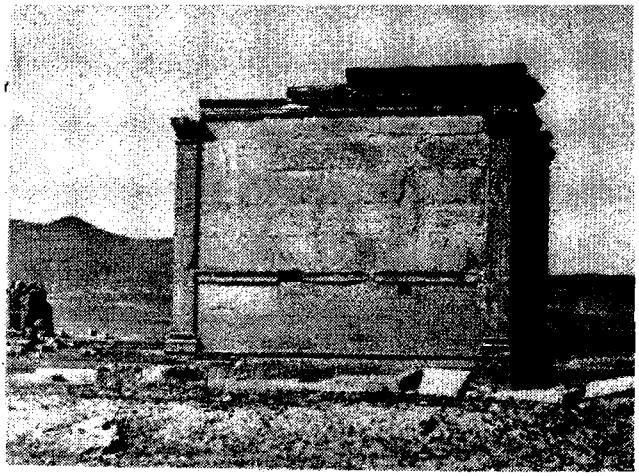

الشكل ١٧٠

– تدمر : مدفن ارليوس ماروثا الذي تؤرخه الكتابة في سنة ٢٣٦ للميلاد يبدو المدفن في تصميمه الخارجي قريباً من شكل هيكل المعابد . فقد كان له أروقة تحف بجوانبه الاربعة . وفي عصر متأخر فقد المدفن وظيفته كمقبرة واستخدم داراً للسكن . عثر الآثاريون في داخله على نحت بارز لتاجر يقف إلى جانب سفينته .

الشكل ١٧١

– تدمر : نحت بارز في أحد مدافن تدمر تمثل زوجاً وامرأته واسم كل منهما محفور بأحرف تدمرية .

النحت موجود في المتحف الوطني بدمشق

الشكل ١٧٢

– تدمر : مدفن برجي في وادي القبور كان مخصصاً لكيتوت بن تيمارصو في سنة ٤٠ للميلاد . يوجد على ارتفاع عشرة أمتار من مستوى الارض نحت بارز في الجدار يمثل وليمة جنائزية وهو أقدم نحت يمثل هذا المشهد في تدمر ففي مقدمة النحت يستريح الاموات وخلفهم يقف ثلاثة من أفراد العائلة الاحياء . وهما زوجة المتوفى وولداه ثم خادم الدار . ويرافق كل شخص من هؤلاء الاشخاص اسمه محفوراً بأحرف تدمرية . يحيط بالمشهد قوس تزينه سلسلة من أغصان الكرمة وعناقيد العنب .

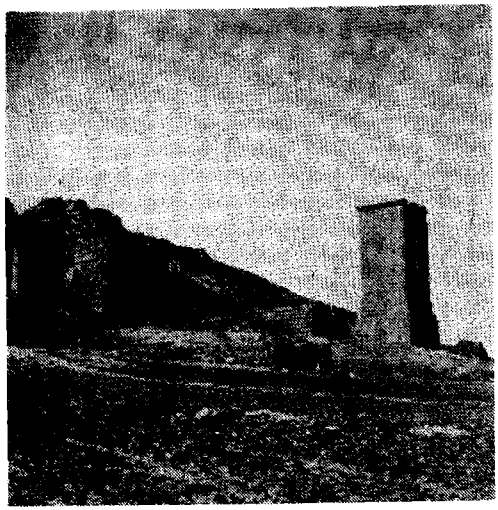

الشكل ١٧٣

– تدمر : يبرز من بين المدافن البرجية الرابضة على هذه الرابية في وادي القبور مدفن جمليكو المؤرخ سنة ٨٣ للميلاد . وهو أكبر المدافن المجاورة له في الارتفاع وأغناها في الزخارف والزينة .

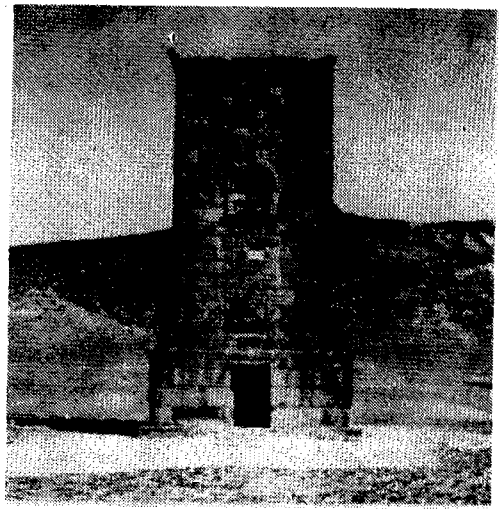

الشكل ١٧٤

– تدمر : مدفن ايلاخبيل في وادي القبور مؤرخ بسنة ١٠٣ للميلاد . يتألف من خمسة طوابق ، وعلى واجهة الطابق الثالث يوجد تابوت حجري بين عضادتين يعلوها قوس .

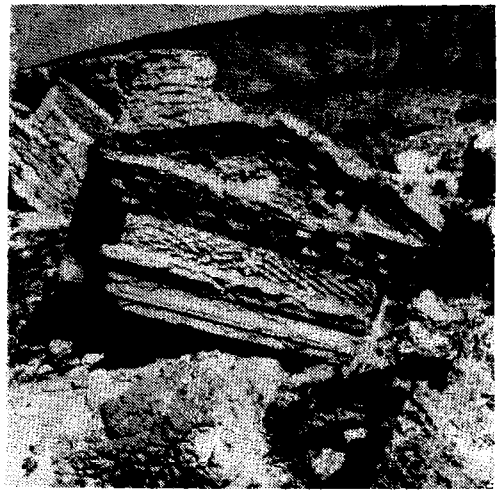

الشكل ١٧٥

– تدمر : تجسم هذه الجبهة الجمالونية في وادي القبور وقد تهاوت على الارض مع الكثير من أجزاء مدفن برجي . تمج هذه القطعة بالزخارف المنحوتة في مقدمة الزخارف شكل الزهرة والتوريقات . تشهد هذه القطعة الفنية على مدى اهتمام التدامرة بأمواتهم انذاك .

الشكل ١٧٦

-- تدمر : المعازب أو النواويس المنقورة في قلب الصخر أو المشيدة بالحجارة لاحتواء جثث الاموات . في هذا المدفن نجد أن كل صف يتألف من ثلاثة نواويس بعضها فوق بعض . وكان يجري سد فتحة كل ناووس بلوحة حجرية يبرز من سطحها نحت بارز للنصف العلوى للانسان الراقد هناك .

الشكل ١٧٧

-- تدمر : رسوم ملونة على جدران مدفن الاخوة الثلاثة في المقبرة الجنوبية الغربية تتألف الرسوم التي نفذت في النصف الثاني للقرن الثاني للميلاد من أشكال حيوانات في الاسفل ومن شكل معين داخل مستطيل في الاعلى ثم أشكال بشرية وفي وسط الجامة المستديرة شكل نصفي لرجل أو امرأة . نرى في يسار الصورة شكل امرأة وطفل .

كان سقف المدفن مزين بالرسوم الملونة بهدف تمويه نسيج البنيان الحجري .

الشكل ١٨٢

– منطقة حماة : لوحة فسيفساء ٢٨١ × ٢٨٥ سم كانت تزين أرضية احدى غرف دار سكنية في الفترة البيزنطية . تتألف الفسيفساء من اطار يحتوي ضفائر متسلسلة وفي داخل هذا الاطار شكل طائر داخل كل غصن يلتف دائريا وتخرج جميع تلك الأغصان من مزهرية يكتنفها طاووسان من الجانبين . وفي الأعلى شكل الصليب الذي يحدد عقيدة صاحب الدار في ذلك الزمان . الفسيفساء موجودة في المتحف الوطني بدمشق .

الشكل ١٨٣

– الرصافة : منظر عام لاطلال الرصافة عندما تغطي الحشائش والأزهار ارجاءها في فصل الربيع . نلاحظ وجود الكثير من الحفر في كل مكان وهي من عمل لصوص الآثار قبل أن يصبح الموقع تحت رقابة المديرية العامة للمتاحف والآثار . معظم المدينة ماتزال دفينة في باطن الأرض لكن ماتزال هناك أجزاء هامة من مبان المدينة ومنشآتها شاخصة فوق الأرض . ففي مؤخرة الصورة نرى أطلال الكنيسة (B) وخلفها كنيسة القديس سركيس وفي يمين الصور يظهر جزء من سور المدينة .

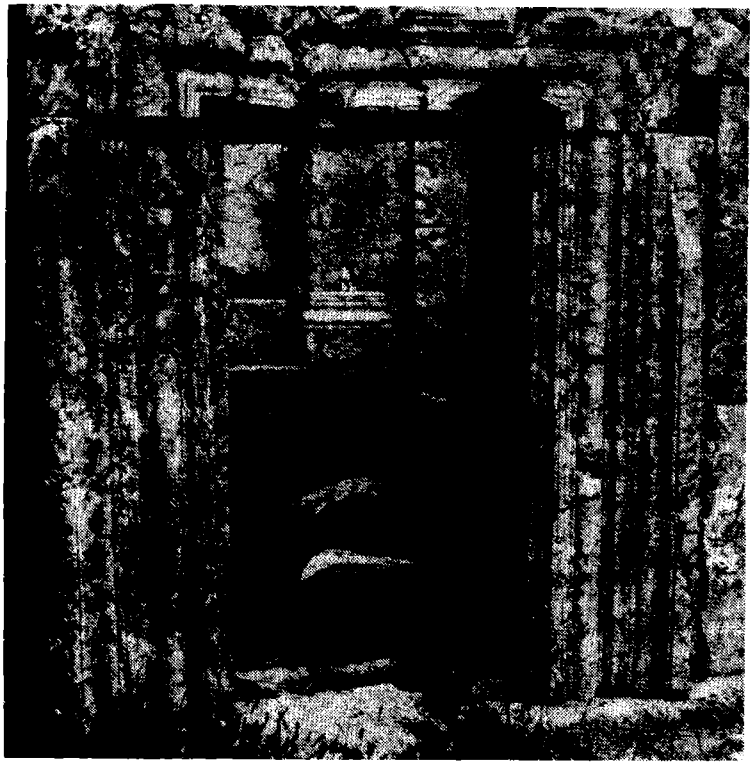

الشكل ١٨٤

– الرصافة : كشفت التنقيبات الأثرية في منطقة الكنيسة (B) عن أجزاء جديدة كانت غائبة في باطن الأرض . وقد أصبحنا الآن نعرف الشكل الكامل الذي كانت عليه الكنيسة في قديم الزمان. ترينا الصورة باباً له اطار مقولب وهو من الحجر الجصي الأبيض الذي توجد مقالعه بالقرب من الرصافة

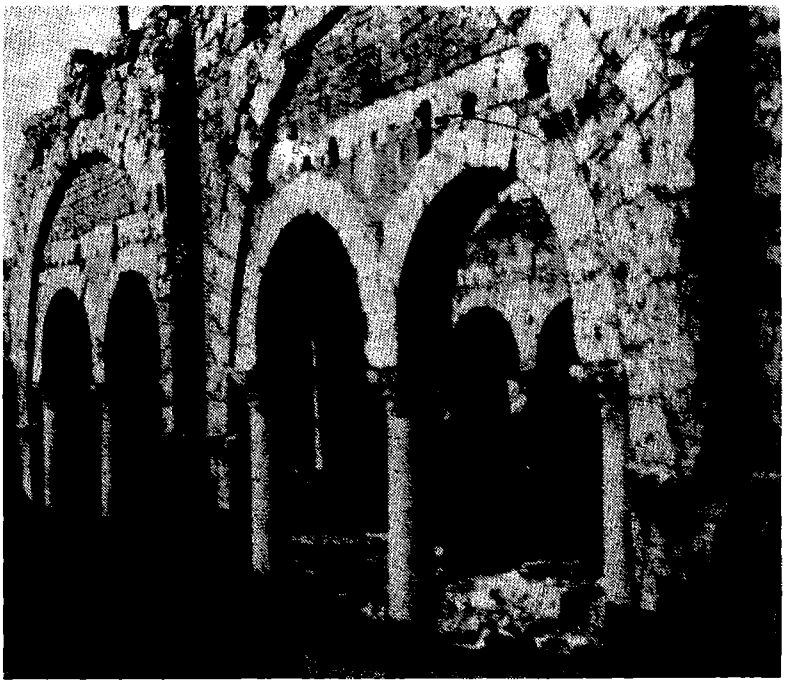

الشكل ١٨٥

– الرصافة : نستطيع أن نتصور الشكل الكامل لكنيسة القديس سركيس بفضل الجدران والأجزاء التي ظلت سامقة لارتفاع حتى الآن . نرى في الصور الرواق الأوسط وهو الأعظم في الحجم والارتفاع . تخترق هذا الرواق من الغرب الى الشرق أربعة أقواس رحبة الاتساع ولما تعرضت المدينة لرجفة الزلزال جرى تقسيم كل قوس الى قوسين صغيرين لضمان صموده أمام رجفات أخرى . يبلغ عرض القوس الكبير حوالي عشرة أمتار .

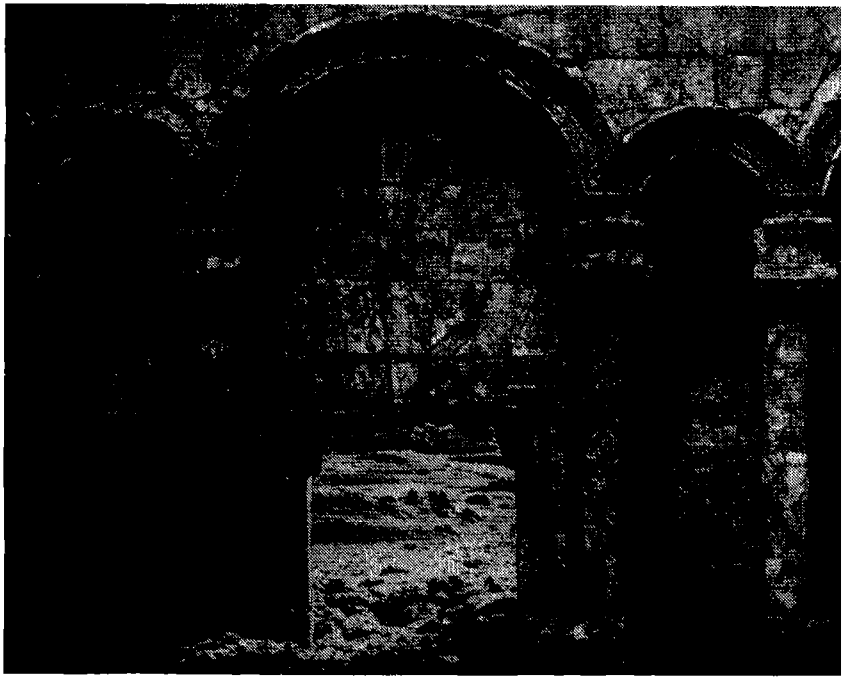

الشكل ١٨٦

– الرصافة : يعتبر الباب الشمالي من أعظم أبواب المدينة في المظهر والجمال . فواجهته مؤلفة من انسياب ثلاثة أقواس فوق أعمدة تعلوها تيجان كورنثية الطراز وتحمل هذه الواجهة بروزا مقداره أربعة أمتار . يحيط بالباب المتوسط اطار عرضه ٦٠ سم ويتوسط ساكفه شكل زهرة بارزة . كذلك يتحلى الاطار نفسه بقولبة جميلة .

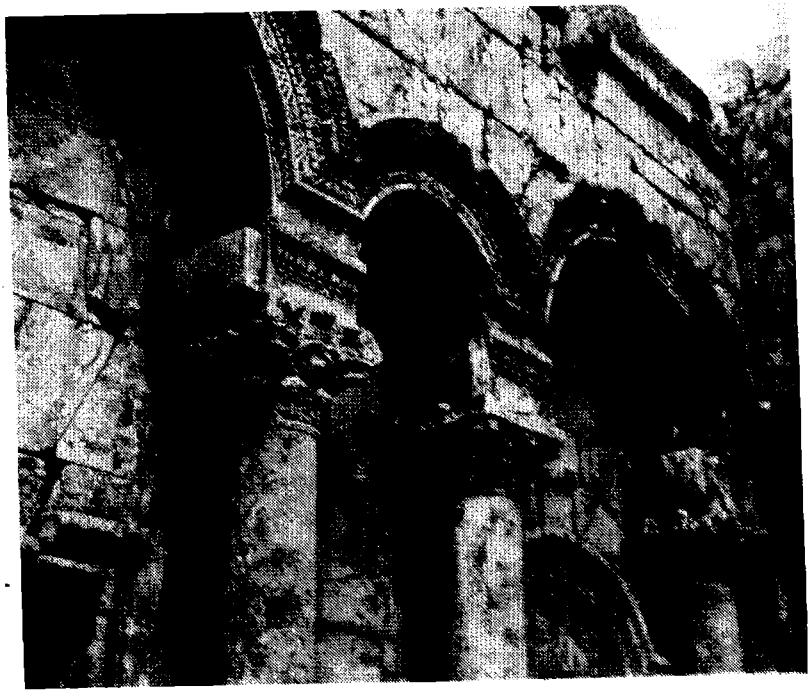

الشكل ١٨٧

– الرصافة : تظهر بكل وضوح وجلاء الزخارف البديعة المنحوتة في سطح الأقواس كما تظهر روعة التيجان ودقة صنعها . تبرز الأعمدة مقدار ٧٠ سم عن الجدار . يبلغ عرض القوس لأوسط وهو أعظم من بقية الأقواس حجما ، مقدار ٤,٧٠ م ، يحيط بالأقوا س اطار بارز غني بالزخارف النباتية وفي مقدمتها عناقيد العنب ولفائف الأغصان .

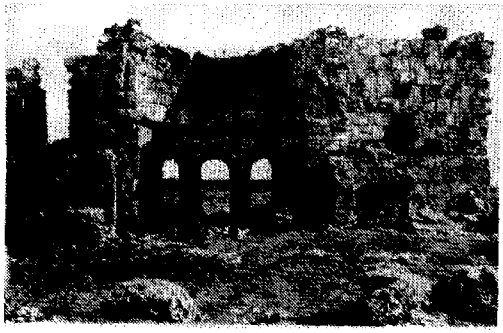

الشكل ١٨٨

– الرصافة : الحنية نصف المستديرة أو قدس الأقداس في كنيسة الشهداء . يبلغ عرض الحنية ٨٫٣٠ م ويخترق ظهرها ثلاث نوافذ مدورة الأقواس . لكن لم يبق الا النذر اليسير من الزخارف الكثيرة التي كانت تزين هذا المكان . نرى في أفق الصورة ومن خلال النوافذ سور المدينة .

الشكل ١٨٩

– الرصافة : ظلت الزخارف محفوظة في الحنية الجانبية لكنيسة الشهداء بشكل أفضل من زخارف الحنية الكبرى في الوسط . يبلغ عرض اطار هذا القوس ٧٠ سم وهو يستند على عضادتين وعلى تجين من أوراق الاكانتوس (شوكة اليهود) . أما مفتاح القوس فهو مزين بشكل الصليب الذي يحيط به اكليل .

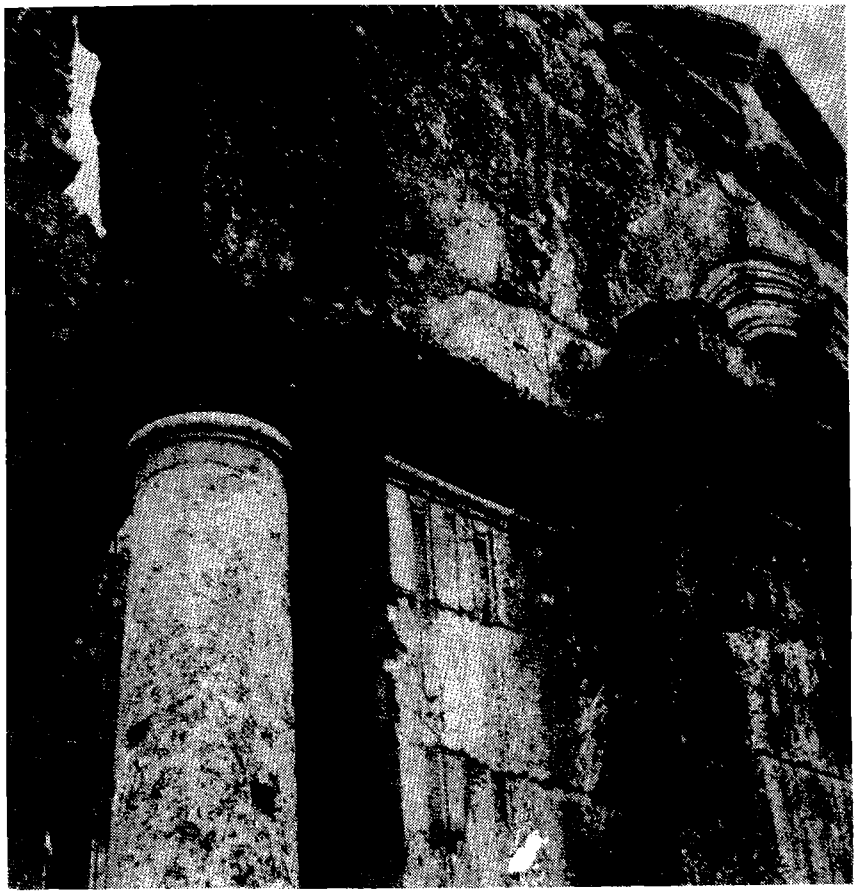

الشكل ١٩٠

– **قلعة سمعان** : تتمتع ردهة الكنيسة الجنوبية بثروة زخرفية هائلة . يتعاون في حمل القوس الكبير دعامة مربعة وعضادات مستطيلة وأعمدة مستديرة تعلوها تيجان مغلفة بأوراق الاكانتوس . لعل ابدع مافي زخارف هذا المكان أوراق الاكانتوس التي جعلها الفنان السوري في مهب الرياح .

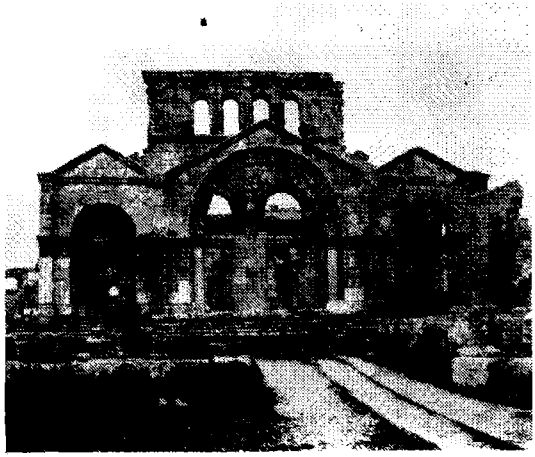

الشكل ١٩١

– قلعة سمعان : تطل كنيسة القديس سمعان على القادم من الجنوب بهذه الواجهة البديعة . تتألف هذه الواجهة من ردهة تخترقها ثلاثة مداخل تعلوها الأقواس.ينساب اطار مقولب دون توقف من قوس الى قوس . تستريح الأقواس على أعمدة وعضادات . تقبع خلف هذه الردهة أربعة أبواب تفضي الى باطن الكنيسة .

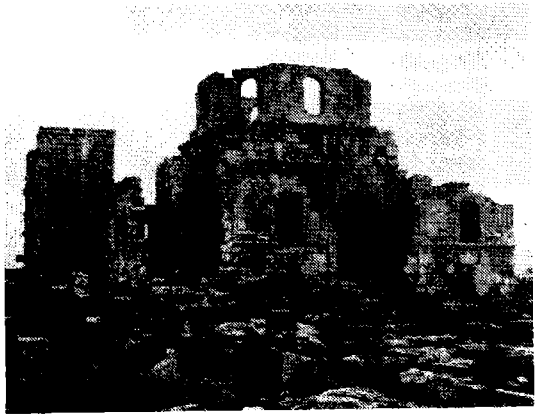

الشكل ١٩٢

– قلعة سمعان : تقوم في الجزء الجنوبي من قلعة سمعان المعمودية التي تعتبر ثاني بناء هام في هذا الموقع . يبلغ طول هذا البناء المربع حوالي ٢٠ م ويتوسط البناء جسم مركزي مستدير كما يرتبط بكنيسة ثلاثية الاروقة .

الشكل ١٩٣

-- الرصافة : تعتبر كنيسة القديس سركيس من أفضل المباني التي ظلت شاخصة فوق الأرض . ترينا الصورة جزءا من الرواق الأوسط بأعمدته ذات التيجان المغلفة بأوراق الاكانثوس .

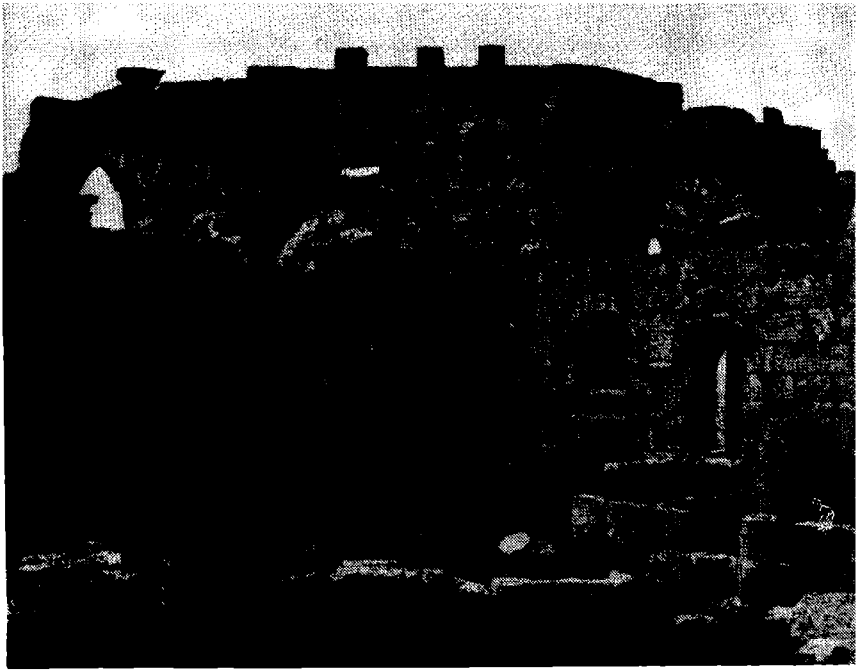

الشكل ١٩٤

– قلعة سمعان : يتوسط الجسم المثمن كنيسة القديس سمعان المؤلفة من أربع كنائس تصب في لجسم المثمن . تتخلل جدران الجسم المثمن حنيات نصف مستديرة بحيث يصبح الجسم قريبا من المربع . نرى في الصورة ظهر أحد الحنيات الواقعة بين الكنيسة الشمالية والكنيسة الشرقية . وكما نرى في الصورة الجوية لاتشكل الكنائس الأربعة زوايا قائمة عند اتصالها بالجسم المثمن في الوسط .

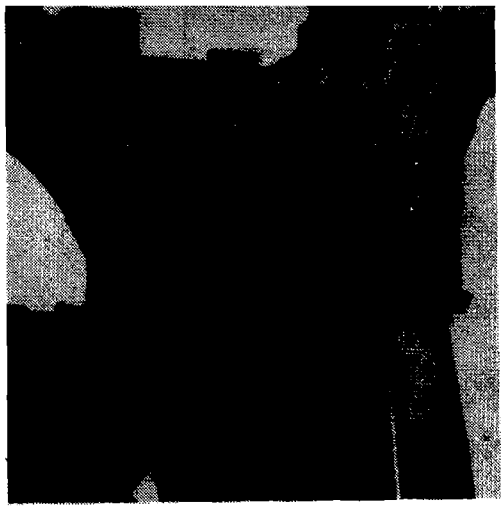

الشكل ١٩٥

– قلعة سمعان : تستند الأقواس الضخمة للمثمن على دعامات وأعمدة لها تيجان مغلفة بأوراق الاكانتوس . توجد الزخارف في الاطار الذي يحيط بالأقواس .

الشكل ١٩٦

– قلعة سمعان يطل الجسم المثمن البالغ قطره ٢٧ م على أربع كنائس ثلاثية الابوقة أهمها الكنيسة الواقعة في الشرق فهي تتمتع بثلاث حنيات ويخترق ظهر كل منها نوافذ مدورة الأقواس

الشكل ١٩٧

– قلعة سمعان : الربيع يحتضن كنيسة القديس سمعان

الشكل ١٩٨

– قلعة سمعان الجسم المركزي المثمن في كنيسة القديس سمعان ويتوسطه الباقي من العمود الذي كان يعيش فوقه القديس سمعان .

الشكل ١٩٩

– دمشق : يمتزج في الرواق الغربي للجامع الأموي بدمشق التراث الكلاسيكي القديم مع البناء الأسلامي الجديد وعلى هذا الأساس حقق الاسلام انجازات حضارية استحوذت اعجاب العالم في كل مكان .

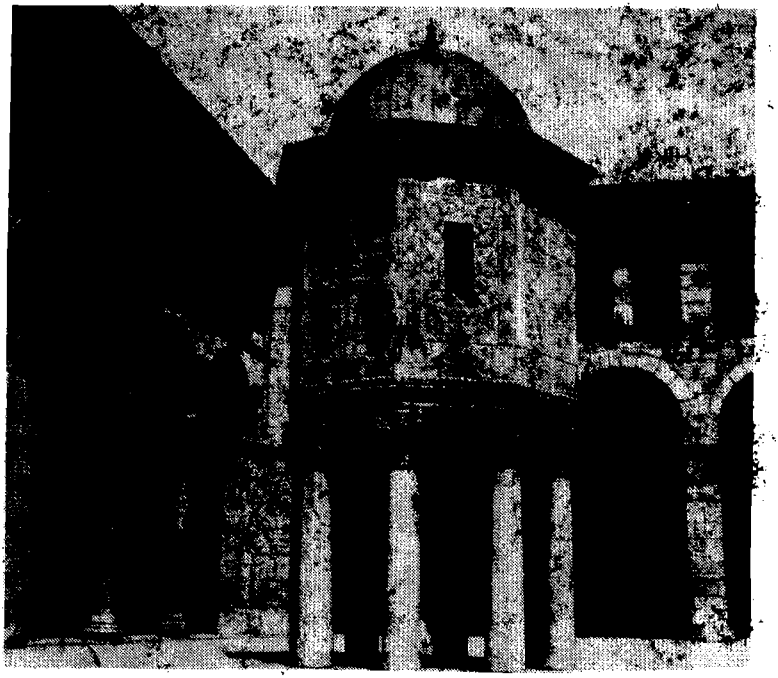

الشكل ٢٠٠

– دمشق : يعتبر الجامع الأموي في دمشق من مفاخر العمارة الاسلامية وقد استخدم المسلمون عناصر معمارية كلاسيكي قديمة تتجلى في قبة الخزنة ذات الجسم المضلع القائم فوق أعمدة لها تيجان كورنثية الطراز .

٢٦٢٤٨٧

الشكل ٢٠١

– دمشق : يتقدم المتحف الوطني بدمشق تمثال أسد من حجر الكلس عثر عليه في منطقة اللاذقية. يحتوي المتحف الوطني الذي تأسس في ١٩٣٦ وقتذاك، وهو يتوسع ويكبر باستمرار ، اثار القطر العربي السوري التي تعود الى مختلف العصور والفترات .

الفهرس

مقدمة المؤلف	٥
المكان والزمان	٧
التطور السياسي حتى ظهور الاسلام	١٥
مكان سورية القديمة	٢١
العصور الشرقية القديمة	٢٥
الفترة الهلنسية الرومانية	٥٧
تدمر	٩٣
الفترة الرومانية الشرقية — البيزنطية	١٢١

٢٥٠٠ ط١ /١٩٨٥/٣/